
٢
العدد الرابع
جمادى الأولى ١٤١٥ هـ
مجلة
الحكمة
مجلة بحثية علمية شرعية ثقافية تصدر كل أربعة أشهر
شرح ميمية ابن القيم
معاني التقديم والتأخير في كتاب الله
ترجمة العلامة أحمد شاكر
الأقليات المسلمة في يوغسلافيا (سابقاً)
تحقيق مخطوطتين نفيستين - الذهبي - السخاوي
وبحوث أخرى مفيدة

التاريخ / / ١٤١ هـ ☐ جديد ☐ تجديد ☐ تمديد ☐ تعديل بيانات

قسيمة اشتراك مجلة (الحكمة)

رقم الكمبيوتر: ( )

الاسم الأول: ....

اسم الأب: ....

اسم الجد: ....

اسم العائلة: ....

مدة الاشتراك:

☐ سنة

☐ سنتان

☐ أكثر ....

نوع الاشتراك في الدول العربية

☐ عادي .... ٩٠ ريال

☐ مجلد .... ١١٠ ريال

☐ هدية للدول .... ١٣٠ ريال

☐ للدوائر الحكومية والمؤسسات ١٥٠ ريال

العدد الأول: .... المبلغ: ( ) نقداً

عدد النسخ: .... حوالة رقم: ( )

شيك رقم: ( )

العنوان البريدي:

ص.ب: ( ) الرمز: ( )

المدينة: ( ) المنطقة: ( ) الدولة: ( )

الهاتف: منزل: .... عمل: .... فاكس: ....

نداء: ....

طريقة إيصال المجلة: ☐ بالبريد ☐ يدوي العنوان: رقم المنزل: ( )

اسم الحي: ( )

اسم الشارع: ( )

حسابات المستلم

....

ملحوظات: ....

....

Name: ....

Street No.: .... City: .... Zipcode: ....

Country: .... Tel: .... Fax: ....

المؤتمن للتوزيع ص.ب: ٦٩٧٥٦ ـ الرياض: ١١٥٥٧ السعودية ـ هاتف: ٤٦٤٦٦٨٨ فاكس: ٤٦٤٢٩٤٩

الحوالات: شركة الراجحي فرع شارع الضباب ـ حساب رقم ٣/٩٩٦٦ ـ باسم مؤسسة المؤتمن

يمكنك الحصول على الأعداد الأولى ـ قيمة العدد ٣٠ ريال متضمنة أجور البريد

الحكمة

مجلة علمية شرعية تصدر كل أربعة أشهر
تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية
وتحقيق المخطوطات

الحكمة

مجلة علمية شرعية تصدر كل أربعة أشهر تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق المخطوطات

رئيس التحرير وليد بن أحمد الحسين أبو عبد الله الزبيري

مدير التحرير المهندس أبو بكر بن عبد العزيز البغدادي

بريطانيا - ليدز

P.O : BOX: CR 35

LEEDS Tel - Fax: 741829

LS 7 IXF

U.K



أسعار المجلة

السعودية	٢٠	ريال سعودي	الكويت	١,٧٥٠	دينار كويتي
الإمارات	٢٠	درهم إماراتي	الأردن	١,٧٥٠	دينار أردني
أمريكيا	٦	دولار أمريكي	كندا	٧	دولار كندي
بريطانيا	٤	جنيه استرليني	فرنسا	٧٠	فرنك

الهيئة الاستشارية لمجلة الحكمة

١ - الشيخ الدكتور عمر بن سليمان الأشقر

الأستاذ المشارك بالجامعة الأردنية - كلية الشريعة

٢ - الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق

رئيس لجنة البحث العلمي بجمعية إحياء التراث الإسلامي الكويتية

٣ - الشيخ الدكتور ناصر بن عبد الله القفاري

أستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - القصيم - قسم العقيدة

٤ - الشيخ الدكتور سعد بن عبد الله الحميد

أستاذ في جامعة الملك سعود - كلية التربية - قسم الدراسات الإسلامية في الرياض

٥ - الشيخ الدكتور محمد بن صالح البراك

أستاذ في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

٦ - الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

باحث محقق - الأردن - عمان

الموزعون المعتمدون للمجلة

١ ـ السعودية ـ الرياض ـ المؤتمن للتوزيع
ص.ب: ٦٩٧٨٦ ـ الرياض ١١٥٥٧ ـ ت: ٤٦٤٦٦٨٨

٢ـ الكويت ـ حولي ـ شارع الحسن البصري ـ مكتبة دار النفائس
ص.ب: ٧٠٣٧ ، ت: ٢٦١٦٠٣٦

٣ ـ الإمارات العربية المتحدة ـ عجمان ـ مكتبة الأقصى
ص.ب: ٤٤٦، ت: ٤٢١٩٨٧

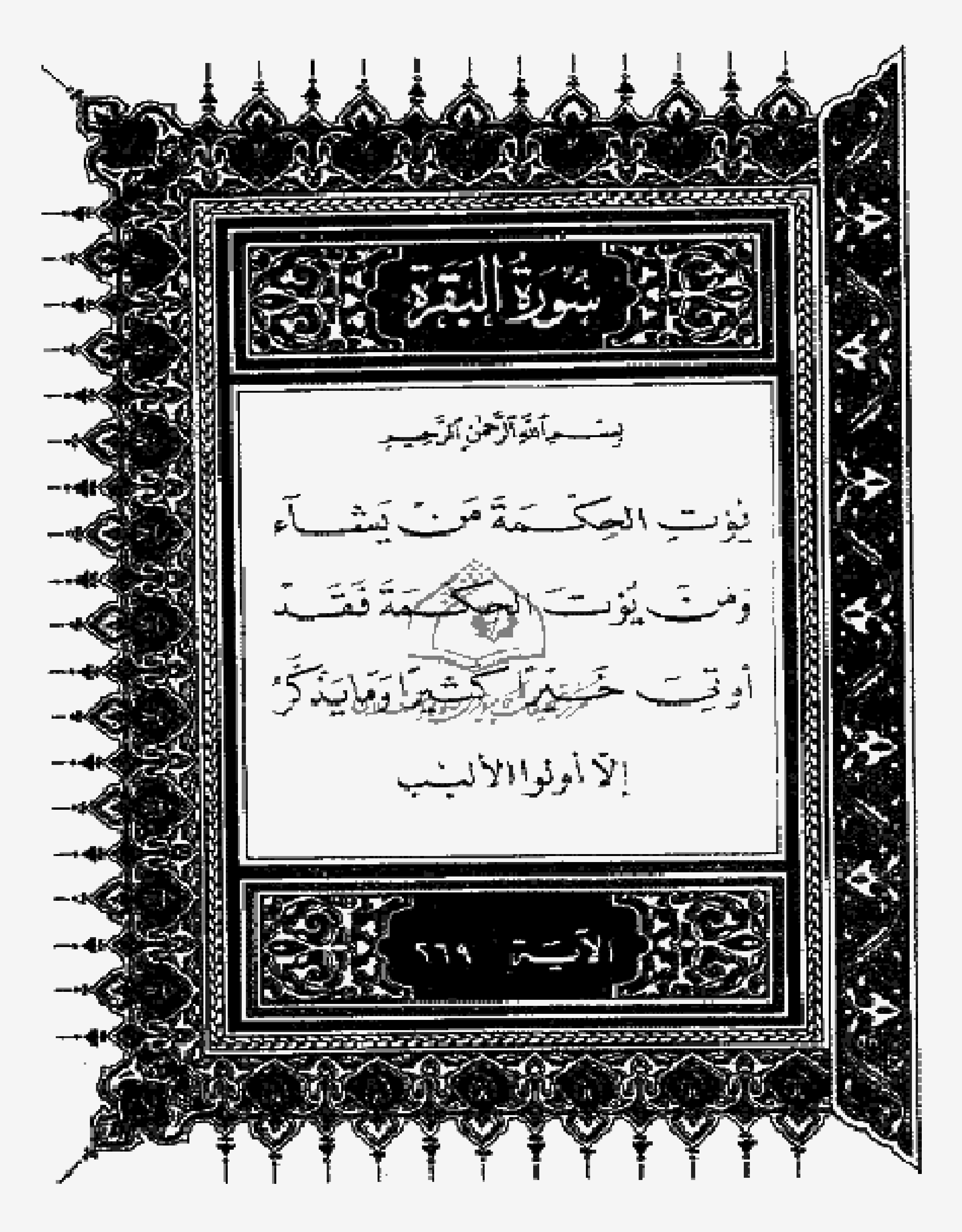
٤ ـ أمريكا ـ نيويورك
9747 SHORE ROAD. # F4
BROOKLYN, NEWYORK 11209
TEL. 718 - 748 - 8755

٥ـ كندا ـ تورنتو
2268 DUNDAS .ST.W .
P.O.BOX 59009
TORONTO.ONT.M 6R 3B5 - TEL : (416)242-9464

٦ـ بريطانيا ـ ليدز
P.O BOX: CR35 - LEEDS -
LS7 1XF - U.K

٧ ـ فرنسا ـ الجامعة الإسلامية في باريس
C.E.R.I.S.I
UNIVERSITE ISLAMIQUE DE FRANCE
22 FRANCOIS BONVIN
75015 PARIS
TEL: 43061446 FAX: 43060008

٨ ـ الأردن ـ عمان: ص.ب: ٦٢٠٥٢٠ ، ت: ٧٥١٢١١


سورة البقرة
بسم الله الرحمن الرحيم
يؤتي الحكمة من يشاء
ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر
إلا أولوا الألباب
الآية ٢٦٩

منهج المجلة وأهدافها

١- تبصير المسلمين بدينهم الحق ، وذلك بالرجوع إلى الكتاب والسنة الصحيحة ، وفهمها على أصول أهل السنة والجماعة من السلف الصالح ، رضوان الله عليهم أجمعين .

٢- نشر المقالات والبحوث الشرعية التي من شأنها إنضاج فهم المنهج الشرعي وحسر الخلاف والفرقة المذمومة بين الأمة الإسلامية وصولاً إلى الائتلاف والأخوة المحمودة .

٣- تحذير المسلمين من الانحرافات الشركية والبدعية ، وتحذيرهم من المعاصي لما تورثه هذه الذنوب من المصائب والضعف والتفرق .

٤- تحرص المجلة على نشر البحوث والمقالات العلمية والشرعية والمخطوطات المحققة ، التي لم يسبق نشرها في كتاب أو مجلة .

٥- تعتذر المجلة عن نشر البحوث والمقالات التي لا تتفق مع توجه المجلة وسياستها كالبحوث والمقالات السياسية أو الحزبية أو غير ذلك .

٦- المجلة لا تمثل حزباً معيناً أو طائفة معينة ، بل هي منبر لجميع المسلمين المخلصين .

٧ - تحرص المجلة من خلال بحوثها على تقديم حلول إسلامية عملية للمشكلات الفقهية المعاصرة ، وتسعى نحو حياة إسلامية راشدة على منهاج النبوة .

٨ - المقالات والبحوث التي تنشر في المجلة تعبر عن رأي كاتبيها ، ولا يلزم أن تكون معبرة عن رأي القائمين عليها .

٩ - لا يجوز لأصحاب البحوث التي تنشر في مجلة الحكمة أن يعيدوا نشرها في مؤلف أو مجلة أخرى إلا بعد مضي ستة أشهر على نشرها في مجلة الحكمة .

إلى الباحثين الأفاضل

توجه المجلة عناية الباحثين الذين يودون الاسهام في مجلتنا إلى ما يأتي:

أ ـ ان تكون البحوث متسمة بالعمق والأصالة بحيث يضيف كل بحث جديداً إلى المعرفة .

ب ـ ان تكون البحوث موثقة من الناحية العلمية بالمصادر والمراجع .

جـ ـ ان تكون منسقة مقسمة وفق أصول البحث العلمي .

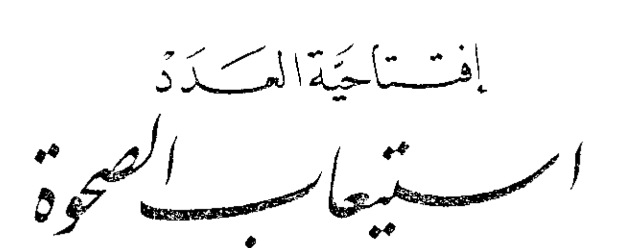
د ـ ان تكون مكتوبة على الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء.

هـ ـ ان تكون مكتوبة على وجه واحد من الورق .

و ـ أصول البحوث المرسلة للمجلة لا ترد لأصحابها نشرت أم لم تنشر .

الفهرس

إفتتاحية العدد



بقلم هيئة التحرير

الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد:

فإن الحاجة المتزايدة الى العلم الشرعي في العالم الإسلامي هي نتيجة طبيعية لما شهده ويشهده هذا العالم من رجوع المسلمين الى دينهم بعد انقطاع وطول هجر .

إن هذا الرجوع يعود الى أسباب عدة من أهمها: جهود العلماء المخلصين في بيان حقيقة هذا الدين، وكشف الزيف الذي علق به ، ثم تراكم على مرّ الأجيال حتى نخر بدن الأمة، على أن هذا الزيف لم يكن مجرد أمر عارض، بل كان توظيفا رهيبا لكيانات الضعف والجهل في العالم الاسلامي من قبل المؤسسات الاستعمارية والصليبية عبر التاريخ المعاصر حتى وقتنا الحاضر .

إن جهود هؤلاء العلماء في تجديد الدين إنما هي رحمة ووعد رباني كما أخبر الرسول الكريم ﷺ حيث قال : (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها) .

ومن الأسباب الأخرى لهذا الرجوع : كشف القناع الفاضح عن الوهم الكبير والغش العظيم الذي كان يعيشه العالم باسم التقدمية والعلمانية والشيوعية والحرية والرأسمالية وصنوف اذيال هذا كله.

إن علماء الأمة اليوم أمام مهمة عظيمة تتمثل في استيعاب هذا الرجوع ، إذ إن توسع الأحوال التي تعيشها الأمة وتنوعها توجب فهم الموقف الشرعي من هذه الأحوال . كما ان اضطراب الظروف الراهنة يستلزم استيعاب أحكام تزاحم الأحكام الشرعية كذلك .

إن غياب الإمامة العامة للمسلمين يلقي حملا ومهمة أكبر على علماء الأمة من جهة كما أن الأمة من جهة أخرى تنظر الى العلماء نظرة إضافية تمثل تعويضا جزئيا لهذا الغياب .

إن مثل هذا الخطب الكبير نوعاً ومادة - فضلا عن كثرته - لا يمكن استيعابه من قبل أفراد من العلماء والشيوخ ، وإن عظم قدرهم وشأنهم ، بل لابد من تسخير مجموع الإمكانات العلمية للأمة من علماء وطلبة علم وباحثين ومؤسسات ومعاهد علمية ونحو ذلك ، لتقديم ما يجب تقديمه من الحلول الشرعية التي تحتاج إليها الأمة حسب الأولويات . ثم لا بد من تسخير جهود الدعاة المخلصين إضافة الى جهود العلماء والمؤسسات العلمية لإيصال هذه الحلول إلى جموع الأمة.

إن الحديث عن هذا الأمر لا يتعلق بالسعي إلى إيجاد مثل هذه الإمكانات فإن الخبير بأحوال الأمة يدرك وجودها ، ولكن الحديث يتعلق بتسخير هذه الإمكانات لجعلها متكاملة وهادفة ومتفاعلة .

إن مثال العالم الموسوعي لم يعد له من ينسب إليه في عالمنا المعاصر، لا بسبب عدم الكفاءة مقابل العلماء السابقين ، بل بسبب تفرع المعرفة والعلوم وتنوعها واتساعها الدينية منها والدنيوية .

ولمحدودية القدرة البشرية فإنها لا يمكن أن تستوعب كل أصناف العلوم المتسعة ، وإن الرسائل الجامعية والبحوث المتسعة في باب واحد أو فصل واحد من أبواب الشريعة خير مثال على ما ذكرنا.

ولما كانت الحاجة المتزايدة لمعرفة الأحكام الشرعية للمشكلات الراهنة غير مستوعبة بسبب عدم تسخير إمكانات الأمة بالشكل الصحيح، فإن جموعا من الأمة لا تنتظر اكتمال تلك الإمكانات، بل إنها ستتخذ علماء يفتون لها وإن كان هؤلاء العلماء جهالا في حقيقة الأمر . وقد رأينا في واقعنا المعاصر كثيرا من التصرفات سواء كانت تفريطا أو إفراطا تلبس بها جموع من الأمة بفتاوى منسوبة الى علماء من هذا النمط .

ولو أحصينا عدد الرسائل والبحوث العلمية التي ألفت في أبواب الشريعة سواء منها ما ألف من قبل العلماء وطلبة العلم أو من قبل الأساتذة والباحثين في الجامعات والمعاهد الإسلامية في العالم الإسلامي لوجدناها كثيرة جدا، ولو صنفناها لوجدنا عددا معتبرا منها يعالج واقع الأمة وحاجاتها.

إن المشكلة الأساسية هي أن هناك ضعفا في العلاقة بين أفراد ومؤسسات القطاع العلمي والبحثي نفسه من جهة ، ثم بين هذا القطاع وجموع الأمة من جهة أخرى .

إن ضعف العلاقة ضمن القطاع العلمي يعكس ضعف كفاءة ما يمكن تقديمه للأمة بسبب عدم التكامل الفاعل للإمكانات العلمية الحاصل من ضعف العلاقة .

يتمثل هذا الضعف في ثلاث مشكلات:

أولاها: عدم التوازن في منهجية الطرح ، فتجد مثلا أن الجهود العلمية في تحقيق المخطوطات أكبر بكثير من تلك المبذولة في الدراسة والتأليف .

والثانية: عدم مراعاة الأولويات ، فتجد أن نسبة الدراسات التي تراعي الأولويات قليلة بالنسبة إلى الجهود العلمية المبذولة في عموم العلوم الشرعية .

والثالثة: تكرار موضوع البحث من عدد من الباحثين بما يلزم منه صرف جهود علمية بفروقات اجتهادية غير متكافئة مع الجهد المصروف مع إمكان استيعاب هذه الفروق بطرق علمية أخرى .

أما بالنسبة إلى ضعف العلاقة مع جموع الأمة وخصوصا من جهة المؤسسات والمعاهد العلمية فإنه حاصل بسبب عدم كفاءة وسائل التفاعل بينهما ، ولا شك في ان اللوم في هذا يقع على هذه الأخيره باعتبارها جهة تربوية من ناحية ، ثم إن هدف تلك المؤسسات هو خدمة هذه الجموع عن طريق تعليمها وتعريفها بما هي بحاجة الى معرفته من الأحكام الشرعية المستجدة منها على وجه الخصوص وإيجاد حلول إسلامية لمشكلاتها الراهنة .

أما حصر هذه العلوم بدوائر ضيقة بحجة أن فهم هذه البحوث واستيعابها لا يصلح إلا في هذه الدوائر فإنه أمر مردود قطعا.

أما بالنسبة إلى العلماء والمشايخ العاملين ، فهناك مشكلتان ينبغي التنبه لهما في الاستيعاب:

أولاهما: ما يمكن أن نسميه بـ«توظيف الفتوى» إذ تستحصل الفتوى أو ترصد من قبل قطاعات ليست قليلة من الأمة ممن ابتلي بالتعصب الحزبي أو المذهبي ، حيث تكون الأسئلة مرسومة محبوكة لمقاصد معينة لا تظهر للمفتي ، فيطار بها لتوظف توظيفا ينكره المفتي نفسه .

والأخرى: حساسية الظروف التي تمر بها الأمة أو تخضع لها قسرا ، وهذه تشمل جميع أفراد الأمة ، إذ ينتظر الأفراد والجماعات بتحفز عاطفي فتوى العالم الفلاني كي يبنوا عليها أفعالا أكبر من الفتوى بفعل الحساسية والعاطفة ، ثم عندما تختلف فتاوى العلماء تختلف الجموع ، وتختلف القلوب ، ويحل الهرج والمرج.

ولتدارك مثل هذه المفاسد ينبغي أن تراعى ثلاثة أمور :

الأول: عدم ارتجال الفتوى ، بل دراستها مع ما يحيطها من اعتبارات تتعلق بها .

والثاني: تفصيل الجواب بما يحترز به من الأبواب المشتبهة المؤدية إلى التوظيف الفاسد .

والثالث: إن المسائل السياسية والمشكلات التي تتعلق بمصالح الأمة ينبغي أن تعامل معاملة خاصة تراعى فيها المشورة وعدم كبت الاختلاف بين العلماء .

وعلى ضوء ما تم عرضه تتقدم هيئة التحرير بالاقتراحات الآتية:

١ - مشروع لجنة تقوم بتقصي الرسائل والبحوث العلمية الشرعية الجامعية وغير الجامعية في العالم الإسلامي خلال العقدين الماضيين ، ثم تقوم بـ :

أ - تصنيفها .

ب - ترتيبها حسب الأولويات، ابتداء من الحاجات الملحة للأمة.

جـ - إعادة تقييمها بعرضها على لجنة من العلماء .

د - تبني مشروع تكييفها لإيصالها الى الشارع الإسلامي .

٢ - مشروع لجنة تقوم بتكليف عدد من العلماء والباحثين وطلبة العلم بدراسة موضوعات ضمن أولويات معدة سلفا. كما تقوم هذه اللجنة بإنشاء روابط فاعلة بين جميع هؤلاء الباحثين.

٣ ـ نصيحة المشايخ والعلماء العاملين في الساحة الإسلامية أن يعتمدوا مبدأ يعتبروه أصلا لهم ، وهو إحالة الأسئلة قبل جوابها على مكتب أو لجنة خاصة بهم تقوم بجمع الأسئلة وتصنيفها وتهيئة المعلومات حول السائل وظروف السؤال إن أمكن وإعطاء موعد لاحق للإجابة ، وللشيخ أن يستثني من هذا المبدأ المسائل التقليدية والمسائل التي يقدر الشيخ خصوصيتها ، وعلى طلبة العلم ، من يتصدى منهم للفتوى أن لا يخرج عن هذا المبدأ .

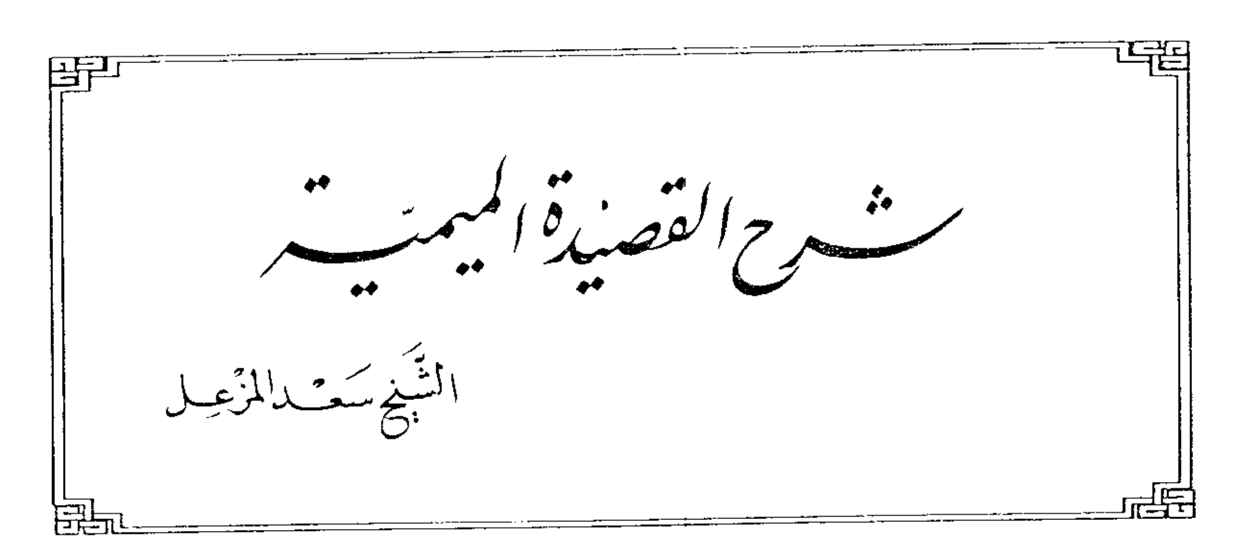
٤ ـ نصيحة الأحزاب الإسلامية والدعاة العاملين من أهل السنة والجماعة أن لا يستبدلوا بعلماء الأمة علماء حزبهم أو علماء كيانهم ، وإن أعظم مهمة يقوم بها هؤلاء الدعاة هي ربط الأمة بعلمائها ربطا فاعلا تنهض به الأمة من جديد .

ومع أن هذه الاقتراحات غير جديدة على الساحة الإسلامية ، وقد يكون بعضها قائما فعلا ، فإن في هذا العرض توكيداً وتذكيراً لأهمية تفاعل الجهود المخلصة لقطاعات الأمة لتقوم بحمل نصيبها من الأمانة .

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾

هيئة التحرير


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



هذه هي القصيدة الميمية للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى ، وهي مطبوعة مع مجموعة قصائد بعنوان: مجموعة القصائد المفيدة ، قمت بوضع شرح يسير مختصر لها ، وذكرت معاني بعض المفردات التي تحتاج إلى بيان.

وبعد الشروع بالعمل وقفت على كتاب بعنوان (الرحلة إلى بلاد الأشواق شرح القصيدة الميمية) ، عرض وتحليل مصطفى عراقي . وقد جاء في هذا الكتاب أبيات زائدة على ما في الكتاب المطبوع الذي اعتمدته ، ولكي تكمل الفائدة ويعم النفع رأيت أن أذكر الأبيات الزائدة وأدمجها مع القصيدة .

وأسأل الله العلي القدير أن يوفقني للصواب ، وأن يجنبني الزلل ، وأن يجعل جميع أعمالي خالصة لوجهه ، وأن يتقبلها إنه أكرم من سُئِل .

ترجمة الإمام ابن القيم [1]

١- اسمه ونسبه:

العلامة شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزُّرعي ، ثم الدمشقي ، الفقيه الحنبلي .

٢- ولادته:

ولد في دمشق سنة إحدى وتسعين وستمائة للهجرة .

٣- كنيته:

اشتهر بلقبه (ابن القيم) أو (ابن قيم الجوزية)، أو (إمام الجوزية).

ونسبته إلى الجوزية ترجع إلى أن والده كان قيّماً على تلك المدرسة .

والقيّم: الذي يقيم الأمر ويصلحه ويرعاه ويجعله مستقيماً . فأبو الإمام كان يدير شؤون المدرسة التي اسمها الجوزية ؛ فنسب إليها بابن قيم الجوزية.

---

(١) انظر ترجمته في: البداية والنهاية لابن كثير: ١٤/ ٢٤٦ ، والدرر الكامنة لابن حجر: ٣/ ٤٠٠ ، وشذرات الذهب لابن رجب الحنبلي: ٦/ ١٦٨ ، والبدر الطالع للشوكاني: ٢/ ١٤٣ ، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة: ٩/ ١٠٦ ، وجلاء العينين للآلوسي: ص ٤٤، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب: ٤/ ٤٤٧ ، والأعلام للزركلي ٦/ ٥٦. وللمزيد انظر: الوافي بالوفيات للصفدي ، وبغية الوعاة للسيوطي ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، وهدية العارفين للبغدادي ، والزيارات للعدوي ، وكشف الظنون لحاجي خليفة ، وإيضاح المكنون للبغدادي ، والمجددون في الإسلام للصعيدي ، وابن قيم الجوزية لعبد العظيم عبدالسلام ، وفهرس مخطوطات الظاهرية ليوسف العش، وفهرس الخديوي، والتيمورية ، وآداب اللغة ، والمنهج الأحمد ، ومعجم المطبوعات .

المدرسة الجوزية:

يقول الحافظ ابن كثير: إن محي الدين يوسف بن عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، هو الذي ابتنى هذه المدرسة بالنشابين بدمشق وأوقف لها[1].

أوقف لها يعني: خصص بعض العقارات وغيرها مما يدرّ من الأموال ، لكي ينتفع القائمون عليها ، ولإصلاح شأن المدرسة وتأمين حوائجها .

٤ـ شيوخه:

نشأ ابن القيم ، رحمه الله تعالى ، في زمن يزخر بالعلماء البارزين . ونشأ كذلك في بيت علم ، فقد كان أبوه من فقهاء الحنابلة المشهورين ، وكان له في الفرائض يدا ، فأخذها عنه .

وسمع على التقي سليمان ، وأبي بكر بن عبدالدائم ، والمطعِّم ، وابن الشيرازي ، وإسماعيل بن مكتوم .

وقرأ العربية على ابن أبي الفتح ، والمجد التونسي .

وقرأ الفقه على المجد الحراني ، وابن تيمية . وقرأ في الأصول على الصفي الهندي[2]. وسمع من الشهاب النابلسي وغيره [3].

ولما عاد الشيخ ابن تيمية من الديار المصرية في سنة ٧١٢ هـ لازمه إلى أن مات الشيخ رحمه الله ، فأخذ عنه علماً جماً [4]، وسمع من فاطمة بنت جوهر[5].

---

(١) البداية والنهاية: ١٣/٣٣.

(٢) الدرر الكامنة: ٣/٤٠٠ ـ ٤٠١.

(٣) شذرات الذهب: ٦/١٦٨.

(٤) البداية والنهاية: ١٤/٢٤٦ .

(٥) ذيل طبقات الحنابلة: ٢/٤٤٧.

٥ـ علمه:

قال ابن كثير: برع في علوم متعددة لا سيما علم التفسير والحديث، ولازم ابن تيمية إلى أن مات الشيخ، فأخذ عنه علماً جماً ـ مع ما سلف له من الاشتغال ـ فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة، مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً وكثرة الابتهال[1].

قال ابن رجب: شيخنا الفقيه الأصولي المفسر النحوي العارف، تفقه في المذهب وبرع وأفتى. وكان عارفاً بالتفسير لا يجارى فيه وبأصول الدين وإليه فيها المنتهى، والحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه؛ لا يُلحق في ذلك. وبالفقه وأصوله، وبالعربية؛ وله فيها اليد الطولى. وعلم الكلام والنحو وغير ذلك، وكان عالماً بعلم السلوك وكلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم؛ له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى. قال القاضي برهان الدين الزرعي: ما تحت أديم السماء[2] أوسع علماً منه.

وقال ابن كثير: وبالجملة كان قليل النظير في مجموعه وأموره وأحواله[3].

قال ابن رجب: ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرَفَ بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم؛ ولكن لم أرَ في معناه مثله[4].

٦ـ خلقه:

قال ابن كثير: كان حسن القراءة، والخلق، كثير التودد، لا يَحسُدُ أحداً ولا يؤذيه ولا يستعيبه، ولا يحقد على أحد. وكنت من أصحب الناس له وأحب الناس إليه[5].

---

(١) البداية والنهاية: ١٤/٢٤٦.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة: ٢/٤٤٨ ـ ٤٤٩.

(٣) البداية والنهاية: ١٤/٢٤٦.

(٤) ذيل طبقات الحنابلة: ٢/٤٤٨.

(٥) البداية والنهاية: ١٤/٢٤٦.

٧ـ عبادته :

قال ابن رجب: وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى ، وتأله ولهج بالذكر وشغف بالمحبة والإنابة والاستغفار والافتقار إلى الله والانكسار له ، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته ؛ لم أشاهد مثله في ذلك . وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن ـ بالتدبر والتفكر ـ ففتح عليه من ذلك خير كثير [١].

قال ابن كثير: كان كثير الابتهال ، وذكر كلاماً ، ثم قال: ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه . وكانت له طريقة في الصلاة ؛ يطيلها جداً ويمد ركوعها وسجودها . ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان ، فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك ، رحمه الله [٢].

قال الحافظ: وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار ، ويقول هذه غدوتي لو لم أقعدها سقطت قواي . وكان يقول: بالصبر والفقر ينال الإمامة في الدين . وكان يقول: لا بد للسالك من همة تسيره وترقيه ، وعلم يبصره ويهديه [٣].

وقال ابن رجب: وحج مرات كثيرة ، وجاور بمكة ، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه [٤].

٨ـ محنته :

ليس غريباً أن يتعرض ابن القيم ، رحمه الله ، إلى بعض الإهانات من السفهاء أو السجن أو الضرب أو غير ذلك من الابتلاءات ؛ فهذا هو حال كل داعية حق ، وهذا هو سبيل الأنبياء والمصلحين . فأي إنسان يقوم ليحمل أعباء الدعوة إلى الله سبحانه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة: ٢/٤٤٨ .

(٢) البداية والنهاية: ١٤/٢٤٦ .

(٣) الدرر الكامنة: ٣/٤٠١ .

(٤) ذيل طبقات الحنابلة: ٢/٤٤٨ .

والوقوف في وجه عادات الناس المخالفة للإسلام ؛ لا بد وأن يضع في حسابه أنه سوف يأتيه ما لا يحب . وهذا ما حدث للإمام ، رحمه الله ، فقد كان يصدع بما يرى أنه الحق ؛ فيُهان أو يسجن . ويفتي بما يرى أنه الحق ؛ فيضرب تارة أو يسجن أخرى .

قال الذهبي في المختصر: وقد حبس مدة لإنكاره شد الرحال إلى قبر الخليل . قلت (يعني ابن رجب): وقد امتحن وأوذي مرات ، وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخير بالقلعة ، منفرداً عنه ، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ [1] .

قال الحافظ: اعتقل مع ابن تيمية بالقلعة بعد أن اهين وطيف به على جمل مضروباً بالدرة ، فلما مات ابن تيمية أفرج عنه . وامتحن مرة أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية [2] .

قال ابن كثير: وقد كان متصدياً للإفتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وجرت بسببها فصول يطول بسطها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره [3] .

والمقصود بمسألة الطلاق: أن الذي يطلق زوجته ثلاث تطليقات بلفظ واحد ؛ هل يحسب عليه طلقة واحدة أم ثلاث ؟ الذي يذهب إليه ابن تيمية ـ وكذلك تلميذه ابن القيم ـ أنها تقع طلقة واحدة ؛ اتباعاً للنص الوارد في هذه المسألة ، وقد سبقهم إليها جمع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وعمدتهم ما روى مسلم: (١٤٧٢) ، عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة . وانظر مزيداً من البسط في (مجموع الفتاوى) ، وانظر (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للآلوسي): ص ٢٦٨ وما بعدها .

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة: ٤٤٨/٢ .

(٢) البدر الطالع: ٤٠١/٣ .

(٣) البداية والنهاية: ٢٤٦/١٤ ـ ٢٤٧ .

٩ـ مؤلفاته:

قال ابن كثير: له من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً، واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف[١].

قال ابن رجب: وصنف تصانيف كثيرة جداً في أنواع العلم. وكان شديد المحبة للعلم، وكتابته، ومطالعته وتصنيفه، واقتناء الكتب[٢].

قال الحافظ ابن حجر: وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف. وهو طويل النفس فيها، يتعانى الإيضاح جهده؛ فيسهب جداً. وكان مغرى بجمع الكتب؛ فحصل منها ما لا يحصر، حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهراً طويلاً، سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم[٣].

١٠ـ من تصانيفه[٤]:

- روضة المحبين ونزهة المشتاقين. (مطبوع)
- زاد المعاد في هدي خير العباد. (مطبوع بتحقيق شعيب ارناووط في ٥ أجزاء).
- إعلام الموقعين عن رب العالمين. (مطبوع في ٤ أجزاء).
- تهذيب سنن أبي داود. (مطبوع مع مختصر الحافظ المنذري وشرح معالم السنن للخطابي).
- الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية. (مطبوع بتحقيق الدكتور عواد عبدالله المتق).
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية. (ويسمى الفراسة وقد طبع مراراً ويقوم الشيخ مشهور حسن بتحقيقه).

---

(١) البداية والنهاية: ٢٤٦/١٤.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة: ٤٤٩/٢.

(٣) الدرر الكامنة: ٤٠٢/٣.

(٤) ما بين القوسين ( ) اضافة من المجلة اتماماً للفائدة واخترنا من التحقيقات أجودها.

- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل . (**مطبوع**) .
- كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء .(**طبع باسم الكلام على مسألة السماع بتحقيق راشد عبدالعزيز**) .
- أحكام أهل الذمة . (**مطبوع في مجلدين بتحقيق د. صبحي الصالح رحمه الله**) .
- شرح الشروط العمرية . (**لا نعلم عنه شيئاً ولعله الذي سبق**) .
- تحفة المودود بأحكام المولود . (**مطبوع**) .
- مفتاح دار السعادة .(**مطبوع مراراً وحققه قريباً الشيخ علي حسن الحلبي**).
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة . (**طبع المختصر وطبع قطعة منه بتحقيق في أربعة مجلدات**) .
- الكافية الشافية. (**وتسمى القصيدة النونية طبعت مراراً ولها شروح عدة**).
- مدارج السالكين. (**طبع بتحقيق محمد حامد الفقي في ثلاث مجلدات**).
- رسالة في اختيارات تقي الدين ابن تيمية . (**هذه لابنه وهي رسالة صغيرة مطبوعة**) .
- الفروسية (**طبعت مراراً وأجودها ما حققه الشيخ مشهور حسن لسلمان**).
- طب القلوب . (**ادعى لويس معلوف أنه في برلين مخطوط على ما نقله الزركلي في الأعلام**) .
- الوابل الصيب من الكلم الطيب . (**طبع مراراً وبعدة تحقيقات**) .
- الروح . (**مطبوع بتحقيق الدكتور بسام علي سلامة**) .
- الفوائد . (**مطبوع وأجودها ما طبعته دار النفائس**) .
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح . (**مطبوع بتحقيق عبداللطيف أل محمد الفواغير**) .
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان . (**مطبوع بتحقيق محمد عفيفي**) .
- الجواب الكافي . (**مطبوع بتحقيق محمد عبدالرزاق الرعود**) .

- التبيان في أقسام القرآن . (مطبوع بتحقيق نبيل بن منصور بصارة) .
- طريق الهجرتين أو (طريق السعادتين) أو (سفر الهجرتين وباب السعادتين). (مطبوع بتحقيق عمر محمود) .
- عدة الصابرين . (مطبوع) .
- هداية الحيارى . (مطبوع) .
- تفسير المعوذتين . (هذا جزء من كتاب بدائع الفوائد طبع مستقلاً بعد تحقيقات) .
- التفسير القيم . (هذا ليس تأليفاً وإنما جمع الشيخ ادريس الندوي من تفسير الإمام) .
- بدائع الفوائد .(مطبوع) .
- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام . (مطبوع بتحقيق شعيب ارناؤوط) .
- رفع اليدين في الصلاة . (يوجد مخطوط في مكتبة السعودية بالرياض مخروم الأول في ١٦١ ورقة) .
- عقد محكم الأحقاء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع إلى رب السماء . (لعله والوابل الصيب او كتاب آخر) .
- شرح أسماء الكتاب العزيز . (لا نعلم عنه شيئاً) .
- زاد المسافرين إلى منازل السعداء في هدي خاتم الأنبياء . (لا نعلم عنه شيئاً) .
- بيان الدليل على استغناء المسابقة عن التحليل . (لا نعلم عنه شيئاً) .
- نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول . (طبع الكتاب بهذا الاسم وباسم المنار المنيف بتحقيق عبدالفتاح أبو غدة) .
- نكاح المحرم . (لا نعلم عنه شيئاً) .
- تفضيل مكة على المدينة . (لا نعلم عنه شيئاً) .

ـ فضل العلم . (لا نعلم عنه شيئاً) .

ـ حكم تارك الصلاة . (طبع باسم الصلاة وحكم تاركها) .

ـ نور المؤمن وحياته . (لا نعلم عنه شيئاً) .

ـ حكم إغمام هلال رمضان . (لا نعلم عنه شيئاً) .

ـ التحرير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير . (لا نعلم شيئاً)

ـ إغاثة اللهفان في طلاق الغضبان . (طبع بتحقيق العلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله) .

ـ جوابات عابدي الصلبان وأن ما هم عليه دين الشيطان . (لا نعلم عنه شيئاً) .

ـ بطلان الكيمياء من أربعين وجهاً . (لا نعلم عنه شيئاً) .

ـ الفرق بين الخلة والمحبة ومناظرة الخليل لقومه . (لا نعلم عنه شيئاً) .

ـ الفتح القدسي والتحفة المكية . (لا نعلم عنه شيئاً) .

ـ أمثال القرآن . (طبع كرسالة وهو جزء من كتاب أعلام المؤمنين) .

ـ شرح الأسماء الحسنى . (لا نعلم عنه شيئاً) .

ـ أقسام القرآن .

ـ المسائل الطرابلسية . (لا نعلم عنه شيئاً) .

ـ الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم . (لا نعلم عنه شيئاً) .

ـ الطاعون . (لا نعلم عنه شيئاً) .

ـ الكبائر . (لا نعلم عنه شيئاً) .

للمؤلف مصنفان آخرين لم يذكرهما الشيخ سعد نذكرها:

١ـ الرسالة التبوكية مطبوعة .

٢ـ رسالة إلى أحد إخوانه .(مطبوع عدة مرات).

القصيدة

١ إذا طلعتْ شَمْسُ النَّهار
فإنَّها أمارَةُ تَسْليمي عَليْكُمْ فسَلِّموا[1]

يقول رحمه الله تعالى: في بداية كل يوم ، وفي وقت الصباح ، فإني أسلم عليكم ، وعلامة هذا التسليم هو شروق الشمس . فعليكم أنتم أن تردوا عليّ السلام ، لأن وقت شروق الشمس هو وقت تسليمي عليكم .

٢ سَلامٌ مِنَ الرَّحْمنِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
وَرَوْحٌ وَرَيحَانٌ وَفَضْلٌ وأنْعُم[2]

وهذا السلام هو من الله سبحانه عليكم في كل وقت ، ومع هذا السلام: ريح رائحة الريحان . أو يكون معه الراحة من تعب الدنيا ونصبها مع الريحان ورائحته الطيبة . ومع هذا السلام كذلك زيادة فرح ومسرة .

٣ عَلى الصَّحْبِ وَالإخْوَانِ والولدِ والألى
رَعَوْهُمْ بإحْسَانٍ فَجَادُوا وأنْعَمُوا[3]

الصاحب أخص من الأخ ، والأخ أعمّ . وقد يكون لك أخ ولم تره بعينك . ولكن الصاحب لا بد له من أن يصحبك . يقول المولى جل ذكره: ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ الحجرات: ١٠ . وعندما قال النبي ﷺ: (وددت أنا قد رأينا إخواننا) ، قالوا: « أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال: (أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد) رواه مسلم: (٢٤٩) ، والبخاري: (١٣٦) مختصراً .

وقد تعارف أن القائل إذا أطلق لفظ: الصحابة ، فالمقصود بهم صحابة

(١) أمارة: الموعد أو الوقت (القاموس المحيط).
(٢) رَوح: نسيم الريح .
(٣) الألى: الذين (المعجم الوسيط) .
جادوا . أجاد: أتى بالجيد . والجواد: السخي (القاموس المحيط) .
رعوهم: أحاطوهم وحفظوهم (لسان العرب) .

رسول الله ﷺ إلا إذا قيدها ؛ كأن يقول أصحابي ، أو أصحابنا ، أو أصحاب فلان .

أما الولد بالكسر: جمع وَلد . فهو يزف هذا السلام من الله إلى الجميع: الأصحاب ، والإخوان ، والأولاد ، وإلى الذين أحاطوهم وحفظوهم، وأحسنوا إليهم وأتوهم بالجيد من القول والفعل وزادوا عليهم من الإنعام .

٤ وَسَائِرِ مَنْ لِلسُّنَّةِ المَحْضَةِ اقتفى

وَمَا زَاغَ عَنْهَا فَهُوَ حَقٌ مُقَدَّمُ[١]

وكذلك سلامه على جميع من تتبع واقتفى بالسنة الخالصة ، وهي طريقة النبي ﷺ وأصحابه ، ومن تبعهم وسار على نهجهم ولم يعدل عنها إلى غيرها ؛ فهذا الصنف من الناس هو المقدم على غيره في كل شيء حتى في إلقاء التحية .

٥ أولئِكَ أتْبَاعُ النَّبِيِّ وَحِزْبُهُ

ولَولاهُمُ مَا كانَ في الأرْض مُسْلمُ

الذين ساروا على السنة الخالصة هم أتباع النبي ﷺ في الدنيا ، وهم الذين يحشرون تحت لوائه يوم القيامة ، وهم حزب الله وحزب رسوله ﷺ، الذين أثبت الله سبحانه لهم الغلبة في الدنيا والفلاح يوم القيامة . فهم الذين أخذوا العلم ، وجدّوا في تعلمه وإتقانه ، وتعليمه إلى مَن بعدهم ، فلولاهم ؛ لذهب العلم ودرس ، وضاع الدين ، واختلط الحق بالباطل ، وارتد الناس عن الإسلام .

٦ ولولاهمُ كَادَتْ تَمِيدُ بِأهْلِهَا

ولَكِنْ رَوَاسِيهَا وَأَوْتَادُهَا هُمُ[٢]

---

(١) المحضة: الخالصة التي لم يخالطها غيرها
زاغ: مال (مختار الصحاح).

(٢) كادت: كاد: فعل ناقص يدل على قرب وقوع الخبر (معجم الشوارد النحوية) .
تميد: تتحرك وتضطرب . رواسي: الجبال الثوابت الرواسخ .
أوتادها: الوتد: ما غزَّ في الأرض أو الحائط من خشب .

إن هؤلاء الذين تمسكوا بالسنة الخالصة هم الذين بينوا للناس أمور دينهم، حتى لا يلتبس عليهم الحلال من الحرام ، فتضطرب أمورهم ، ولكن وجودهم بين الناس كالجبال للأرض ؛ فهم يتصدون لكل حادثة ، ويقدمون للناس من الكتاب والسنة ما يصلح لهم معاشهم وحياتهم .

٧ ولوْلاهُمُ كَانَتْ ظَلاماً بأهْلِهَا
وَلَكِنْ هُمُ فِيهَا بُدُورٌ وأنْجُمُ

يشبِّه أهل العلم المتبعين للسنة بالقمر الذي اكتمل كيف يزيح الظلام الدامس . وهم أيضاً كالنجوم يستدل بهم إلى معرفة أحكام الشرع ، كالذي يسترشد بالنجوم إلى موضعه . فالناس يستنيرون طريقهم ويسترشدون بتوجيهاتهم ونصائحهم .

٨ أولئكَ أصْحَابِي فَحَيَّ هَلابِهِمْ
وَحَيَّ هَلا بِالطَّيِّبِينَ وأنْعِمِ[1]

أولئك الصنف من الناس الذين ذكرهم سابقاً ، وهم أتباع السنة المحضة، هم أصحابه ، فابدأ بهم بالترحيب والسلام ، وعجل بهم ، ثم ابدأ وعجل بذكر الطيبين بالفرح والمسرة .

٩ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ سَلامٌ يَخُصُّهُ
يُبَلِّغُهُ الأدْنَى إلَيْهِ وَيَنْعَمُ

لكل واحد من هؤلاء السابقين سلام من المصنف ، رحمه الله ، يخصه بنفسه ، وهذا السلام يبلغه له الأدنى منه ؛ أي إن الذي سمع تسليم المصنف يبلغه إلى الأدنى منه ، والثاني يبلغه إلى الأدنى منه ، وهكذا .

وهذا السلام مصحوب بالترفه والفرح والمسرة

---

(١) حي هلا: هلم أو أقبل وعجل . حيّ: بمعنى أعجل ، وهلا: معناه حث واستعجال (معجم الشوارد النحوية) .

١٠ فَيَا مُحْسِناً بَلِغْ سَلامِي وَقُلْ لهُمُ
مُحِبُكُمُ يَدْعُو لكُمْ وَيُسَلِمُ

فيا كل من يريد أن يفعل الفعل الجميل والفعل الحسن ، بلغ سلامي إلى أولئك الذين سبقت الإشارة إليهم ، وأخبرهم بأن المصنف من الذين يحبكم في الله ، ويدعو لكم الله سبحانه بالتوفيق والثبات ، ويتمنى لكم كل خير ، وهو يسلم عليكم .

١١ ويَا لائِمِي فِي حُبِّهِمْ وَوَلائِهِمْ
تَأَمَّلْ هَدَاكَ اللهُ مَنْ هُوَ ألوَمُ[١]

يخاطب من يلومه ويعاتبه وينكر عليه لأنه أحب أتْباع السنة (المحضة) ؛ فيقول له: لو تريثت قليلاً وتمهلت ثم بحثت عن الحق ، سوف يتبين لك بعد التحري أن الذي يقع عليه اللوم هو أنت لا أنا؛ لأنني اتبعت سنة النبي ﷺ القائل: (المتحابون في الله على منابر من نور)، رواه أحمد: (٥/ ٢٣٧)[٢] .

فهل يلام من يتبع السنة أم الذي يخالفها هو أحق باللوم ؟ وإذا كانت محبة الصالحين والأخيار ذنباً يُلام عليه ؛ إذن تكون محبة الأشرار والفجار خيراً يُسعى إليه . وهذا فاسد لا يخفى على أحد .

١٢ بِأيِّ دَلِيل أمْ بأيَةِ حُجَّةٍ
تَرَى حُبَّهُمْ عَاراً عَلَيَّ وَتَنْقِمُ[٣]

يقول: أنت الذي تنقم عليَّ وتكثر في لومي على حب أحبابي ، وتظن أن حبهم ارتكاب معصية .

هل فعلك هذا لك فيه برهان أو نص من قرآن أو سنة ؟

---

(١) لائمي . اللوم: العذل .

(٢) وإسناده صحيح ـ المجلة ـ .

(٣) تنقم . نقم عليه: عتب عليه . انتقم الله منه: عاقبه (مختار الصحاح) .

١٣ وَمَا العَارُ إلا بُغْضُهُمْ واجْتِنَابُهُمْ

وحُبُّ عِداهُمْ ذاكَ عَارٌ وَمَأثَمُ[١]

العيب كل العيب هو مقتهم واجتنابهم ، وتركهم وحب غيرهم ممن ناصبهم العداء ؛ لا لشيء إلا لأنهم تمسكوا بدين الله ، فحبُ غيرهم هو العار والوقوع في الإثم .

١٤ أمَا وَالذي شَقَّ القُلُوبَ

وأوْدَعَ المَحَبَّةَ فيها حَيْثُ لا تَتصَرَمُ[٢]

يقسم بالخالق سبحانه الذي فطر القلوب على المحبة ، حيث أودع هذه الغريزة داخل القلوب الضعيفة ، ثم جعلها قادرة على التحمل وعدم التقطع.

١٥ وَحَمَّلها قَلبَ المُحِبِّ وإنَّهُ

لَيَضْعُفُ عن حِمْلِ القَميصِ وَيَألَمُ

١٦ وَذَلَلهَا حَتَّى اسْتكانتْ لِصوْلَةِ

المَحَبَّةِ لا تَلوى وَلا تَتَلعْثَمُ[٣]

جعل الله سبحانه المحبة في قلب المحب ، وجعله قادراً على حملها مع ثقلها ، بينما هو يستثقل حمل القميص أو الرداء الذي عليه ولا يقوى على حمله ويستثقل منه .

ومع هذا فهي خاضعة ذليلة قادرة على تحمل تطاول المحبة ، فلم تتردد ولم تباطئ في الاستجابة لندائها .

---

(١) عداهم: عدا: جمع أعداء .

(٢) تتصرم: تصرم: تجلد وتقطع .

(٣) وذللها . ذلَّ: من اللين وهو ضد الصعوبة . تذلل: خضع .
استكان: خضع (نهاية)
لصولة . صال: استطال أو وثب . تلوى . لوى عن الأمر: تثاقل .
تلعثم: تمكث وتوقف وتأنى (القاموس المحيط) .

١٧ وَذَلَّلَ فِيهَا أنْفُساً دُونَ ذُلِّهَا

حِيَاضُ المَنَايَا فَوْقَهَا وَهِيَ حُوَّمُ[(١)]

وجعل سبحانه وتعالى النفوس التي تحمل هذه القلوب ذليلة خاضعة أكثر من خضوعها المعتاد ، لأن النفوس التي تحمل القلوب المجروحة التي أصابتها سهام المحبة تكون دائماً مستكينة ليس لها هم إلا لقاء المحبوب . والموت فوقها وهي تدور تحته .

١٨ لأنْتُمْ عَلى قُرْبِ الدِّيَارِ وَبُعْدِهَا

أحِبَّتُنَا إن غِبتُمُ أوْ حَضرْتُمُ

الذي يكون ذكره في القلب ومحبته في الفؤاد فهذا هو الحبيب الذي يُذكر دائماً ولا يُنسى ، سواء أكان قريب المنزل أم لم يكن ، وسواء أكان حاضراً أم غائباً فإن طيفه لا يكاد يفارق الخيال .

١٩ سَلوا نَسَمَاتِ الرِّيح كَمْ قَدْ تَحَمَّلَتْ

مَحَبَّةَ صَبٍّ شَوْقُهُ لَيْسَ يُكْتَمُ[(٢)]

٢٠ وَشَاهِدُ هَذا أنَّها في هُبُوبِها

تَكَادُ تَبُثُّ الوَجدَ لَوْ تتكلمُ[(٣)]

يعبر ، رحمه الله تعالى ، عن شدّة حبّه ، ويريد أن يبرهن على صدق ادّعائه فيقول: سلوا نسمات الريح . أي كان الهواء الذي يمّر عليكم مشبع بالحبّ الذي يكنه قلبي . حبّ عاشق، أو تكتب حبّهُ وشوقه ظاهر يشعر به الجميع، ولا يكتم عن أحد. وعلاقة ذلك أن الريح التي تمرّ بكم تحمل معها شدة حبي وعظيم شوقي، فهي تريد أن تنشر هذا لكم، إلا أنها لا تتكلم .

---

(١) حياض المنايا . حياض: جمع حوض . المنايا: جمع منية وهي الموت .

(٢) صب . الصبابة: الشوق ، أو رقته ، أو رقة الهوى .
شوقه . الشوق: نزاع النفس ، وحركة الهوى .

(٣) تبث: تظهر وتنشر .
الوجد: الهوى والحب الشديد (تاج العروس)

٢١ وكُنْـتُ إذا ما اشْتَدَّ بِيَ الشَّوْقُ والجوى

وكَادَتْ عُرَى الصَّبْرِ الجميل تَفصَّـمُ [١]

٢٢ أعـــللُ نَفْـسِي بالتَّـــلاقِي وقُرْبه

وأوهــمُـهَا لكِنَّهـَا تَتَوَهَّـــمُ [٢]

٢٣ وأتْبِـعُ طـرْفِي وِجْـهَةَ أنتـــمُ بِهَا

فَلِي بحِـمَـاهَا مَـرْبَعٌ وَمُـخَيَّمُ [٣]

وكنت إذا اشتد بي ألم الهوى وشدة نزاع النفس إلى رؤياكم ، وأصابني الحزن العميق على فراقكم ، وأوشك أن تتقطع وتتكسر مقابض الصبر التي أتشبت بها ؛ فإذا أصابني هذا الشعور (أعلل نفسي بالتلاقي) .

وبعد أن يستحكم بي الشوق وألم الفراق فإني أشاغل نفسي وأحدثها بأن وقت اللقاء قد قرب ، وأنا أعلم أنه وَهمٌ لا حقيقة له ، ولكني أجلب هذا الظن لنفسي لكي تستقر وتسكن ، وأجعل عيني دائماً في ترقب إلى الجهة التي تسكنونها ، وقلبي متوجه إليكم لعلي أفوز منكم بنظرة ؛ لأن نفسي دائماً تحدثني بقدومكم كلما غفلت، فتراني دائم التطلع إلى جهتكم لأن لي بها دياراً ومنازل .

٢٤ وأذْكُـرُ بَيْتاً قالهُ بَـعْضُ مَـنْ خَـلا

وَقَدْ ضَـلَّ عَنْهُ صَـبْرُهُ فَهْوَ مُـغْرمُ [٤]

---

(١) الجوى: هوى باطن ، أو الحزن ، أو شدة الوجد (القاموس المحيط) .
عرى: جمع عروة . والعروة من الدلو والكوز: المقبض . تفصم: تتكسر .

(٢) أعلل: أشاغل . وأوهمها: الوهْم: من خطرات القلب . تتوهم: تظن .

(٣) طرفي: الطرف: العين ، أو البصر (القاموس المحيط) .
حماها: حمى: المكان الذي لا يُقرب . مربع: منزل القوم في الربيع خاصة . الرَّبع: الدار بعينها حيث كانت . مخيم: خيّم بالمكان: أقام به . تخيم: ضرب خيمة .

(٤) خلا: مضى . ضل: الضلال ضد الهدى ، يعني ضاع عنه صبره ولم يهتد إليه .
مغرم: أسير الحب ، أو المولع بالشيء .

٢٥ أسَائِلُ عَنْكُمْ كُلَّ غَادٍ وَرَائِحٍ

وَأُومِي إلى أوْطَانِكُمْ وَأسَلِّمُ [(١)]

بعد أن يتجه إلى الجهة التي هم فيها بقلبه قبل بصره ، فإن هذا لا يخفف من لوعته ولا يسكن شيئاً من آلامه ، فيتذكر ذلك البيت الذي قاله أحد الشعراء القدماء عندما اشتد عليه شوقه وضاع منه صبره فقال: « أسائل عنكم . . . » أي بعد أن انقطعت أسباب الوصال ، ولا أمل في التلاقي ، فإني أسأل عنكم الذاهب والقادم ، وأتقصى أخباركم ، وأحرك رأسي إيماءً إلى جهتكم ، ومع هذه الحركة ألقي عليكم السلام .

٢٦ وكَمْ يَصْبِرِ المُشْتَاقُ عَمَّن يُحِبُّهُ

وَفِي قَلْبِهِ نارُ الأسَى تَتَضَرَّمُ [(٢)]

إن المحب الذي حرق الشوق قلبه ، وألم الفراق يعصر فؤاده ، فإنه يصبر على فراق محبوبه صبراً مرغماً عليه ؛ فهو صابر ، ولكن نار الحزن مشتعلة في قلبه ولا تكاد تهدأ .

٢٧ أمَا وَالذِي حَجَّ المُحِبُّونَ بَيْتَهُ

وَلَبُّوا لهُ عِنْدَ المَهَلِّ وَأحْرَمُوا [(٣)]

يقسم بالله سبحانه ، الذي جاءه الناس من كل فج عميق ، قاصدين ذلك المكان الذي اختاره ليجعل فيه بيته الحرام ، الذي جعله قبلة للناس ، فهم يتوجهون إليه بقلوبهم ووجوههم . وقد فرض الله سبحانه الحج على الناس في العمر مرة واحدة للمستطيع ، ثم جعل التكرار سنة ، ورغب فيه ، كما روى الترمذي وغيره من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي

(١) غاد: الغدو: السير أول النهار . رائح: الرواح: السير آخر النهار .

(٢) الأسى: الحزن . تتضرم: تشتعل .

(٣) لبوا: تلفظوا بالتلبية ، وهي صيغة حددها الشرع ، وستأتي .
المهل: المكان الذي يهل فيه الحاج أو المعتمر .
أحرموا: دخلوا في الإحرام ، وهو التقيد بأمور حددها الشرع .

ﷺ أنه قال: (تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب)[1].

يقول: (ولبوا له...) أي إنهم عندما وصلوا إلى الميقات ، وهو المكان الذي لا يتجاوزه أي إنسان يريد الحج أو العمرة إلا وهو قد لبس لباس الإحرام. فعند وصولهم ذلك المكان رفعوا أصواتهم مهلين له سبحانه وتعالى.

٢٨ وَقَدْ كشَفُوا تِلكَ الرُّؤُوسَ تَوَاضُعاً
لِعزَّةِ مَنْ تَعْنُو الوُجُوهُ وَتُسلِمُ[2]

بعد أن يصل الحاج أو المعتمر إلى الميقات يستحب له أن يغتسل ويتنظف، وإذا احتاج إلى تقليم الأظافر أو حلق الشعر فعل ذلك ، ثم يسرح شعره ويتطيب ، ثم يتجرد من الملابس المخيطة ويلبس رداء وإزاراً . أما النساء فيحرمن في ملابسهن .

ذكر المصنف أنهم كشفوا رؤوسهم تواضعاً لعظمة الله الذي تخضع الوجوه له وتذلُّ وتُسلِم .

وهذا من باب ذكر الحِكمة من ورود الحُكم ، وهو أمر جيد أن يعرف الإنسان بعض الحِكَم من ورود الأحكام ، ولكن الأصل أن يأخذ الإنسانُ الحُكمَ على أنه حُكمٌ حَكَمَ الله به وقدّره ، ثم بعد ذلك يستنبط بعض الحِكَم إن استطاع ، لا أن يُعلق الحُكمَ على معرفة الحِكمة.

٢٩ يُهِلونَ بالبيْدَاء لبَّيْكَ رَبَّنا
لكَ المُلكُ وَالحَمدُ الذي أنْتَ تَعْلمُ[3]

---

(١) رواه أحمد: ٣٨٧/١ ، والترمذي: ٨١٠ ، والنسائي: ١١٥/٥، وابن خزيمة: ٢٥١٢. [ابن ماجة ٢٢٨٧ والحديث صحيح ، السلسة الصحيحة ١٢٠٠، ـ المجلة]

(٢) تعنو: قال الحق سبحانه ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم ﴾ قال الفراء: عنت الوجوه: نصبت له وعملت له ، (لسان العرب) .
قال ابن الأثير في النهاية عن حديث (إنه دخل مكة عنوة): وهو من (عنا يعنو) إذا ذل وخضع .

(٣) يهلون: أهل الملبي: رفع صوته بالتلبية .
البيداء: الصحراء .
لبيك: أي أنا مقيم على طاعتك إلباباً بعد إلباب وإجابة بعد إجابة (القاموس) .

بعد أن تجاوزوا الأماكن التي أحرموا من عندها وساروا في تلك الصحراء، فإن أصواتهم لا تفتر عن الذكر الذي سنه لهم رسول الله ﷺ ؛ ألا وهو رفع الصوت بالتلبية وهي: لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك . فهم يلهجون بهذا الذكر ولا تفتر ألسنتهم عنه .

٣٠ دَعَاهُمْ فلبَّوْهُ رضاً وَمَحبَّةً

فَلَمَّا دَعَوْهُ كَانَ أقْرَبَ مِنْهُمُ [(١)]

دعا ربُّنا سبحانه وتعالى عباده لزيارة بيته الحرام ، حيث يقول مخاطباً الخليل ، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً ﴾[(٢)] ، ويقول سبحانه: ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾[(٣)] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: (أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا)[(٤)] .

هذه دعوة من الله سبحانه وتعالى لعباده كي يزوروا بيته ، فتقاعس من خذله الله ، وانبرى لاستجابة هذه الدعوة من وفقه الله لطاعته . استجابوا له وقلوبهم يعصرها الشوق الذي تولد من الحب والرضا ؛ فهم راضون عنه ، ويسألونه أن يرضى عنهم ؛ فلما سألوه وألحوا عليه بالمسألة والإكثار من ذكره وتمجيده وتحميده ، كانت استجابته لهم أسرع من استجابتهم له .

٣١ تَرَاهُمْ عَلَى الأنْضَاءِ شُعْثاً رُؤُسُهُمُ

وغُبراً وَهُمْ فِيهَا أسَرُّ وأنْعَمُ [(٥)]

---

(١) لبّوه: أجابوا الدعوة .

(٢) سورة الحج: ٢٧ .

(٣) سورة آل عمران: ٩٧.

(٤) رواه مسلم: ١٣٣٧ .

(٥) الأنضاء: جمع نضو ونضوة وهو المهزول من الإبل (القاموس) .
شعثا: الأشعث: المغبر الرأس وكذلك الملبد الشعر .
غبرا: ترى عليهم الغبار .

تراهم قد ركبوا تلك الدواب التي أهزلتها الأسفار ، وأذهبت لحمها ، وهم عليها في الصحراء المترامية الأطراف ، وقد غبّر التراب وجوههم ، وأشعث رؤوسهم المكشوفة . ومع ما فيه من ضنك العيش وشدته ؛ إلا أنهم في غاية الفرح والسرور ، وكأنهم في رغد العيش ونعيمه ؛ لأنهم يأملون من مولاهم سبحانه أن يجازيهم على ما لاقوه من نصب في سبيله ؛ بأن يمنحهم رضوانه وأن يدخلهم جنته .

٣٢ وَقَدْ فَارَقُوا الأَوْطَانَ وَالأَهْلَ رَغْبَةً
وَلَمْ يُثْنِهِمْ لِذَّاتُهُمْ والتَّنَعُّمُ (١)

٣٣ يَسِيرُونَ مِنْ أقطارِهَا وفجاجِها
رجَالاً وَرُكْبَاناً وَللهِ أسْلَمُوا (٢)

لقد تركوا الأهل وتحملوا ألم فراقهم ، وتغربوا عن الأوطان وتحملوا ألم الحنين إليها . تركوا كل هذا رغبة بما عند الله سبحانه من النعيم المقيم ، وتحملوا مشقة السفر وما به من مخاطر وعذاب ، وآثروه على الملذات والنعيم والعيش الرغيد بين الأهل والإخوان ، ولم يمنعهم هذا من تحمل تلك المخاطر .

فجاءوا ملبين لدعوة الخالق سبحانه من جميع بقاع الأرض ؛ منهم الماشي على رجليه ، ومنهم الراكب على راحلته ، والجميع قد أسلم وجهه وقلبه إلى المولى جل في علاه .

٣٤ وَلَمَّا رأتْ أبصارُهُمْ بَيْتَهُ الذي
قُلُوبُ الوَرَى شَوْقاً إليْه تَضَرَّمُ (٣)

---

(١) رغبة: رغب فيه رغبة: أراده . لم يثنهم: لم يكفهم ولم يصرفهم .

(٢) أقطارها: القطر: الناحية والجانب ، وجمعه: أقطار .
فجاجها: الفج: الطريق الواسع بين الجبلين ، والجمع فجاج .
رجالاً: الراجل: ضد الفارس ، أي الذي يمشي على رجليه .
ركباناً: الذين يركبون الدواب وغيرها .

(٣) الورى: الخلق . تضرم: تشتعل .

٣٥ كأنَّهُـــمُ لـــمْ يَنْصبُوا قط قَبْلـــهُ

لأن شَقَاهُـــمُ قـــدْ تَرَحَّلَ عَنْهُـــمُ [١]

ولما وصلوا إلى البيت الحرام ، ومّتعوا أبصارهم برؤيته ؛ هذا البيت الذي طالما اشتاقت إليه قلوب العباد ، واحترقت من شدة الوجد لرؤيته .

وبعد الوصول والتمتع بالرؤية اطمأنت القلوب ، واستقرت الأفئدة ، واستراحت الأبدان ، وذهب الألم ؛ وكان جميع ما لاقوه من وعثاء السفر وشدته ونصبه ومشقته قد ذهب كله عنهم ؛ لأن السعادة التي غمرتهم قد أنستهم ذلك كله .

٣٦ فلله كَـــمْ مِـــنْ عَبْرةٍ مُـهْـــرَاقَةٍ

وأخْرى عـلـى آثارها لا تَـــقَـــدَّمُ [٢]

٣٧ وَقَدْ شَـرقَتْ عَيْنُ الـمُـحبِّ بدَمْـــعهَا

فيَنْظرُ مِـــنْ بَيْنِ الدُّمُوعِ وَيُسْجِـــمُ [٣]

يتعجب من كثرة ما تذرفه العيون من الدموع السائلة على الخدود ، وكلما خرجت دمعة تبعتها أخرى بعدها ، مباشرة ودون انقطاع ، وقد امتلأت عيونهم بالدموع ، فأصبحوا لا يستطيعون مشاهدة البيت بوضوح ، وإنما أصبح الدمع حاجزاً بين عيونهم وبين البيت؛ فهم ينظرون إليه من خلف الدموع التي قد ملأت العيون، ومع هذا فإن العيون مستمرة في ذرف المزيد من الدموع .

(١) ينصب: يتعب . ترحل: ذهب .

(٢) عبرة: الدمعة قبل أن تفيض ، أو تردد البكاء في الصدر .
مهراقة: أهراقه يهريقه فهو مهريق ومهراق: يعني صبه (القاموس) .
على آثارها: تأتي بعدها ، كأنها تمشي على أثرها .

(٣) شرقت: امتلأت حتى غصّت ، لأن الشَرَق: الغصة ، والغصة: ما اعترض في الحلق فأشرق .
يسجم: يسيل .

٣٨ إذا عَايَنتْـهُ العَيْـــنُ زَالَ ظلامُــــهَا

وَزَالَ عَنِ القلبِ الكئيـــبِ التَّألـــمُ [١]

إن بيت الله الحرام ، جعل الله فيه خاصيّةَ جذبَ القلوبَ إليهَ ، فهو يأسِرُ قلوب المحبين .

وكذلك لا تمل الأبصـار من النظر إليه ، فإذا أمعن فـيه الناظر زال الظلام عن عينيه ، وكذلك ينشرح صدره، ويطمئن قلبه ، ويزول عنه همه وغمه.

٣٩ وَلا يَعْرِفُ الطرْفُ الـمُـعَاينُ حُسْنَهُ

إلى أنْ يَعُودَ الطـرْفُ وَالشَّوْقُ أعْظـم [٢]

٤٠ وَلا عَـجَـبٌ مِـنْ ذَا فحِينَ أضَافَـهُ

إلـى نَفْسه الـرَّحْمـنُ فَهوَ الـمُعظمُ

إذا أبصر الإنسان الناظر إلى البيت مهابته وشَرفه وحسنه وجماله فإنه يتعلق به ، بحيث إذا صرف بصره عنه فإنه يعود لينظر إلـيه مرة أخرى ؛ لما يصيبه من الشوق إليه ولا يستطيع أن يصبر على عدم النظر إليه .

وليس في هذا عجب ، ولا هو بالأمر الغريب ؛ وذلك لأن الله سبحانه هو الذي شرفه وأضافه إلى نفسه العلية ؛ حيث قال: ﴿ وطهر بيتي ﴾[٣] .

وقال سبحانه: ﴿ أن طهرا بيتي ﴾[٤] ؛ فيقال: بيت الله .

٤١ كَـسَاهُ مِـنَ الإجْلالِ أعْـظـمَ حُـلةٍ

عَلَيْهَـا طِـرازٌ بِالـمُـلاحَـةِ مَـعْـلَمُ [٥]

---

(١) الكئيب: الحزين .

(٢) يعرف: يصبر: (لسان العرب) . الطرف: العين .

(٣) سورة الحج: ٢٦ .

(٤) سورة البقرة: ١٢٥.

(٥) الإجلال: التعظيم . حلة: إزار ورداء ، ولا تكون إلا من ثوبين .
الطراز: الهيئة . الملاحة: ملح الشيء فهو مليح أي حسن .
مَعْلم: ما يستدل به . وقد تكون: مُعْلَمْ: هو الذي يخبر بذلك .

٤٢ فَمِنْ أجْلِ ذا كُلُّ القُلوبِ تُحِبُّهُ
وَتَخْضَعُ إجلالاً لهُ وتُعظِّمُ

إن الله سبحانه وتعالى ألبس هذا البيت لباس تعظيم وإكرام ، ومزجه بحسن لا نظير له ، وجعل هذا علامة له ؛ فلأجل هذا إن العيون إذا رأته انخلعت القلوب شوقاً له وانقياداً إليه وتعظيماً ، ولا تصبر على فراقه .

٤٣ وَرَاحُوا إلى التَّعْرِيفِ يَرجُونَ رَحْمَةً
وَمَغْفِرةً مِمَّنْ يَجُودُ وَيُكْرِمُ[1]

بعد ما وصف لنا حال المحبين حينما وصلوا إلى البيت الذي طالما منَّوا أنفسهم بمشاهدته والصلاة فيه . وها هو يصف لنا ذهابهم إلى عرفات حيث الاجتماع الكبير ، وسؤال الجواد الكريم أن يمن عليهم بالرحمة والمغفرة .

٤٤ فَلِلهِ ذاكَ المَوْقِفُ الأعظَمُ الذي
كَمَوْقفِ يَوْمِ العَرضِ بَلْ ذاكَ أعْظَمُ[2]

تعجب من ذلك الموقف العظيم الذي يضم الناس من جميع أشكالهم وأجناسهم ، وهو في بعض جوانبه قد يشبه يوم القيامة ، إذ إن الناس على اختلاف مراتبهم في الدنيا قد اجتمعوا في مكان واحد ، وفي زمن واحد ، وكذلك لباسهم واحد ، ولا يستطيع الناظر أن يميز بين الغني والفقير ، ولا بين الشريف والوضيع ، ولا شك في أنه يشبهه في بعض الجوانب لا في جميعها ، حيث إن يوم القيامة أعظم وأعظم .

٤٥ وَيَدْنُو بِهِ الجَبَّارُ جَلَّ جلالُهُ
يُباهِي بِهِمْ أمْلاكَهُ فَهوَ أكْرَمُ[3]

---

(١) التعريف: عرفات ، وهو موقف الحجاج يوم التاسع من ذي الحجة .
يجود: جاد وأجاد: أتى بالجَيّد فهو مجواد .

(٢) يوم العرض: يوم القيامة .

(٣) يدنو: ينزل ويقرب ، مع أنه قريب بعلمه في كل مكان وزمان .
يباهي: يفاخر .

٤٦ يَقُولُ عِبَادي قَدْ أتَوْني مَحَبَّةً

وَإنّي بِهِمْ بَرٌّ أجُودُ وَأرْحَمُ

٤٧ فأشْهِدُكُمْ أنّي غفرْتُ ذُنوبَهُمْ

وَأعْطيْتُهُمْ مَا أمّلوهُ وأنْعَمُ[1]

يشير إلى حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:(إذا كان يوم عرفة فإن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة فيقول: ....

أشهدكم أني قد غفرت لهم ... الحديث)[2].

والحديث في سنده مقال ، وانظر ابن حبان: ٣٨٥٣ ، والسلسلة الضعيفة للألباني: ٦٧٩ ؛ ويشهد لبعض فقراته الحديث المتقدم تحت البيت رقم: ٤٥[3] .

والحديث يشير إلى أن الله سبحانه يشهد الملائكة على أنه غفر ذنوب جميع أهل الموقف ، وأعطاهم جميع ما كانوا يطلبون ويرجون ويتمنون ، وزادهم زيادة من فضله على طلباتهم .

٤٨ فبُشْرَاكمُ يا أهْلَ ذا المَوْقِفِ الذي

بهِ يَغْفرُ اللهُ الذنوبَ وَيَرْحَمُ

المصنف ، رحمه الله تعالى ، يَزفّ البشرى العظيمة الحارة إلى أهل الموقف في عرفات ، بأن الله تعالى غفر ذنوبهم وأدخلهم في واسع رحمته .

---

(١) أملوه: الامل: الرجاء ، يعني ما كانوا يرجونه ويتطلعون إليه .
أنعَم: فعل كذا ، وانعم: أي زاد (مختار الصحاح) .

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه: ٢٨٤٠ ، والبغوي في شرح السنة: ١٩٣١ .
[اشار ابن القيّم للحديث الصحيح الذي رواه مسلم ١٣٤٨ ، وغيره بلفظ « ما من يوم أكثر من أن يُعتقَ اللهُ فيه عبداً من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء ؟» - المجلة -].

(٣) [الشارح لم يشير إلى أي حديث ولعله يقصد ما ذكرناه من حديث عائشة في مسلم، المجلة]

٤٩ فَكَمْ مِنْ عَتِيقٍ فِيهِ كُمِّلَ عِتْقُهُ
وَآخَرُ يَسْتَسْعِي وَرَبُّكَ أَرْحَمُ[(١)]

أناس كثيرون حررهم الله سبحانه في هذا اليوم من أسْر الذنوب والخطايا، وتجاوز عنهم وغفر لهم زلاتهم ؛ لأنه جواد كريم رحيم بعباده .

وهناك آخرون لا يزالون يلحّون على ربهم بالدعاء ويطلبون منه أن يغفر لهم ويتجاوز عن سيئاتهم. وهو سبحانه أرحم بعباده من أنفسهم على أنفسهم.

٥٠ وَمَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ أَغْيَظَ فِي الوَرَى
وأَحْقَرَ مِنْهُ عِنْدَهَا وَهْوَ ألأَمُ[(٢)]

٥١ وَذَاكَ لأَمْرٍ قَدْ رَآهُ فَغَاظَهُ
فَأَقْبَلَ يَحْثُو التُّرْبَ غَيْظاً وَيَلْطِمُ[(٣)]

٥٢ لِمَا عَايَنَتْ عَيْنَاهُ مِنْ رَحْمَةٍ أَتَتْ
وَمَغْفِرَةٍ مِنْ عِنْدِ ذِي العَرْشِ تُقْسَمُ[(٤)]

لم يمر على الشيطان يوم هو أكثر وأشد غضباً ولا أعمق حزناً من يوم عرفة ؛ فإنه ـ مع حزنه وغضبه ـ فهو حقير ذليل لئيم . وذلك لما يرى من إقبال العباد على ربهم ، وكثرة دعائهم ، وشدة تضرعهم ؛ وكذلك ما يرى

(١) عتيق: العتق: الحرية ، يعني قد فكّ أسره من ذنوبه .
يستسعي: استسعى العبدَ يعني كلفه من العمل ما يؤدي به عن نفسه إذا أعتق بعضه ليعتق به ما بقي (القاموس المحيط) .

(٢) أغيظ: الغيظ شدة الغضب . الورى: الخلق .
الأم: اللئيم: الدنيء الأصل الشحيح النفس .

(٣) يحثوا التراب: يرمي التراب على نفسه (النهاية في غريب الحديث) .
لطم: اللطم: الضرب على الوجه بباطن الراحة .

(٤) تقسم: تجزأ وتوزع .

من تنزل رحمات الله على عباده .

عن طلحة بن عبيدالله بن كرز أن رسول الله ﷺ قال: (ما رئي الشيطان يوماً هو أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيض منه في يوم عرفة ، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام ... الحديث)[1].

٥٣ بَنى مَا بَنَى حَتَّى إذَا ظَنَّ أنَّهُ
تَمَكَّنَ مِنْ بُنْيَانِهِ فَهوَ مُحْكَمُ[2]

٥٤ أتَى اللهُ بُنْيَاناً لَهُ مِنْ أسَاسِه
فَخَرَّ عَلَيْهِ سَاقِطاً يَتَهَدَّمُ

٥٥ وكَمْ قَدْرُ مَا يَعْلو البِنَاءُ وَيَنْتَهِي
إذا كَانَ يَبْنِيهِ وَذُو العَرْشِ يَهْدِمُ

إن الشيطن أفرغ كل ما يستطيع من طاقة في إضلال الناس ، واستخدم جميع جنده ، حتى ظن أن الناس قد هلكوا جميعهم ؛ لما يرى من ارتكاب الفواحش، وإتيان المنكرات، وفرح بذلك ، لكنه رأى رجوعهم إلى الله وكثرة دعائهم وتضرعهم إلى بارئهم ؛ وكذلك ما يرى من رحمة الله بعباده، وقبولهم عنده ، وغفرانه لذنوبهم جميعاً ، وإرجاعهم كيوم ولدتهم أمهاتهم.

وبهذا يكون كل ما بناه الشيطان قد تهدم ولم يبق له أثر ، وكيف للبنيان أن يرتفع إذا كان الشيطان يبني والله يهدم؛ فمهما سعى الشيطان في الإفساد بين عباد الله المؤمنين، فإن الله سبحانه جعل لهم مواسم ينزل عليهم فيها رحمته فإذا تعرض الإنسان إلى نفحات الله فلا يبقى عليه من الذنوب شيء.

---

(١) رواه مالك في الموطا ، كتاب الحج حديث: ٢٤٥ ، ٤٢٢/١ ، وهو مرسل . قال الزرقاني في شرح الموطا: ٣٩٥/٢: وصله الحاكم في المستدرك عن أبي الدرداء .
قال ابن عبدالبر في التمهيد: ١١٦/١ : هذا حديث حسن في فضل شهود ذلك الموقف المبارك، وفيه دليل على الترغيب في الحج ، ومعنى هذا الحديث محفوظ من وجوه كثيرة، وفيه دليل على ان كل من شهد تلك المشاهد يغفر الله له ، إن شاء الله .

(٢) محكم: متقن البناء .

٥٦ وَرَاحُـوا إلـى جَمْـع فبَاتُوا بمشْعَر

الحَـرَام وَصلوا الـفـجْرَ ثُمَّ تَقدَّمـوا [(١)]

٥٧ إلى الـجْمرة الكبْرى يُريـدُونَ رَمْيَها

لـوَقْت صلاةِ الـعيـدِ ثمَّ تيـمَّـموا [(٢)]

٥٨ مَنَازِلهُـمْ للنَّحر يَبْغُونَ فَضْلَهُ

وإحْيـاءَ نُسْكٍ مِـنْ أبيهِـمْ يُـعَظّمُ [(٣)]

ثم يتابع الإمام ، رحمه الله تعالى ، رحلة الحجاج بعد وقوفهم في عرفات ، وبعد تحقق غروب الشمس ، فإنهم ينفرون من عرفات إلى المزدلفة ويبيتون بها ويصلون صلاة الصبح ، ثم الدعاء عند المشعر الحرام . والمزدلفة هي المشعر الحرام . قال عمرو بن ميمون: سألت عبدالله بن عمرو عن المشعر الحرام فسكت حتى هبطت أيدي رواحلنا بالمزدلفة قال: أين السائل عن المشعر الحرام ؟ هذا المشعر الحرام . وقال ابن عمر: المشعر الحرام المزدلفة كلها [(٤)] .

فيبقى يدعو ويتضرع إلى العلي القدير حتى يسفر جداً وقبل شروق الشمس يتوجهون إلى الجمرة الكبرى . وأشار المصنف ، رحمه الله ، إلى أن وقت رمي الجمرة هو وقت صلاة العيد الذي لا يُصلى إلا إذا ارتفعت الشمس ، وهذا هو الصحيح في رمي الجمرة . على خلاف ما يفعله كثير من الناس ؛ فإنهم يمكثون في المزدلفة إلى بعد نصف الليل ثم يذهبون إلى الجمرة فيرمونها قبل الفجر ، وهذا خلاف السنة . ويحتج بعضهم بأن النبي

---

(١) جمع: مزدلفة: سميت به لاجتماع الناس بها .
المشعر الحرام: كل مزدلفة مشعر .

(٢) الجمرة الكبرى: هي التي تكون الأولى من جهة الكعبة ، والأخيرة من جهة مزدلفة .
رميها: ترمى بسبع حصيات مثل حصى الخذف . تيمموا: قصدوا .

(٣) نسك: العبادة أو الذبح ، وهو المقصود هنا .
أبيهم: أبو الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٤١/١ ـ ٢٤٢ .

ﷺ رخص للضعفة من الناس أن يتقدموا من مزدلفة إلى الجمرة بليل [1]، وهذا صحيح ، إلا أنه ﷺ لم يأمرهم أن يرموا قبل الشروق . وإنما الصحيح أن يمكث الحاج في المزدلفة يدعو ، وقبيل الشروق يتوجه إلى الجمرة الكبرى فيرميها بسبع حصيات التقطها من المزدلفة . وبعد الرمي يذهبون إلى منازلهم التي هي في منى ، فينحروا هديهم ، راجين من الله سبحانه أن يتقبل منهم وأن يمن عليهم من فضله العميم ؛ فإنه سبحانه جواد كريم .

وهي (عملية النحر) إحياء وتعظيماً لنسك الخليل إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم .

٥٩ فلَوْ كان يُرْضِي اللهَ نَحرُ نُفُوسِهِمْ
لَدَانُوا بِهِ طَوْعاً وَلِلأمْرِ سَلَّمُوا [2]

٦٠ كَما بَذلوا عِنْدَ الجِهَادِ نحُورَهُمْ
لأعْدائِه حَتى جَرَى مِنْهُمُ الدَّمُ [3]

٦١ ولَكِنَّهُمْ دانُوا بِوَضْعِ رُؤُوسِهِمْ
وَذَلِكَ ذُلٌّ لِلعَبِيدِ وَمِيْسَمُ [4]

أمرهم الله سبحانه وتعالى بنحر الهدى فاستجابوا له ابتغاء مرضاته ، ولو علموا أن مرضاته عنهم تكون بذبح أنفسهم لفعلوا ذلك طائعين مسرعين في التنفيذ ، ومسلمين الأمر إليه سبحانه ، ولم يكن هذا مجرد ظن أو كلام لا واقع له ، بل هو حقيقة ؛ وأدل دليل عليه أنهم بذلوا دماءهم وأرواحهم وأموالهم رخيصة في سبيله وفي قتال أعدائه من الكفار .

كما أطاعوه في القتل والقتال في المعركة ، فإنهم أطاعوه هنا بحلق

---

(١) انظر صحيح مسلم من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهم .

(٢) نحر: ذبح . دانو: ذلوا . طوعاً: انقياداً .

(٣) بذلوا: أعطوا وجادوا . نحورهم: النحر هو موضع القلادة من الصدر . وهو المكان الذي منه تذبح الذبيحة .

(٤) ميسم: الجمال وكذلك المكواة .

الرؤوس ، وهذا هو غاية في الخضوع وعلامة على ذل العبد بين يدي سيده ومولاه . إذا حملنا معنى كلمة (ميسم) على الجمال فإن المعنى: إن عملية حلق الرؤوس تزيد الحاج جمالاً وبهاءً . أما إذا كان المعنى لكلمة (ميسم) هو المكواة . كان المعنى: إن عملية حلق الرؤوس هي الطريقة التي يبرهن العبد بها على ذله وخضوعه لربه سبحانه وتعالى .

٦٢ وَلَمَّا تَقَضَّوْا ذَلِكَ التَّفْثَ الذي
عَلَيهِمْ وأَوْفُوا نَذْرَهُمْ ثُمَّ تَمَّمُوا[١]

بعد أن فعلوا الأمور التي على الحاج أن يقوم بها في ذلك اليوم من رمي الجمرة الكبرى ونحر الهدي وحلق الرؤوس . وفيه إشارة إلى قول الله سبحانه: ﴿ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم﴾[٢] .

٦٣ دَعَاهُمُ إلى البَيْتِ العَتيقِ زِيَارَةً
فَيَا مَرْحَبَاً بِالزَّائِرِينَ وَأَكْرِم

٦٤ فَللهِ مَا أَبْهَى زِيَارَتَهُمْ لَهُ
وَقَدْ حُصِّلَتْ تِلْكَ الجَوائِزُ تُقْسَمُ[٣]

٦٥ وَللهِ أَفْضَالٌ هُنَالِكَ وَنِعْمَةٌ
وبرٌّ وَإِحْسَانٌ وَجُودٌ وَمَرْحَمُ[٤]

---

(١) تقضوا: قاموا بما عليهم من الأعمال حتى فرغوا منها .
التفث: إما أن يكون وضع الإحرام عن حلق الرأس وفعل الأمور التي كانت محظورة حال الإحرام ، وإما أن يكون هو المناسك نفسها ، كما ذكر ابن كثير في تفسيره: ٣/٢١٧ .
النذر: إما أن يكون النذر الذي أوجبه الإنسان على نفسه ، أو ذبائح الهدي ، أو جميع أعمال الحج .
تمموا: أتوا بجميع الأعمال التي عليهم في ذلك اليوم تامة من غير نقصان .

(٢) سورة الحج: ٢٩ .

(٣) أبهى: البهاء: الحسن .

(٤) إفضال: إحسان ، وأفضال: زيادة في العطاء والفضل .
نعمة: منة . بر: إحسان . جود: السخاء والكرم . مرحم: الرحمة: الرقة والمغفرة والتعطف .

إشارة إلى قوله سبحانه: ﴿ وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾[1] ؛ وقوله جل في علاه: ﴿ ثم محلها إلى البيت العتيق ﴾[2].

يقول المصنف، رحمه الله: هي دعوة من الله سبحانه لعباده بزيارة بيته العتيق .

وسُمِّي البيتُ بالعتيق: إما لقدمه ، حيث قال سبحانه: ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة ﴾[3].

وإما لأن الله سبحانه وتعالى أعتقه من الجبابرة أن يُسَلطوا عليه . لأنه لم يُرده أحد بسوء إلا هلك ؛ وإما لأنه أعتق يوم الغرق زمان نوح[4].

فلما دعاهم لزيارة بيته استجابوا له . فيا مرحباً بهم من زوار ، وأكرم بها من زيارة ، وأعظم به من مزور .

(فلله ما أبهى) يتعجب من شدة حسن وجمال هذه الزيارة ، وقد فازوا بالجوائز القيمة من المولى جل في علاه؛ فهو يقسمها عليهم كل بحسب ما قدم من إخلاص نية وحسن عمل وشدة تضرع وطول قيام وكثرة بكاء .

٦٦ وَعـادُوا إلـى تلكَ الـمَـنَازل منْ منى
وَنـالـوا مُنـاهُـم عِـنْـدَها وَتَنعَّمُـوا[5]

٦٧ أقـامُـوا بِـهـا يَـومـاً ويوماً وثالثاً
وَأَذَّنَ فِـيهـمْ بِالـرَّحـيـلِ وأعْـلمـوا

---

(١) سورة الحج: ٢٩.

(٢) سورة الحج: ٣٣.

(٣) سورة آل عمران: ٩٦ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير: ٢١٨/٣ .

(٥) منى: قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: ١٩٨/٥: منى: في دَرَج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار من الحرم . سمي بذلك لما يمنى به من الدماء ، أي يراق . وقيل لأن آدم عليه السلام تمنى فيها الجنة . وقال ابن شميل: سمي منى لأن الكبش مني به ، أي ذبح . أ.هـ .

٦٨ وَرَاحُـوا إلـى رَمْـي الجِـمَـارِ عَشِيَّةً

شِـعَـارُهُـمُ التَّكْبِيرُ واللهُ مَـعْـهُـمُ[١]

يقول ، رحـمه الله تعـالى: إنهم أقامـوا بمنى ثلاثة أيام ، وبعدها أعـلموا بالذهاب من منى ؛ وفـيه إشارة إلى قـول الحق سبـحانه: ﴿ فمن تـعجل في يومين فـلا إثم عليـه ومن تأخـر فـلا إثم عليـه لمن اتقى ﴾[٢] . وفي كل يوم من هذه الأيام يذهبون بعد الزوال لرمي الجمار .

ويصف حـالهم وهم ذاهبـون ؛ بأن ألسـنتـهم لا تفـتـر من التكبيـر ، مع استشعارهم معية الله سبحانه .

٦٩ فـلـوْ أبْـصَـرتْ عَيْناكَ مَـوْقِـفَـهُمْ بها

وَقَـدْ بَـسَـطُـوا تـلكَ الأكُفَّ لِيرحمُوا

٧٠ يُـنَـادُونَـــهُ يَـا رَبُّ يَـا رَبُّ إنَّـنَـا

عَبِيـدُكَ لا نـدْعُـو سِـواكَ وَتـعْلَـم

٧١ وَهـا نـحْـنُ نرْجُو منْكَ مَا أنْتَ أهْلُهُ

فـأنْـتَ الذي تُـعْـطـي الجزيلَ وَتُنْعِمُ[٣]

لو رأيتـهم بعـد رمي كل جـمـرة قيـامـاً رافـعي أيديهم ، ووجـوههم نحـو القـبلة، وقلوبهم نحـو خالقـهم يلحّون عليـه بالمسألة ويتـضـرعون إليـه بخشـوع وتمسكن عساهم ينالوا رحمته ورضاه .

وألسنتهم تنطق ببعض ما في قلوبهم، لأن اللسـان في كثير من الأحيان لا يستطيع أن يعبـر بكل ما في القلب . ينادونه بالاعتراف بتقصيرهم في حقه، وذكر الضعف والحاجة ؛ فهم عـبيد وهو ربهم وهو أعلم بهم من أنفسهم .

---

(١) عشية: العشي: يبدأ بعد الزوال إلى المغرب (النهاية في غريب الحديث) .

(٢) سورة البقرة: ٢٠٣ .

(٣) الجزيل: العظيم الكثير .

ويقولون ـ بلسان الحال قبل المقال ـ إنهم يعبدونه ولا يشركون معه أحداً .

ويطلبون من مولاهم سبحانه أن يتفضل عليهم ويعاملهم بما هو أهله ، فإنه هو أهل التقوى وأهل المغفرة .

٧٢ وَلَمَّا تقضَّوا مِنْ مِنى كُلَّ حَاجَةٍ
وَسَالَتْ بِهِمْ تِلكَ البِطاحُ تقدَّمُوا [١]

٧٣ إلى الكَعْبَةِ البيْتِ الحَرَامِ عَشيَّةً
وَطَافُوا بِهَا سَبْعاً وَصَلوا وَسَلمُوا

لما أتموا كل ما عليهم من الأعمال التي يقوم بها الحاج في أيام منى ارتحلوا منها متجهين إلى البيت الحرام، وذلك بعد الزوال، أي بعد رميهم الجمار؛ سواء أكان ذلك في اليوم الثاني من أيام التشريق لمن أراد أن يتعجل، أم في اليوم الثالث لمن أراد أن يتأخر، وهو الأفضل ؛ لأنه فعل النبي ﷺ.

وقد تؤخذ الأفضلية أيضاً من قول الله تعالى: ﴿ ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى ﴾[٢] .

وعندما وصلوا إلى الكعبة ، شرفها الله ، طافوا بها طواف الوداع ، وصلوا في المسجد الحرام ما كتب الله لهم .

٧٤ وَلَمَّا دَنا التَّوديعُ مِنهُمْ وأيقَنُوا
بأنَّ التَّدَاني حَبْلُهُ مُتَصَرِّمُ [٣]

٧٥ وَلَمْ يَبْقَ إلا وَقْفَةٌ لِمُوَدِّعٍ
فَللهِ أجْفَانٌ هُنَاكَ تُسَجِّمُ [٤]

---

(١) تقضوا: قاموا بما عليهم من الأعمال حتى فرغوا منها . البطاح: جمع أبطح ، والأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى (القاموس المحيط) .

(٢) سورة البقرة: ٢٠٣ .

(٣) التداني: القرب . متصرم: متقطع .

(٤) تسجم: سال دمعها .

وبعد أن تيقنوا أنهم عن قريب سوف يغادرون هذا المكان الطاهر الذي تعلقت به قلوبهم ، واشتد إليه شوقهم ، وأن القرب الذي يعيشونه هذه اللحظات لم يدم لأن حبله قد تقطع ، ولم يبق بينهم وبين أن يغادروا إلا وقفة يقفها المحب ، لينظر إلى البيت النظرة الأخيرة كي يودعه ؛ ففي هذه اللحظات سالت الأجفان بالدموع المتابعة التي لا انقطاع لها .

٧٦ ولله أكْبَادٌ هُنَالِكَ أودِعَ
الغَرَامُ بِهَا فالنَّارُ فِيهَا تَضَرَّمُ[١]

٧٧ ولله أنفَاسٌ يَكَادُ بِحَرِّهَا
يَذُوبُ المُحِبُّ المُسْتَهَامُ المُتَيَّمُ[٢]

٧٨ فلمْ تَرَ إلا بَاهِتاً متحيِّراً
وآخَرَ يُبْدِي شَجْوَهُ يَتَرنَّمُ[٣]

يتعجب من هذه الأكباد التي جُعل فيها الغرام وديعة . والغرام هو شدة الألم الذي يجده المحب إذا فارق محبوبه ؛ قال سبحانه: ﴿ إن عذابها كان غراما ﴾[٤] .

فهذه الأكباد تتعذب عذاباً لا يطاق إذ النار تشتعل فيها على فراق الأحبة.

ويتعجب كذلك من تلك الأنفاس التي تزفر الهواء الساخن ، بسبب نار الفراق المستعرة في جوف المحبين الذين استولى عليهم الحب وشدة الوجد ؛ فهذا حالهم بعد ما همّوا بالرحيل: إما أن يكون أحدهم متحيراً لا يدري كيف يتحمل ألم الفراق ، وفريق آخر يبدي أحزانه بصوت حزين قد حسَّنه ليتلو به آيات من كتاب ربه أو كلمات يتضرع بها إلى سيده ومولاه . يفعل هذا كي يخفف ما به من ألم الفراق .

---

(١) أودع: جُعل الغرام فيها وديعة . تضرم: تشتعل .
(٢) المستهام: هائم: الذي لا يدري أين يذهب . المتيم: الذي صيره الحب عبداً ذليلاً .
(٣) باهتاً: بَهت: دهش وتحير . شجوه: همه وحزنه . يترنم: يُرجِّع صوته .
(٤) سورة الفرقان: ٦٥ .

٧٩ رَحَلتُ وأشْواقي إليْكُمْ مُقيمةٌ

وَنَارُ الأسَى منّي تَشِبُّ وَتضْرِمُ[(١)]

٨٠ أوَدِّعُكُمْ وَالشَّوْقُ يَثْني أعنَّتي

وَقَلبيَ أمْسَى في حِمَاكُمْ مُخَيِّمُ[(٢)]

٨١ هُنَالِكَ لا تثْريبَ يَوْماً عَلى امْرِئٍ

إذا مَا بَدَا مِنْهُ الذي كَان يَكْتُمُ[(٣)]

نعم ، أنا انتقلت من تلك الديار بجسدي ، أما قلبي وأشواقي ومشاعري فهي لا زالت مقيمة هناك في دار المحبين . أما الجسد ، فهو وحده الذي غادر وارتحل . ارتحل والنار الملتهبة من شدة الحزن تشتعل وتوقد في داخله.

أريد أن أفارقكم ، ولكن الاشتياق إليكم هو الذي يمنعني من الذهاب ، ويحاول أن يرجعني إليكم ؛ وكذلك قلبي ، لا يريد أن يفارق المكان الذي أنتم به ؛ لأنه حل وأقام في أرضكم .

أما في ساعة التوديع والفراق ، فليس على الإنسان لوم ولا تأنيب إذا أعلن عن الذي في داخله من الشوق ، لأنه لا يستطيع أن يكتمه .

٨٢ فيَا سَائِقينَ العِيسِ باللهِ رَبِّكُمْ

قِفُوا لي عَلى تِلكَ الرُّبُوعِ وَسَلِّمُوا[(٤)]

٨٣ وَقولوا مُحِبٌ قادَهُ الشَّوْقُ نَحْوَكُمْ

قضى نَحْبَهُ فِيكُمْ تعيشُوا وَتسْلَمُوا[(٥)]

---

(١) الأسى: الحزن . تشب: توقد . تضرم: تُشعل .

(٢) يثني: ثناه: كفه وصرفه عن حاجته . أعنة: جمع عنان وهو لجام الفرس .

(٣) تثريب: التعبير والاستقصاء في اللوم .

(٤) العيس: الإبل البيض مع شقرة يسيرة (النهاية) .

(٥) قضى نحبه: أدرك ما تمنى ، أو قضى نذره ، أو هو الموت ، (لسان العرب).

يناشد الذين يقومون على قيادة القافلة ، ويستحلفهم أن يقفوا قليلاً في ديار الأحبة؛ كي يسلموا على أهلها ، ويخبروهم أن في القافلة من أسرهُ الشوق فيكم ، وساقهُ إليكم ، ثم قضى فيكم ما كان يتمنى . فها هو جاء إليكم ، وحل في دياركم ؛ وهذه كانت أمنيته ، ثم ارتحل بعد ما قضى فيكم نحبه .

٨٤ قَضَى اللهُ رَبُّ العَرْشِ فيمَا قَضَى به
بأنَّ الهَوَى يُعْمِي القلوبَ ويُبكِمُ[١]

٨٥ وَحُبُّكُمُ أصْلُ الهَوَى وَمَدَارُهُ
عَلَيْه وَفوْزٌ للمُحبِّ وَمَغْنَمُ

إن الله سبحانه وتعالى قدر وكتب أن مَن أحب أحداً فإن قلبه يتعلق به ، فلا يستطيع أن يرى شيئاً إلا عن طريقه ، ولا يعقل إلا بوساطته ؛ فما أحبه الحبيب فهو الحسن ، وهو الحق ، والصواب ؛ وما خالفه فلا سبيل في الوصول إليه .

وإذا كان الأمر كذلك ؛ فإن حبي وأشواقي فيكم ؛ فلا سبيل إلى قلبي إلا من قِبَلكم . قال الحق سبحانه: ﴿ والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾[٢]. ومن كان على هذه الشاكلة فهو الفائز الرابح في الدنيا والآخرة .

٨٦ وَتفْنَى عظَامُ الصَّبِّ بَعْدَ مَمَاته
وأشْوَاقُهُ وَقْفٌ عَليْه مُحَرَّمُ[٣]

كل ميت سوف تبلى عظامه وتصبح رميماً ، وكذلك المحب أيضاً ، لكن أشواقه باقية لم تذهب كبقاء الوقف؛ فإنه لا يجوز لأحد أن يبيعه أو يفسده.

---

(١) الهوى: الميل والعشق ، ويكون في الخير والشر .
يبكم: البكم: الخرس ، أو أن يولد ولا ينطق ولا يسمع ولا يبصر (القاموس) .

(٢) سورة البقرة: ١٦٥ .

(٣) تفنى: تعدم وتبلى . الصب: المحب .

٨٧ فَيَا أيهَا القَلبُ الذي مَلكَ الهَوَى

أزمَّتهُ حَتَى مَتى ذا التَلَوُّمُ[(١)]

٨٨ وَحَتّامَ لا تَصْحُو وَقدْ قربَ المَدَى

وَدَنَتْ كُؤُوسُ السَّيْر والنَّاسُ نُوّمُ[(٢)]

٨٩ بَلى سَوْفَ تصْحُو حينَ يَنْكَشفُ الغطا

وَيَبْدو لكَ الأمْرُ الذي أنْتَ تكْتُمُ

يخاطب قلوب المؤمنين الذين أسرت في حب الله، واستولى عليها الشوق إلى لقائه . يقول لهم: لِمَ أنتم غافلون ؟ وإلى متى هذه الغفلة ؟ ألم يأن لكم أن تفيقوا ؟ ألم تعلموا أن الحياة قصيرة ؟ بل هي ساعات تُعَدْ ، وقد قرب وقت الرحيل ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

نعم ، سوف تعلم الحقيقة بعد أن تتضح لك الأمور ، ولكن في وقت لا ينفع فيه الندم ؛ كما يذكر عن علي رضي الله عنه: « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا »[(٣)]. فسوف ترى في ذلك اليوم ما لم تره في الدنيا ؛ قال تعالى: ﴿ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾[(٤)].

٩٠ وَيَا مُوقِداً ناراً لِغَيْركَ ضَوْءُهَا

وَحَرُّ لَظاهَا بَيْنَ جنْبَيْك يَضْرِمُ[(٥)]

٩١ أهذا جَنَى العلم الذي قدْ غَرسْتَهُ

وَهَذا الذي قَدْ كُنْتَ تَرجُوهُ يُطعمُ[(٦)]

---

(١) أزمة: جمع زمام وهو ما يشد به . زم البعير: خطمه . التلوم: الانتظار والتمكث .

(٢) حتام: مكونة من (حتى) الجارة و(ما) الاستفهامية . المدى: الغاية .
دنت كؤوس السير: حان وقت الرحيل .

(٣) انظر المقاصد الحسنة: ١٢٤٠ ، والسلسة الضعيفة: ١٠٢ .

(٤) سورة ق: ٢٢ .

(٥) لظاها: لهبها . يضرم: يشتعل .

(٦) جنى: ما يلتقط من الثمر .

٩٢ وَهـذا هُـوَ الحـظُّ الذِي قـدْ رَضِيتَهُ

لنَـفْسكَ فـي الـدَّارَيْن جَـاهٌ وَدِرْهَـمُ[١]

٩٣ وَهَـذا هُـوَ الـرِّبْـحُ الـذي قدْ كَسبْتَهُ

لـعَـمْـرُكَ لا رِبْـحٌ وَلا الأَصْـلُ يَسْلَمُ[٢]

يضرب مثلاً لكل من يقدم للناس ما ينفعهم ، سواء أكان ذلك في أمور الدين أم الدنيا ، فإن كل إنسان قبل أن يفكر بنجاة غيره عليه أن يفكر بنجاة نفسه ، لا أنْ يُنير للناس طريقهم ويمشي هو في الظلام .

إن العلمَ الذي تعلمته ، وأتعبت نفسك في تحصيله ، وضيعت الكثير من الوقت من أجله ؛ هل أخلصت فيه النية لله ؟

وهل كل ما رجوته من تعلمك للعلم هو أن تحصل على بعض المال ؟ أو أن تكون لك الوجاهة عند الناس ؟ أو أن تتصدر المجالس ؟ أهذا هو حظك من العلم في الدنيا والآخرة ؟

فإن هذا المكسب الذي حصلت عليه شيءٌ فانٍ سرعان ما يزول عنك بمجرد موتك ، ولكن تبقى عليك تبعاته .

فلا شك في أن من تعلم العلم الشرعي لغير وجه الله فإنه سوف ينال العقاب الأليم من الله تبارك وتعالى . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله عز وجل ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا ؛ لم يجد عرف الجنة يوم القيامة)[٣] ؛ يعني ريحها .

---

(١) الحظ: النصيب . الدارين: الدنيا والآخرة .
جاه: القدر والمنزلة .

(٢) لعمرك: مكونة من (لام الابتداء) ولفظ القسم الصريح (عمرك) ويعرب مبتدأ محذوف الخبر وجوباً تقديره (قسمي) . انظر معجم الشوارد النحوية ، وإعراب القرآن لمحي الدين الدرويش .

(٣) رواه أحمد: ٢/٣٣٨ ، وأبو داود: ٣٦٦٤ ، وانظر ابن ماجه وابن عبدالبر ، وهو صحيح [يراجع « اقتضاء العلم العمل » تحقيق الألباني رقم: ١٠٢ ، المجلة] .

قوله: (لا ربح ولا الأصل يسلم): يعني الذي تعلم لغير الله لا يؤجر يوم القيامة ، ولا يسلم بنفسه من العذاب .

٩٤ بَخِلتَ بِشَيءٍ لا يضُرُّكَ بَذْلهُ
وَجُدْتَ بِشَيءٍ مِثلهُ لا يُقَوَّمُ[١]

٩٥ بَخِلتَ بِذا الحظ الخَسيس دَناءَةً
وَجُدْتَ بِدار الخُلدِ لو كُنْتَ تَفْهَمُ[٢]

٩٦ وَبِعْتَ نَعِيماً لا انْقِضاءَ لهُ ولا
نظيرَ بِبَخْس عَنْ قَليل سَيُعْدَمُ[٣]

٩٧ فهَلا عكَسْتَ الأمْرَ إنْ كُنْتَ حَازِماً
ولَكِنْ أضَعْتَ الحزْمَ لوْ كُنتَ تَعلمُ[٤]

المال الفاني الذي حرصت على جمعه وتخزينه ومنعت إنفاقه في وجوه الخير ؛ لو أنفقته فلا يضرك إنفاقه ، بل حبسه هو الذي يضرك ، وهو من تزيين الشيطان ؛ قال الله تعالى: ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ﴾[٥]. عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال: (ما نقصت صدقة من مال . . .)[٦] .

ومقابل هذا البخل والحرص قد جدت وبذلت وزهدت بالجنة والنعيم الدائم ، وما هذا إلا من قلة فهم وسوء تصرف ؛ لأن نعيم الجنة ليس له

---

(١) بَذْله: جاد به وأعطاه . وجدت: الجواد: السخي . لا يُقوَّم: لا تحدد قيمته .

(٢) الخسيس: الدنيء الحقير . الدنيء: الخبيث .

(٣) نظير: المثل . ببخس: بنقص . سيعدم: سيفقد .

(٤) الحزم: ضبط الأمر ، أو ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة .

(٥) سورة البقرة: ٢٦٨ .

(٦) رواه مسلم: ٢٥٨٨ .

شبيه ولا نظير ، لأنه لا ينفد: ﴿ لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾[1] . فكيف يستبدل الإنسان الخسيس الحقير الفاني بالنفيس الباقي.

هذه عروض الدنيا التي فضلتها على نعيم الآخرة لا قيمة لها ، ولا تنفع صاحبها بعد موته ، بل تصبح ملكاً لغيره .

فإن كل ذي رأي صائب لا يتردد في أن يعكس الأمر ؛ بأن يحتفظ بالنفيس الباقي ، ويزهد ويترك الحقير الفاني .

٩٨ وَتَهْدِمُ مَا تبْني بِكَفِّكَ جَاهِداً

فَأنْتَ مَدَى الأيَّام تَبني وَتَهْدِمُ

هذا النوع من الناس ، وإن فعل بعض الطاعات وأتى ببعض القربات والأعمال الصالحة ، فإنه سرعان ما يفسد عمله ؛ إما بعدم إخلاص النّية ، وإما بالمنِّ والأذى ؛ قال الحق سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ﴾[2] ، وإما أن يكون العمل على خلاف السنة . عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[3] ؛ فإن أمثال هؤلاء يعملون ، ولكنهم ينقضون أعمالهم بأيديهم ، بل هي وبال عليهم يوم القيامة .

٩٩ وَعندَ مُرادِ الله تفْنى كَمَيِّتٍ

وَعِنْدَ مُرادِ النَّفْس تُسْدي وَتُلحمُ[4]

إذا جاءك أمر الله بأن تفعل كذا أو أن تجتنب كذا يصيبك الذوبان ، وتصبح كالميت تماماً ؛ لا تسمع ولا تعقل . أما إذا جاءت الشهوة ومراد

(١) سورة الواقعة: ٣٣ .

(٢) سورة البقرة: ٢٦٤ .

(٣) رواه مسلم: ١٧١٨ . أما رواية: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد). فقد رواها البخاري ومسلم وغيرهما .

(٤) مراد: المشيئة والطلب . تفنى: تعدم . تسدي: سدا: مدَّ يدهُ نحو الشيء . تلحم: لحم الأمر: أحكمه . ورجل لحم: أكول للحم . ورجل ملحم: إذا كثر عنده اللحم .

النفس الأمارة بالسوء ، فإنك تقبل عليها بشدة حتى لا تستطيع أن تميز بين الخير والشر .

١٠٠ وَعِنْدَ خِلافِ الأمْرِ تحْتجُّ بالقَضا

ظَهِيراً عَلى الرَّحْمنِ للجَبرِ تزْعُمُ[١]

إذا خالفت أوامر الشرع ، وفعلت المحظور ، وارتكبت المحرمات ، وتركت الواجبات ؛ فإنك تزعم أن هذا قد كتبه الله عليك في الأزل ، وأنك لا تستطيع أن تفعل غيره لأنك مسيّر لا إرادة لك ، فأنت تعين بهذا أهل الباطل المخالفين لأوامر الله ، وتنحاز إليهم ، وتتبنى عقيدة الجبرية التي لا تُثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً[٢] . أي إن كل ما يقوم به العبد من أعمال الخير والشر ، وفعل الطيب والخبيث ، وإتيان المباحات والمحرمات ، ينسبون كل هذا إلى الله لأنه الذي كتبه على العبد ، والعبدُ لا خيار له ، ولا مشيئة ، ولا عمل ، ولا قدرة على العمل ؛ وإنما هو مسيّر تسييراً كاملاً . وهذا باطل واضح البطلان ؛ لأن علم الله السابق بأن العبد ماذا يختار فيعمل باختياره ، فكتب الله سبحانه عليه أنه شقي أو سعيد وهو في بطن أمه ؛ لأنه سبحانه وتعالى يعلم أن هذا العبد بعد ذلك أي الطريقين يسلك فكتبه عليه .

١٠١ تُنَزِّهُ منْكَ النَّفْسَ عَنْ سُوءِ فعْلِهَا

وَتَعْتِبُ أقْدارَ الإلهِ وَتظْلِمُ[٣]

إذا طلبت منك نفسك فعل القبيح وارتكاب ما حرم الله ، فإنك تلتمس

---

(١) خلاف الأمر: فعل ما يخالف الأوامر الشرعية .
ظهير: معين .

(٢) قال الشهرستاني في الملل والنحل: ١/ ٨٥ ، والجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى ؛ فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلاً وقدرة على الفعل أصلاً .

(٣) تنزه: تباعدها عن كل مكروه .
تعتب: تنتقص (النهاية في غريب الحديث).

الأعذار من هنا وهناك ؛ لكي تجد لنفسك مساغاً لفعلها ، وأنها لم تفعل إلا ما فيه الخير والصلاح . وإذا وقعت في مكروه ، فإن اللوم كل اللوم على القدر الذي كتبه الله عليك ، ظلماً لك ، وهضماً لحقوقك ، واختصك أنت بالمكروه من دون العباد .

١٠٢ تُحِلُّ أمُوراً أحْكَمَ الشَّرْعُ عَقْدَهَا

وتَقْصِدُ مَا قَدْ حَلهُ الشَّرْعُ تُبْرِمُ[١]

١٠٣ وتَفهَمُ مِنْ قَوْلِ الرَّسولِ خِلافَ مَا

أرادَ لأنَّ القَلبَ مِنكَ مُعَجَّمُ[٢]

كثير من القضايا والأمور حكمها واضح في الإسلام ، من حل وتحريم. فينبري أناس طمِست بصائرهم ، فيضعون أنفسهم في مقام الله جل وعلا ، فيحلون للناس ويحرمون عليهم ؛ متبعين أهواءهم وشهواتهم . ولا شك في أن الذي ينصب نفسه للتحليل والتحريم إما أن يكون من الكاذبين ؛ لقول الله سبحانه: ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾[٣].

وإما أن يكون قد نصّب نفسه للألوهية ، لأن التشريع من اختصاص الإله؛ قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾[٤].

فإن صاحب القلب المعجّم ، الذي لا يفقه ولا يقدر على تمييز الأمور ، يأتي إلى أحاديث رسول الله ﷺ فيفهمها على خلاف مرادها ؛ فتجده يتخبط في أمور الشرع .

---

(١) تحل: حل العقدة: فتحها . تبرم: أبرم الشيء: احكمه (مختار الصحاح) .

(٢) معجم: العجماء: البهيمة، سميت به لأنها لا تتكلم ؛ وكل ما لا يقدر على الكلام فهو أعجم (النهاية في غريب الحديث) .

(٣) سورة النحل: ١١٦ .

(٤) سورة الشورى: ٢١.

١٠٤ مُطيعٌ لِداعِي الغَيِّ عاصٍ لرُشْده
إلى ربِّه يَوْماً يُرَدُّ ويَعْلَمُ[(١)]

تجده مطيعاً لكل ناعق شر ، متخذاً دعاة الباطل قدوة له . أما طريق الهداية والنور ، طريق الخير والفلاح ، فهو معرض عنه ولا يلتفت إليه . ومع هذا ؛ فهو لا بد وأن يأتي اليوم الذي يموت فيه ، ثم يرد إلى ربه ؛ وسوف يعلم بعد ذلك أنه كان مخطئاً ، ولكن لا فائدة حينئذ .

١٠٥ مُضيعٌ لأمْرِ اللهِ قدْ غشَّ نَفْسَهُ
مُهينٌ لهَا أنَّى يُحَبُّ ويُكرَمُ[(٢)]

لقد تركت أوامر الله سبحانه ولم تعمل بها ، وكنت السبب في هلاك نفسك ؛ لأنك لم تزجرها وتمنعها عن هواها ، وإنما أطلقت لها العنان ؛ وهذا هو الغش لها ؛ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى ﴾[(٣)].

والذي يفعل كل ما تشتهي نفسه فإنه ـ ولا شك ـ سوف ينقاد لها ، ويوردها موارد الرذيلة ، ويكون عبداً لهواه ، فيكون قد أهان نفسه وسقط من أعين الناس ؛ فلا يحبه تقي ، ولا يكرمه مؤمن .

١٠٦ بَطيءٌ عَنِ الطاعَاتِ أسرَعُ للخَنَا
مِنَ السَّيْلِ في مَجْراهُ لا يَتَقَسَّمُ[(٤)]

مقصر في فعل الطاعات ، متكاسل في أدائها . أما للفواحش فهو مقدام أسرع من السيل إذا كان متجمعاً ولم يتشعب .

---

(١) الغي: الضلال والانهمالُ بالباطل (النهاية) .
الرشد: ضد الغي .

(٢) مضيع: مهمل. غش: غشه: لم يَمْحَضْهُ النصح، أو اظهر له خلاف ما اضمر. مهين: مُذِل .

(٣) سورة النازعات: ٤٠ ـ ٤١ .

(٤) للخنا . خنا خنوا: افحش .

١٠٧ وَتزعُمُ مَعْ هذا بأنَّكَ عارفٌ

كَذَبْتَ يَقيناً في الذي أنْتَ تَزعُمُ

١٠٨ وما أنتَ إلا جاهِلٌ ثُمَّ ظالمٌ

وإنَّكَ بَيْنَ الجاهلينَ مُقَدَّمُ

ومع ما أنت عليه من ترك الواجبات ، وفعل المحرمات ، والبطء بفعل الخيرات ، والإسراع للفواحش ، وما أنت عليه من الفهم السقيم لأحكام الشرع . مع هذا كله ، تزعم أنك تعرف حقائق الأمور ومقاصد الشرع .

لا شك في أنك كاذب فيما ادعيت ، وإنما هو زعم منك . وإنما الحقيقة الواضحة أنك تجهل الأمور التي يعلمها العامّي من الناس ، فضلاً عن الأمور التي تحتاج إلى بحث ودراسة . وما ذاك إلا لأنك لست من الجاهلين فحسب، وإنما من أجهل الجاهلين .

١٠٩ إذا كانَ هذا نُصْحَ عَبْدٍ لِنَفْسه

فَمَنِ الذي منْهُ الهُدَى يُتَعَلمُ

من الأمور البديهية أن الإنسان يقدم ما فيه مصلحة نفسه على مصلحة غيره. ومن هذا الباب ؛ أن الذي يسعى في مصالح الناس وقضاء حوائجهم ويجهد نفسه في هذا ـ ولو على حساب مصالحه ـ أنه لو لم يعلم أن الله سبحانه سوف يعظم له الجزاء ـ سواء في الدنيا أو في الآخرة ـ لما عمل شيئاً من ذلك .

أما الظالم لنفسه ، والغاش لها ، إذا كان هذا تصرفه مع نفسه ، فكيف يرجى منه النفع لغيره ؟ وفاقد الشيء لا يعطيه .

١١٠ وفي مِثْلِ هذَا الحالِ قدْ قال مَنْ مَضَى

وأحْسَنَ فِيمَا قالهُ المتكلمُ

١١١ فـإن كُنـتَ لا تَـدرِي فتـلك مُـصيبةٌ
وإن كُنـتَ تـدْري فالـمـصـيبة أعظـم

إن هذا الغاش لنفسه؛ ويظن أنه نـاصح لها. والجاهل بالأمور؛ ويظن أنه عالم بها . عن مثل هذا الصنف من الناس قد قال الأولون هذه المقالة: (إن كنت لا تدري . . .) يعني: إن كنت جـاهلاً بأمور الشرع وأمـور الحيـاة فهي مصيـبة ؛ لأن الجاهل عدو نفـسه ، والجهل ظلمات . هذا بالنسـبة للجاهل الذي يعلم أنه لا يعلم، ويترك العمل لأنه لا يستطيع أن يعمل بغير علم .

أمـا الذي يعلم أنـه لا يعلم ، ويعـمل بعـد ذلك بغيــر علم ، ويتـخـبط بجهله؛ فهذه أعظم من تلك .

١١٢ ولَـوْ تُـبْـصِـرُ الـدُّنيَا وَرَاءَ سُـتُـورهَا
رَأَيْـتَ خَـيَـالاً فِـي مَـنَـام سَيُـصْرَمُ[١]

١١٣ كَـحُلْـم بطيفٍ زارَ في النَّوم وانْقضَى
الـمنَـامُ وراحَ الـطيْفُ والصَّبُّ مُغْرَمُ[٢]

١١٤ وَظـلٌ أرَتْهُ الشَّـمْـسُ عـنـدَ طلوعهَا
سَـيَـقْـلصُ فـي وَقْـتِ الزَّوَالِ وَيُفْصَمُ[٣]

١١٥ وَمُزْنَة صَـيْـفٍ طـابَ مـنْهَا مَقيلهَا
فَـولَـتْ سَـرِيـعـاً والـحَـرور تَـضَرَّمُ[٤]

---

(١) ستورها: ستور جمع ستر، وهو ما يستر به ويغطى ويحجب (القاموس) .
خيالاً: الخيال: الطيف ، وهو من التخييل والوهم . سيصرم: سيُقطع .

(٢) بطيف: الطيف: الخيال مجيئه في النوم .
صب: مشتاق ، والصبابة: رقة الشوق وحرارته .
مغرم: أسير الحب ، أو المولع .

(٣) سيقلص: سينقبض ثم يذهب . الزوال: زالت الشمس: مالت عن كبد السماء .
يفصم: يقلع .

(٤) مزنة: سحابة . مقيلها: المقيل: النوم في نصف النهار .
الحرور: الريح الحارة . تضرم: تلتهب .

١١٦ ومَطعَم ضَيْفٍ لَذَّ مِنْهُ مَساغُهُ[1]

وبَعْدَ قَليل حَالُهُ تِلكَ تُعْلَم

الناظر الحقيقي لهذه الحياة ، والذي ينظر بعين البصيرة ، سوف يعلم أ[ن] زائلة ، بل هي مثل الخيال الذي يأتي للنائم ثم يذهب بعد ذلك .

ويذكر المصنف ، رحمه الله ، بعض الأمور ليمثل بها عن حقارة الد[نيا] وزوالها حيث يقول:

(كحلم بطيف ...) مثلها كمثل عاشق محب مشتاق إلى محبوبه وف[ي] أثناء نومه رأى محبوبه في المنام ، ومن شدة فرحه فزع لذلك اللقاء ، ومن فزعه استيقظ من نومه فلم ير شيئاً . هكذا الحياة ، يعيش فيها الإنسا[ن] عمره ، وعندما يحين وقت الوفاة كأنه لم يعش فيها إلا سويعات .

وقوله: (وظل أرته الشمس ...) أي إن الدنيا كمثل الظل الذي تشاهده عندما تشرق الشمس ، فإذا زالت زال الظل وذهب .

وقوله: « ومزنة صيف ... » ومثل الدنيا - كذلك - كمثل سحابة في وقت الصيف ، جاءت فحجبت الشمس ، فانخفضت الحرارة وارتاح الناس في وقت الظهيرة وناموا ، وما هي إلا لحظات حتى ذهبت السحابة وطلعت الشمس بحرارتها الملتهبة .

وقوله: (ومطعم ضيف ...) أيضاً ، مثل الدنيا كمثل الطعام الطيب اللذيذ في طعمه الشهي وفي رائحته ، وبعد الأكل بفترة قصيرة سوف يتغير ويصبح نتن الرائحة قبيح المنظر تعافه النفس .

١١٧ كَذا هذه الدُّنْيا كأحلام نائم

وَمِنْ بَعْدِها دَارُ البَقاء سَتَقْدم[2]

---

(١) مساغه: ساغ الشراب: سهل مدخله في الحلق (مختار الصحاح) .

(٢) دار البقاء: يوم القيامة .

١١٨ فـجُـزْهَا مُـمـراً لا مُـقـراً وكُنْ بهَا

غَـريـبـاً تـعـشْ فـيهَا حَميداً وَتسْلَمُ[(١)]

١١٩ أو ابـنَ سـبيل قـالَ فـي ظلٍّ دَوْحَةٍ

وَرَاحَ وَخَـلـى ظـلـهَـا يَـتقـسَّـمُ[(٢)]

١٢٠ أخَـا سَـفَـر لا يَـستقـرُّ قـرارُهُ

إلـى أنْ يَـرَى أوْطَـانَهُ وَيُـسَلِّـمُ

بعـد أن ذكر المصنف ، رحـمـه الله ، أمثلة عـلى تفاهة الدنيـا وحـقارتهـا وقصـر مدتهـا ، أردف ذلك بقوله: (كـذا هذه الدنيا كـأحلام . . .) أي إن بقاء الدنيا واستـمتاع أهلها بها ، كالنائم عند ما يرى في نومـه أحلاماً فيرتاح لها ويأنس بها ، ولكنه بمجرد أن يستيقظ من نومه يذهب كل شيء ؛ كذلك الدنيـا ، فإنهـا تزول وتذهب بمجرد أن يموت . ولكن بعـد زوال الدنيـا فإن الآخرة سوف تأتي ، ويُسأل العبد عن كل صغيرة وكبيرة .

فاستـمع إلى المصنف حيث يقول: (فجزها ممرا . . .) أي اعـبرها ، كأنما هناك جسر وضع على حـافتي نهر ، وجاء الناس لكي يعـبروا هذا النهر من على متن ذلك الجسر . وكذلك ، على الإنسان أن يتخفف منها ما استطاع ، ولا يثقل نفسه بها ، ويجعل نفسه فيها كالغريب الذي لا يعرف أحداً .

وأن يكون فيهـا كمثل المسافر الذي مـر على شجرة عظيمـة الظل ، فأقام تحتهـا ليستريح من عنـاء السفر ، ثم تركهـا ليواصل سيره ؛ وفـيه إشارة إلى قـول ابن عـمـر رضي الله عنهـما حـيث قـال: أخـذ رسـول الله ﷺ بمنكبي فـقال: (كن في الـدنيا كـأنك غـريب أو عابـر سبيل) ؛ وكـان ابن عمـر يقول: (إذا أمسيت فـلا تنتظر الصبـاح ، وإذا أصحـبت فلا تنتظـر المساء ،

(١) فجزها: جاز الموضع: سلكه وسار فيه وخلفه .
مقرا: القرار: المستقر من الأرض .

(٢) ابن سبيل: المسافر الكثير السفر ، سُمي ابناً لها لملازمته إياها (النهاية) .
قـال: نام في الظهـيرة . دوحـة: الشـجرة العظيـمـة المتسعـة من أي الشـجر كـانت .
يتقسم: يتجزأ .

وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك)[1].

والمسافر لا يهدأ باله ولا تستقر نفسه حتى يرجع إلى وطنه ، ويسلم على أهله ومعارفه ويطمئن على أحوالهم .

١٢١ فيا عجباً كم مَصْرع وَعظتْ به

بنيهَا ولكنْ عَنْ مَصَارِعها عَموا [2]

يتعجب ، رحمه الله ، من كثرة ما يرى الناس أمامهم من نهايات غيرهم، ولكن لا يتعظ إلا القليل منهم ؛ لأنهم يملكون الأبصار ولا بصائر لهم ؛ كما رُوي عن بعض الصحابة: (كفى بالموت واعظاً) [3]، وروى أبو هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: (أكثروا من ذكر هاذم اللذات: الموت) [4].

١٢٢ سَقَتْهُمْ كُؤوسَ الحُبِّ حَتى إذا نشوْا

سَقتْهُمْ كؤوس السُمِّ والقوْمُ نوَّمُ [5]

أرضعتهم الدنيا حبها فتنافسوا فيها وفي جمعها ، فلا هَمَّ لهم إلا الإكثار من حطامها . حتى إذا جمعوا ما استطاعوا جمعه أتاهم الموت وهم غافلون.

عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه ، في حديثه عن النبي ﷺ وفيه: (... فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا

---

(١) رواه البخاري: ٦٤١٦ ، ١١/٢٣٣.

(٢) مصرع: صرعه صرعاً: طرحه على الأرض ، ويقال: صرعته المنية . بنيها: أبنائها .

(٣) رواه أحمد في الزهد: ص ١٧٦ ، عن عمار بن ياسر . انظر السلسة الضعيفة للألباني رقم: ٥٠٢ .

(٤) رواه الترمذي: ٢٣٠٧ ، والنسائي: ٤/٤ ، وابن ماجه: ٤٢٥٨ . [وهو حديث حسن صحيح يراجع الإرواء ، ٦٨٢ ، المجلة] .

(٥) نشوا: سكروا .

عليكم كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم)[1].

١٢٣ وَأَعْجَبُ مَا في العَبْدِ رُؤْيَةُ هذه
العَظَائم والمَغْمُورُ فيهَا مُتَيَّمُ[2]

١٢٤ وَمَا ذاكَ إلا أنَّ خَمْرة حُبِّهَا
لتَسْلُبُ عَقْلَ المَرْءِ مِنْهُ وَتصْلِمُ[3]

١٢٥ وأعْجَبُ منْ ذا أنَّ أحْبَابَهَا الأولى
تُهينُ وَللأعْدا تُراعي وَتُكْرِمُ[4]

والعجب كل العجب أن الإنسان يرى ويستشعر الأمور العَظيمة والمَخاطر الجسيمة ، ثم إن حب الدنيا قد أذهب عقله وسيطر على أحاسيسه ؛ فانغمس فيها ولا يفكر في غيرها .

وسبب ذلك أن حلاوتها وزخارفها وجمالها (الظاهر فقط) قد ذهب بعقول من افتتن بها ، فجلبتهم إليها وقطعتم فيها تقطيعاً .

وأكثر عجباً مما تقدم ! أن الدنيا تهين من تعلق بها وتُذل من أكرمها . عن زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له . ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة)[5].

---

(١) رواه البخاري: ٢٦٢٥ ، ومسلم: ٢٩٦٠ ، واللفظ له .

(٢) المغمور: غمره الماء أي علاه ، والانغمار: الانغماس .
متيم: ذليل . يقال: تامته المرأة أو العشق والحب تيما ويتمته: عبّدته وذللته (القاموس) .

(٣) تسلب: تختلس ، أو تأخذ خلسة . تصلم: تستأصل قطعا .

(٤) تراعي: تحسن ، وراعيته: لاحظته محسناً إليه .

(٥) رواه أحمد: ١٨٣/٥ ، وابن ماجه: ٤١٠٥ ، وغيرهما . قال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح . [والحديث صحيح ، يراجع السلسلة الصحيحة ، ٩٥٠ ، المجلة].

فهذه الدنيا من جعلها همه لازمه الهم طوال حياته ، ومن تركها وأشغ نفسه بالآخرة ، أتته الدنيا رغم أنفها ؛ فهي كما قال المصنف: ترعى وتكر من عاداها ، وتذل وتهين من كان من أحبابها .

١٢٦ وَذلِكَ بُرْهَانٌ عَلى أنَّ قَدْرَهَا

جَنَاحُ بَعُوض أوْ أدَقُّ وألأمُ[1]

إن فعل الدنيا بالناس ـ كما مر بنا ـ دليل واضح بيّن على أن قدرها ه تركها ، والزهد فيها ، وعدم تعظيمها والاهتمام بها ؛ لأنها حقيرة تساوي شيئاً ؛ عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول ا ﷺ: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منه شربة ماء)[2] .

١٢٧ وَحَسْبُكَ مَا قَالَ الرَّسُولُ مُمَثِّلاً

لهَا وَلِدَارِ الخلدِ وَالحَقُّ يُفْهَمُ[3]

١٢٨ كَمَا يُدْلِي الإنْسَانُ فِي اليَمِّ إصْبَعاً

وَيَنْزِعُهَا مِنْهُ فَمَا ذَاكَ يَغْنَمُ[4]

يكفيك تمثيلاً للدنيا وحقارتها أمام الآخرة ما قاله الرسول ﷺ مفاض بينهما وممثلاً لهما ؛ كما روى المستورد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه (وأشـ يحيى بالسبابة) في اليم فلينظر بم يرجع)[5] .

---

(١) برهان: حجة . قدرها: قدر الشيء: مبلغه . أدق: أقل ، يقال أخذ جله ودقه: أ كثيره وقليله . الألأم: أظهر خصال اللؤم (لسان العرب) .

(٢) رواه الترمذي: ٢٣٢٠ ، ٤/٥٦٠ . انظر السلسلة الصحيحة للألباني: ٩٤٣ .

(٣) حسبك: يكفيك . دار الخلد: الجنة .

(٤) يدلي: دلا الدلو: نزعها ، وأدلاها: أرسلها في البئر .
اليم: البحر . ينزعها: يخرجها . يغنم: يفوز ويظفر .

(٥) رواه مسلم: ٢٨٥٨ ، والترمذي: ٢٣٢٣ ، وابن ماجه: ٤١٠٨ ، وأحمد .

قال النووي[1]: ومعنى الحديث: ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة - في قِصَر مدتها وفناء لذاتها ، ودوام الآخرة ودوام لذاتها ونعيمها - إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر .

١٢٩ ألا ليْتَ شِعْرِي هَلْ أبِيتَنَّ لَيْلَةً
عَلى حَذَرٍ مِنْهَا وَأمْرِيَ مُبْرَمُ[2]

يتمنى أن تمر عليه ليلة واحدة وهو آمن من تقلبات الدنيا ، ويكون حاله فيها محكماً مستقراً لا يخاف أن ينفرط عليه أمره .

١٣٠ وَهَلْ أرِدَنْ مَاءَ الحَياةِ وَأرْتَوي
عَلى ظَمَأ مِنْ حَوْضِه وَهْوُ مُفْعَمُ[3]

(ماء الحياة): هذه العبارة لها أكثر من معنى ؛ منها: الوَحي الذي أنزله الله سبحانه على نبيه ﷺ ؛ لأنه حياة القلوب والأرواح ؛ فيكون المعنى: إنه يريد أن يتزود من العلم ويكثر منه ، لأن الوحي ممتلئ حكمة وعلماً ؛ وبهذا يكون الضمير في حوضه عائداً على الوحي .

ومنها: الدار الآخرة ؛ لقوله سبحانه: ﴿ وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾[4] ؛ فيتمنى أن يكون من السعداء يوم القيامة ، ويعيش الحياة الحقيقية ، ويتزود من الأحواض التي في الجنة ويرتوي منها .

ومنها: الماء الذي يكون في حوض النبي ﷺ الذي وصفه لهم . حيث يشتد العطش بالناس ثم ينعم الله على من يشاء من هذه الأمة فيشرب من الحوض ؛ ومن شرب منه فإنه لا يظمأ أبداً .

---

(١) في شرح مسلم: ١٧/ ١٩٢ .

(٢) ليت شعري: ليتني أعلم . مبرم: أبرم الأمر وبرمه: أحكمه .

(٣) أردن: نون التوكيد الخفيفة دخلت على الفعل المضارع (أرد) ومعناه: أبلغ . مفعم: ممتلئ .

(٤) سورة العنكبوت: ٦٤ .

١٣١ وَهَلْ تَبْدُونَ أعْلامُهَا بَعْدَمَا سَفتْ

عَلى رَبْعِهَا تلكَ السَّوَافِي فتُعْلَمُ[1]

الديار التي هبت عليها الرياح المحملة بالغبار والأتربة فطمست معالمها . هل ستزول الأتربة بعد ذلك وتظهر المعالم من جديد ؟

وربما يريد المصنف ، رحمه الله تعالى ، أن يقول: إن السنة الخالصة ، والاتباع الكامل لما جاء به النبي ﷺ ، والتجرد الحقيقي لاتباع نهجه ، قد هبت عليه رياح البدع والتقليد الأعمى لأشخاص بعينهم ـ وإن خالفوا الهدى الثابت بالأسانيد الصحيحة . يقول: فهل تزول هذه السوافي وتظهر معالم السنة ويرجع الناس إلى العمل بما صح عن نبيهم ﷺ ؟

١٣٢ وَهَلْ أفْرِشَنْ خَدِّي ثرى عَتَباتهم

خُضُوعاً لَهُمْ كَيْمَا يَرِقُّوا ويَرْحَمُوا[2]

وهل يتمكن من وضع خده على تراب عتبات الله سبحانه ، في خضوع وتذلل ، لعله ينال رحمة الله وعطفه ؟

١٣٣ وَهَلْ أرْمِيَنْ نَفْسي طَرِيحاً بِبَابِهمْ

وَطَيْرُ مَنايَا الحُبِّ فوْقي تُحَوِّمُ[3]

وهل أتمكن من أن ألقي بنفسي ببابكم ؟ أما حبي العظيم فيكم ، وشدة الشوق إليكم ، ربما يكون سبباً في هلاكي .

---

(١) تبدون: بدا بَدْوا وبُدُوًا: ظهر . سفت: سفت الريح التراب: ذرّته أو حملته . الربع: الدار بعينها ، حيث كانت ، والمحلة والمنزل (القاموس) .

(٢) افرشن: فرش الشيء يفرشه: بسطه . ثرى: تراب: . خضوعاً: تواضعاً . كيما: لفظ مركب من (كي) الجارة التعليلية و(ما) . يرقوا: الرقيق ضد الغليظ .

(٣) طريحاً: طرح الشيء: رماه . منايا: جمع منية وهي الموت . تحوم: حام الطير على الشيء حوماً وحوماناً: دوّم (القاموس) .

١٣٤ فيَا أسَفي تفنَى الحَياةُ وَتنْقضي
وَذا العَتْبُ باقٍ مَا بقِيتُمْ وعشْتُمُ[١]

يتأسف على انقضاء الحياة وذهابها ، وهو ما يزال يجد اللوم والعتاب ؛ لأنه مولع بحب ربه ، وقد ألزم نفسه بطاعته وعدم مخالفة أمره ؛ فهو لا يَسلم من عتاب المخالفين .

١٣٥ فَمَا مِنْكُمُ بُدٌ وَلا عَنْكُمُ غنىً
وَمَا لِيَ مِنْ صَبْر فأسْلوَ عَنْكُمُ[٢]

إن قلبي قد تعلق بكم ؛ فلا حب لي إلا أنتم . فلا محالة إنني باق على هذا ، ولا أستطيع أن أستغني بغيركم ، ولا أن أصبر عنكم ، ولا أنساكم أبداً .

١٣٦ وَمَنْ شَاءَ فليَغْضَبْ سِوَاكُمْ فَلا أذىً
إذا كُنْتُمُ عَنْ عَبْدكُمْ قَدْ رَضيتُمُ[٣]

يا رب إن كنت قد رضيت عني فلا عليّ بعد ذلك ؛ فإن الخلق بأسرهم لو غضبوا لم أكترث لغضبهم ، لأن الأصل عندي هو رضاك .

١٣٧ وَعُقْبَى اصْطَبَاري فِي هَوَاكُمْ حَميدَةٌ
وَلَكِنَّهَا عَنْكُمْ عِقَابٌ وَمَأثَمُ[٤]

إن عاقبة شدة صبري ، وتحمل آلام شوقي في حبكم ، نهايته التوصل

---

(١) العتب: اللوم .

(٢) بد: لا فراق او لا عوض او لا محالة . أسلو: أنسى .

(٣) أذىً: مكروه .

(٤) عقبى: جزاء الأمور .
اصطباري: يقال صبر من خصمه واصطبر: أي اقتص منه (نهاية) ، أو شدة الصبر. قال في القاموس: صبر يصبر فهو صابر وتصبر واصطبر .

إلى رضاكم ؛ فهي محمودة ، وأكرم بها من نهاية ؛ لأنكم سوف تجزونني أحسن الجزاء . أما الذي يصبر عنكم ويتحمل الأذى بمخالفة أمركم ، ويتعب نفسه بالسعي وراء المنكرات وفعل المحرمات ؛ فإنه سوف يجني لنفسه الآثام، وينال أشد العذاب . قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ وجوه يومئذ خاشعة ، عاملة ناصبة ، تصلى ناراً حامية ﴾ [١].

١٣٨ وَمَا أنَا بِالشَّاكِي لِمَا تَرْضُونَهُ
وَلكِنَّنِي أَرْضَى بِهِ وَأُسَلِّمُ [٢]

١٣٩ وَحَسبِي انْتِسَابِي مِنْ بَعِيدٍ إلَيْكُمُ
أَلا إنَّهُ حظ عَظِيمٌ مُفَخَّمُ [٣]

١٤٠ إذا قِيلَ هَذا عَبْدُهُمْ وَمُحِبهُمْ
تَهلَّلَ بِشراً وَجْهُهُ يَتَبَسَّمُ [٤]

أنا لست من الذين يتشكون من أمور التشريع التي أنتم تحبونها وفرضتموها على عبيدكم ، ولكنني في غاية السعادة وكمال الرضا بفعل كل ما يرضيكم؛ فأنا أفعله وأسلم أمري إليكم . ويكفيني فخراً وعزة أن أنتسب ـ ولو من بعيد ـ إليكم فيقال عني: عبدالله، فهذه النسبة هي عندي عظيمة الشأن عالية القدر، وإذا ما سمعتها أسرُّ بها كثيراً، وتبدو آثار الفرح واضحة على وجهي.

١٤١ وَهَا هُوَ قَدْ أَبْدَى الضَّرَاعَةَ سَائِلاً
لكُمْ بِلِسَانِ الحَالِ والقَالُ مُعْلِمُ [٥]

---

(١) سورة الغاشية: ٢ ـ ٤ .
(٢) الشاكي: شكا فلاناً: أخبر بإساءته إليه .
(٣) حسبي: يكفيني . الحظ: النصيب .
مفخم: التفخيم: التعظيم ، وفخم: عظيم .
(٤) تهلل: تهلل الوجه: تلألأ .
(٥) أبدى: أظهر . الضراعة: الذل والخضوع .
لسان الحال: هيئته وأفعاله . لسان القال: ما يصدر منه من أقوال .

١٤٢ أحِبَّتَهُ عَطفاً عَليْهِ فإنَّهُ
لمظم وإنَّ المَوْرِدَ العذْبَ أنْتُمُ[(١)]

هذا العبد المحب قد أظهر لكم فقره وشدة حاجته إلَيكم ، فهو يرفع إليكم ذله وخضوعه ، ويطلب إليكم بلسان حاله ؛ فإن حركاته وسكناته تعبر لكم عن مدى حبه لكم والتصاقه بكم ؛ ودليل ذلك أن قوله يصدق فعله . هذا إذا كان ضبط الكلمة (معلِم) بكسر اللام . أما إذا كان بفتح اللام (معلم) فيكون المعنى: إن هذا فعله، أما قوله فقد عرفه الجميع فلا يخفى على أحد.

فها هو يناجي ربه سبحانه وتعالى ويطلب إليه أن يعطف عليه ؛ لأنه في عطش شديد ؛ فلا يرويه ويُذهب عنه غليله إلا أنتم ، فهو سعيد بقربكم ، ويستوحش بفراقكم والبعد عنكم .

١٤٣ فيَا سَاهِياً فِي غمْرَةِ الجَهل والهَوَى
صَرِيعَ الأمَانِي عَنْ قَرِيبٍ سَتَنْدمُ[(٢)]

١٤٤ أفِقْ قد دنا الوَقتُ الذي ليْسَ بَعْدَهُ
سِوى جنةٍ أوْ حَرِّ نَارٍ تَضَرَّمُ[(٣)]

يا من غلب عليه هواه وهو ساهٍ يتخبط في جهل عميق ، وكل بضاعته هي التمنى على الله من غير أن يبذل أي عمل في تحقيقها ، فإن العمر قصير ، وسوف تعلم بعد ذلك أين أنت وماذا كنت تعمل .

ثم: ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه ﴾[(٤)] لا ينفع الندم يومئذ ؛ ﴿ يقول

(١) لمظم: رجل مظماء يعنى معطاش .
(٢) ساهياً: غافلاً ، والسهو: الغفلة . غمرة: شدة .
صريع: صرعه صرعاً: القاه على الأرض . والمعنى: إن الأماني غلبته فلا يستطيع مقاومتها . والأماني: جمع أمنية ، وهي البغية .
(٣) أفق: ارجع إلى صوابك . أفاق: إذا رجع إلى ما كان قد شغل عنه ، وعاد إلى نفسه . تضرم: تشتعل .
(٤) سورة الفرقان: ٢٧ .

يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ﴾[1] .

فإن هذا الساهي الذي طالت غفلته ، يقول له المصنف: ألم يأن لك أن ترجع إلى صوابك وتنتبه إلى نفسك ؟ ألم تخش أن يفاجئك الموت في أي ساعة من أيام عمرك ؟ فمهما طال فإن له نهاية ، وأنت لا تعلمها ، فإذا حان وقتها وانتقلت من هذه الدار إلى دار القرار ؛ فإما الجنة وإما النار .

إما أن تكون ممن دخل في رحمة الله ورضوانه ، فهو قرير العين في جنات ونهر ، وإما الأخرى فهي نار مؤصدة .

١٤٥ وبالسُّنَّة الغَرَّاء كُنْ مُتمسكاً
هيَ العُرْوَةُ الوثْقى التي ليْسَ تُفْصمُ[2]

١٤٦ تمَسكْ بِهَا مَسْكَ البَخيلِ بمَاله
وَعَضَّ عَليْهَا بالنَّواجذ تَسْلمُ [3]

بالسنة البيضاء الصافية النقية ، كن متمسكاً تمسكاً شديداً ؛ لأنها هي التي تنجيك من السقوط في الهاوية ؛ لأنها العروة الوثقى التي لا تنفصم .

فالذي يعمل بما دلت عليه السنة ، ولا يحيد عنها ، فإنه على الصراط المستقيم ، وإنه متمسك بالأسباب القوية التي قد أحكمت من لدن حكيم خبير ، فهي محكمة ، ولا يخاف أن تنقطع به . أما العروة الوثقى ؛ فقيل هي: (لا إله إلا الله) ؛ وقيل هي: القرآن ؛ وقيل هي: كلمة الإخلاص؛ وقيل: (أبو بكر وعمر) ؛ وقيل: إذا وحد الله وآمن بالقدر ، فهي العروة الوثقى [4] .

وعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: رأيت رؤيا على عهد رسول

---

(١) سورة الفرقان: ٢٧ .

(٢) الغراء: البيضاء . متمسكاً: معتصماً . تنفصم: تنكسر .

(٣) عض عليها بالنواجذ: أي تمسك بها كما يتمسك العاض بجميع أضراسه (النهاية).

(٤) ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور: ١/ ٥٨٤ .

الله ﷺ ، رأيت كأني في روضة خضراء وسطها عمود من حديد ، أسفله في الأرض وأعلاه في السماء ، في أعلاه عروة ؛ فقيل لي: ارقه . فرقيت حتى كنت في أعلى العمود ، فأخذت بالعروة ، فقيل لي: استمسك ، فاستيقظت وإنها لفي يدي ، فقصصتها على رسول الله ﷺ فقال: (تلك الروضة الإسلام ، وذلك العمود عمود الإسلام ، وتلك العروة عروة الوثقى، وأنت على الإسلام حتى تموت)[1] .

فالعروة الوثقى هي الإسلام كله ، فمن تمسك بكل ما جاء به النبي ﷺ فهو المتمسك الذي لا يخاف على نفسه السقوط .

أما قوله: (تمسك بها مسك البخيل) ؛ فإنه يوصي أن تتمسك بالسنة ولا تفارقها في جميع شؤونك ، لأن البخيل لا تسمح له نفسه أن يفرط بشيء من ماله، ولو كان يسيراً، وإنما همه الأعظم أن يضيف إليه حتى يزداد.

وقوله: (وعض عليها) ؛ إذا أردت السلامة والنجاة والفوز في الدنيا والآخرة ، فما عليك إلا أن تتمسك بالسنة ، وكأنك تعض عليها بأسنانك الداخلية زيادة في التمسك . وفيه إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه وفيه: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ . . .)[2] الحديث .

١٤٧ وَدَعْ عَنْكَ مَا قَدْ أَحْدَثَ النَّاسُ بَعْدَهَا

فَمَرْتَعُ هَاتِيكَ الحَوادث أَوْخَمُ[3]

---

(١) رواه البخاري: ٣٨١٣ ، ومسلم: ٢٤٨٤ .

(٢) رواه أحمد: ٤/١٢٦ ، وأبو داود: ٤٦٠٧ ، والترمذي: ٢٦٧٦ ، وابن ماجه: ٤٢.
[والحديث صحيح يراجع « الإرواء » ٢٤٥٥ ، المجلة]

(٣) مرتع: موضع الرتع ، ورتع رتعاً: أكل وشرب ما شاء في خصب وسعة .
أوخم: كثير الوخم ، والوخم: الوباء (القاموس) .
قال في النهاية: وَخُمَ الطعام ، إذا ثقل فلم يستمرأ فهو وخيم ، وقد تكون الوخامة في المعاني . يقال: هذا الأمر وخيم العاقبة: أي ثقيل رديء .

يشير إلى حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[1].

وكذلك حديث العرباض الذي تقدم قبل هذا وفي آخره: (وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة) .

اترك جميع هذه البدع ، فإن مصادرها ومواضعها رديئة العاقبة لا خير فيها .

١٤٨ وهيِّئ جَـوَاباً عِنْدَمَـا تَـسْـمَعُ النّـدا
مـنَ الله يَـوْمَ الـعَـرْضِ مَـاذا أجَبْتُـمُ

١٤٩ بـهِ رُسُلِـي لـمَّـا أتَـوْكُـمْ فـمَـنْ يكُنْ
أجَابَ سـوَاهُـمْ سَـوْفَ يَخْزَى وَيَنْدمُ[2]

يشير إلى قول الله سبحانه: ﴿ ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾[3] ؛ عندما يسأل الله تبارك وتعالى العباد هذا السؤال يريد منهم جواباً . فهل أعددت له جواباً ؟ فلا شك في أن من اتبع رسوله سيكون جوابه حاضراً ، ويستطيع أن يجيب عن نفسه بأنه آمن وصدق واتبع . وأما من كذب وتولى ؛ فما جوابه ؟ وما حجته ؟ بل لو أراد أن يعد جواباً ما استطاع ؛ لأن الله سبحانه يقول: ﴿ فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون ﴾[4] ؛ لا يستطيع أن يدلي بحجة ، فما له إلا السكوت ، فعندها سوف يجاوب عنهم غيرُهم ، ومن كانت هذه حاله فلا شك في أنه من الهالكين .

نسأل الله السلامة . وهذا هو قول المصنف: (فمن يكن أجاب سواهم)

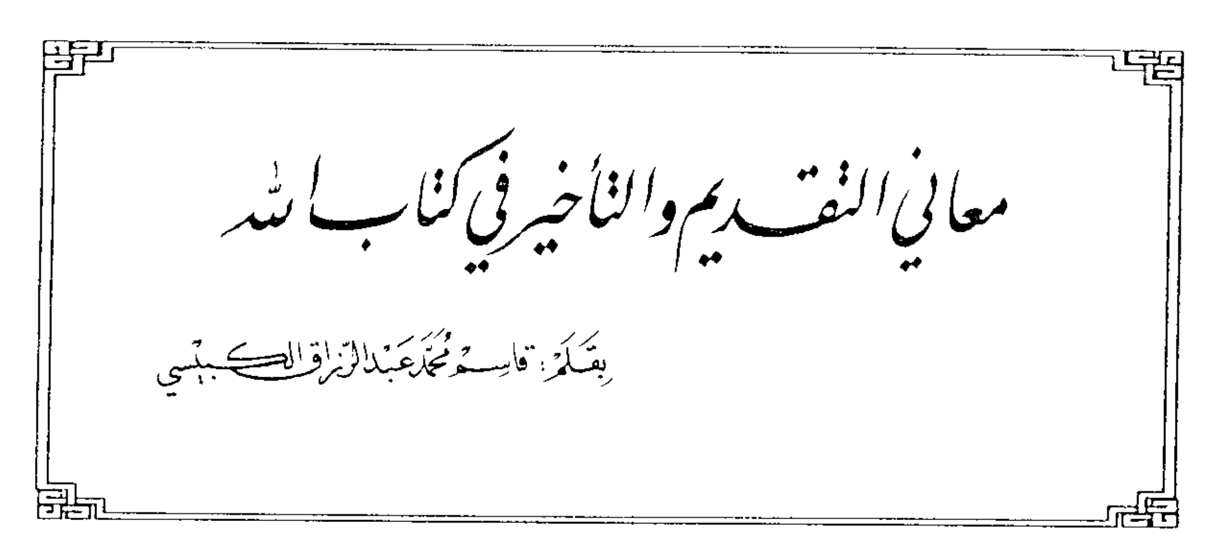
---

(١) رواه البخاري: ٢٦٩٧ ، ٥/٣٠١ ، ومسلم: ١٧١٨ .

(٢) يخزى: يذل ويهان .

(٣) سورة القصص: ٦٥ .

(٤) سورة القصص: ٦٦ .



مقدمة :

الحمدلله الذي علمنا ما لم نكن نعلم ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؛ وبعد فهذه محاولات بسيطة لشرح ظاهرة التقديم والتأخير في كتاب الله تعالى وبيان الناحية البلاغية وما تفيده في معنى يستتر وراء هذا الأسلوب مما فتحه الله عليَّ ومما استفدته من مطالعتي لكتب البلاغة وعلوم العربية ، مبتغياً بهذه الملاحظات والتعليقات الموجزة فتح أذهان المسلمين على ما يحويه كتاب الله من أسرار معنوية لطيفة تختفي وراء أساليبه اللفظية الباهرة ونظمه الدقيق المعجز ، راجياً أن أكون بها مصيباً فإن كان . . . فالله الهادي والموفق لي في كل ذلك وإن كانت الأخرى فالخطأ مني ومردود عليّ مستغفراً الله تعالى منه ، سائلاً إياه الهداية والسداد لي وللمسلمين كافة والله من وراء القصد وهو الغاية .

أولاً: تقديم الأفضل على المفضول:

١- قال تعالى: ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها، إن الله كان على كل شيء حسيباً ﴾ [1] .

---

(١) النساء: ٨٦ .

فقدم رد التحية بأحسن منها على ردها بمثلها لأن الأول أكرم وأولى بأهل الفضل والإحسان ، والثاني فعل أهل العدل والانصاف ، فكان التقديم والتأخير جارياً على تقديم الأفضل على المفضول .

٢ - ومن هذا الباب ما جاء في سورة التحريم الآية ٤ : ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ ، فبعد أن ذكر الله تعالى أنه المعين لنبيه ﷺ ومولاه الحق ، وأنه ناصره ومظهره على من يغضبه ويؤذيه من الخلق ، ذكر من يعينه من مخلوقاته وأولهم وأفضلهم هنا جبريل عليه السلام لما أتاه الله من القوى وزاده بسطة في الخلق ، فهو يناصر النبي عليه الصلاة والسلام ويظاهره على من يكيد له ، ثم صالح المؤمنين كذلك يظاهرونه ويناصرونه ؛ فقدم جبريل لكونه أعظم نفعاً وأشد بلاءً في الدفاع عن النبي ﷺ مع أفضليته ومنزلته الرفيعة عند الله ... ثم أتبعه بصالح المؤمنين وقدمهم في الذكر على الملائكة مما يشعر بأفضليتهم عليهم ... ولاحظ هنا لفظة « بعد ذلك » وما فيها من الإشارة والإشعار بمنزلة صالح المؤمنين وأنهم أفضل من الملائكة ، مع فضل الكل وكرامة الجميع عند الله ، والله تعالى أعلم .

٣ - ومن التقديم الذي يسوغه التفضيل مما استفاض ذكره في القرآن ذكر موسى قبل هارون ، لما له من الأفضلية فهو رسول الله من أولي العزم بعث معه هارون نبياً مصدقاً ومعيناً ، ولهذا قال تعالى في سورة طه الآية ٤٢ : ﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري ﴾ فقدمه على أخيه لسابق فضله وعلو منزلته ... ، وفي هذا السياق نفسه ذكر موسى مقدماً على هارون في سورة الأنعام بعدما ذكر الله تعالى إبراهيم عليه السلام: ﴿ ... ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين﴾ الآية: ٨٤ .

ومن هذا الباب نفسه ما جاء في سورة الأعراف: الآية: ١١١ : ﴿ قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين ...﴾، والآية ١٢٢ في السورة نفسها: ﴿ رب موسى وهارون ..﴾؛ حيث قدم ذكر موسى في الموضعين.

أما ما جاء في سورة طه: الآية ٧٠ ـ من تقديم هارون على موسى في قوله تعالى: ﴿ فألقي السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى ﴾ ، فظاهره أن هذا الأمر وقع موافقة لسياق النظم وجرياً على أسلوب السجع الذي تميزت به السورة من أولها إلى آخرها ـ تقريباً ـ فكان للألف المقصورة في موسى دورها في المحافظة على نسق النظم أثر بين في هذا التأخير والله أعلم .

٤ـ قوله تعالى في سورة المائدة: الآية: ٨٩: ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم ﴾ ؛ وفيها أن الله تعالى رتب الكفارة على اليمين ؛ فجعل الإطعام أولاً ، والكسوة ثانياً ، وتحرير رقبة ثالثاً ، وصيام ثلاثة أيام رابعاً ، إذا تعذرت الثلاثة الأول ؛ فالذي يشعر به هذا السياق استحباب الإتيان بالكفارة وفق ترتيبها في الآية ؛ فقدم الأولى فالأولى ، فهذا الترتيب لبيان الأفضل ، والله أعلم ، وهو يشبه قوله ﷺ: (نبدأ بما بدأ الله به)[1] ويعني قوله تعالى: ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله . . . ﴾[2] ؛ فابتداء السعي يكون من الصفا ، وانتهاؤه بالمروة ؛ كما جاء ذكرها في الآية ، وهكذا أفادنا السياق بيان ترتيب الأفعال ، ومعرفة الأولى بالتقديم .

٥ ـ قال تعالى في سورة النجم: الآية ٤٥ : ﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى ﴾؛ فهل تقديم الذكر هنا يفيد التفضيل ؟

الجواب: نعم . فإن قيل فما اعتباراته ؟

قلت: في هذه الآية إشارة إلى قيامه تعالى بخلق الزوجين ، ومعلوم أن آدم خلق قبل حواء ، فكان له عليها فضل السبق والاختيار ، بل إن حواء

---

(١) رواه مسلم في باب حجة النبي ﷺ ونصه: (ابدأ بما بدأ الله به) ، ص ١٧٧ ، جـ ٨ ، م ٤ ط دار الفكر .

(٢) سورة البقرة: ١٥٨ .

خلقت من ضلع آدم ؛ ليأنس بها ويسكن إليها ، فكان له عليها هنا بعض فضل أيضاً ، وكل ذلك بمشيئة الله واختياره . ومعلوم أن هذا الفضل هو للجنس على الآخر ، وليس المراد به عين كل ذكر على عين كل أنثى .

وهذا التفضيل أيضاً مرده - غير ما سبق - إلى أن القتال مكتوب على الرجال بخلاف الساء ؛ فإن جهادهن الحج ، ومن يجود بنفسه كيف يقدم عليه غيره . قال عمر بن أبي ربيعة [1] .

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

ومما يقدم جنس الذكور على جنس الإناث في شرع الله أيضاً أنهم مكلفون بالإنفاق على المرأة ، وهذا جار على إطلاقه ، لا يضره خروج بعض النساء إلى العمل وإنفاقهن بعض المال على أسرهن ؛ لأن هذا منهن على سبيل الاختيار لا الاضطرار ؛ كما هو الحال عند الرجال . قال تعالى: ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ النساء: ٣٤.

ومما يقدمهم أيضاً كمال دينهم وعقلهم بخلاف النساء ؛ فإنهن ناقصات عقل ودين ؛ فأما نقص دينهن فإن إحداهن تقطع الصلاة أياماً وليالي عند حيضتها ، وأما نقص عقلهن فبسبب كفرهن نعم العشير ، ولهذا جعلت شهادتها نصف شهادة الرجل ؛ لأن الضلال أسرع إليها ، فهي أحوج إلى التذكير ، وأبعد عن العدالة ؛ قال تعالى: ﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن

---

(١) هو عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي أبو الخطاب ، وهو من طبقة جرير والفرزدق ، لم يكن في قريش أشعر منه . ولد في ليلة مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسمي باسمه . اشتهر بالغزل والمجون ، ورفع إلى عمر بن عبدالعزيز أنه يتعرض لنساء الحاج ويشبب بهن ، فنفاه إلى « دهلك » ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه ومات فيها غرقاً . له ديوان مطبوع . وكتب الشاعر ابن بسام (٣٠٣ هـ) عن حياته مفصلاً وذكرت عنه دراسات حديثة: (عمر بن أبي ربيعة شاعر الغزل) للعقاد ، و « حب بن أبي ربيعة » لزكي مبارك ، و« عمر بن أبي ربيعة » لعمر فروخ . « وفيات الأعيان لابن خلكان » . (٣٥٣/١) الشعر والشعراء ص ٢١٦ .

تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ...﴾ البقرة: ٢٨٢ ؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: ﴿ لا يفلح قوم ولوا أمورهم امرأة ...﴾[(١)] ؛ فهي لا تصلح للولاية العامة ، ولا للقضاء .

وكيف تقضي وهي لا تصلح وحدها شاهدة إلا إذا عضدت شهادتها بأخرى .

وليس في كل ما ذكر إساءة للمرأة ، ولا غض من شأنها ، بل وضعها في المنزلة التي أنزلها الله إياها ، ولعمر الله فالخروج على ما قدره الله محض شطط وضرب من التمرد لا يتفق مع الإيمان ، فمن لم يعرف قدر نفسه هلك ، ومن عرف حده ووقف عنده فقد أحسن وابتعد عن الضلال وركب المركب السهل .

فالسبق في الخلق ، والقتال ، والإنفاق ، وكمال الدين والعقل ، أبرز أربع خصال يقدم الذكر من أجلها على الأنثى ؛ وهذا يفسر تقديم لفظة الرجال على النساء ، وما في معناهما في القرآن ، كما سيأتي في الأمثلة.. فإذا وقع العكس فلعلة معنوية اقتضاها المقام ، مما سنذكره إن شاء الله .

فمن ذلك قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ فإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ الآية: ١٧٦ .لاحظ تقديم لفظ الرجال على النساء ، وهو من التقديم المشير إلى التفضيل .

ومثل قوله تعالى في سورة محمد ﷺ: الآية: ١٩: ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ...﴾.

وكذلك قوله تعالى في سورة الفتح: ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار ...﴾ الآية: ٥.

وقال تعالى في السورة نفسها وفي الآية التي بعدها: ﴿ ويعذب المنافقين

---

(١) الحديث رواه البخاري: (٤٤٢٥ ، ٧٠٩٩) ، والنسائي: ٢٢٧/٨ ، والترمذي: ٢٢٦٢ ، والحاكم: ١١٨/٣ ـ ١١٩ ، وأحمد: ٤٣/٥ ، ٤٧، ٥١ والبيهقي: ٩٠/٣، ١١٦/١٠ ، ١١٨ ، السنة للبغوي: ٧٧/١٠ .
وبألفاظ مختلفة: لا يفلح ، لن يفلح ، وما أفلح .

والمنافقات والمشركين والمشركات . . . ﴾ الآية: ٦ ؛ فقدم جنس الذكور على جنس الإناث كما هو ظاهر ؛ وهذا كثير جداً في القرآن ولا يحتاج إلى كثير تأمل للتحقق منه .

فإن وقع الأمر على خلاف ذلك ؛ كقوله تعالى في سورة الشورى: الآية: ٤٩ : ﴿ لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور . . .﴾ ؛ فقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه القيم « تحفة المودود بأحكام المولود »[1] ما معناه: أنه تعالى قدم ذكر الإناث في هذا الموضع على الذكور جبراً لحال من ولدن له ؛ لما في تربيتهن من مشقة ، والحفاظ عليهن من عناء ، وترغيباً له فيهن ، ولهذا عظم النبي ﷺ أجر من أحسن تربية ثلاث بنات ؛ حتى جعلهن وقاءً من النار ، لمن رباهن وأحسن ، وهو تأويل من ابن القيم جميل معقول ، لما استقر في أذهان العرب وغيرهم قديماً من كراهة البنات ؛ فهذا مسوغ كاف لمثل هذا التقديم ، بينما ذكر تعالى في الآية ٥٠ من السورة نفسها: ﴿ أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً ﴾ ؛ فقدم لفظ الذكور على الإناث مرة أخرى - جرياناً على الأصل - لانتفاء العلة التي من أجلها خرج عنه في الآية السابقة ، والله أعلم بالصواب .

ثانياً: مراعاة الترتيب الطبيعي لتسلسل الأحداث والتسلسل الزمني لها

١- قال تعالى في سورة التوبة: الآية: ١١٢ : ﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون ﴾، وكذلك قوله تعالى في سورة الحج: الآية ٧٧: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾ ؛ فهو في الآية الأولى قدم الراكعين على الساجدين ، وفي الثانية قدم الأمر بالركوع على الأمر بالسجود ، فما علة ذلك ، والسجود أعظم شأناً من الركوع وهيئته أدلُ على التعبد وأعظم في التذلل لرب العالمين . . .؟

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم ، ط دار المدينة للتوزيع ، بتصرف .

الواضح أن التقديم هنا جاء متوافقاً على الترتيب الطبيعي لوقوع الأحداث؛ فالركوع يقع قبل السجود . وليس المراد في الآيتين بيان أفضلية الأركان ، وهكذا يتضح الأمر . بينما قال تعالى في سورة آل عمران: الآية: ٤٣ : ﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ...﴾ ؛ فأمرها بالسجود قبل الركوع فما علة ذلك ...؟

الأمر في ذلك يسير ، إن شاء الله ، فلقد نص تعالى على أهم ركنين من أركان الصلاة في صدر الآية ؛ فالقنوت والسجود من أفضل أركان الصلاة ، فأمرها بإحسان هذين الركنين وصرف اهتمامها لهما بشكل غير عادي لفضلهما ، لما يذكر في القنوت من آيات الله ، ولما في هيئة الثاني من تعظيم لذات الله تعالى ، إضافة إلى أن الأمر بالقنوت والسجود جاء بصيغة المفرد ، مما يشير إلى العبادة الفردية الخاصة بمريم ، عليها السلام ، عندما تتعبد وحدها ، فأمرها بالاجتهاد فيها ، وحضها على أهم ركنين في صلاتها، بينما يشير قوله تعالى: ﴿ واركعي مع الراكعين ...﴾ إلى الصلاة مع المؤمنين جماعة ، حيث يكون الاجتماع سائغاً ، والصلاة واجبة ، وسمة عامة يتميز بها كل المؤمنين .

فأشار إلى صلاتها وحدها أولاً ، بالركنين المذكورين ، وأشار إلى الحالة الثانية بالركوع ، ولعله ذكر الركوع وأراد الصلاة كسمة عامة لكل مؤمن ، فهذا الذي يظهر لي في هذه الآيات الكريمات .

٢ـ جاء ذكر الجن والإنس في القرآن كثيراً ، وأحياناً مقروناً أحدهما بالآخر ... والاستقراء يدل على أن تقديم الجن على الإنس هو الأشهر والأكثر ، وذلك أنهم أسبق في هذا الوجود ؛ فالله تعالى خلقهم قبل أن يخلق آدم عليه السلام . وهم على ما يظهر لي أكثر في العدد أيضاً ؛ فهاهنا اعتباران معقولان لتقديم الجن على الإنس ، وهناك اعتبارات خاصة في بعض الأحيان متعلقة بالسياق الذي ترد فيه الآية ، مما يسوّغ تقديمهم على الإنس أيضاً .

من ذلك قوله تعالى: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾

الذاريات: ٥٦ .

فهم مكلفون بالتوحيد والعبادة قبل الإنس ؛ باعتبارهم أسبق في الوجود ، فهاهنا سبب تقديم الجنّ بيّن .

ومنه قوله تعالى في سورة الناس: آية ٦: ﴿ من الجنة والناس ﴾ فالاستعاذة من الجن - وهم على كثرتهم وإجماع كفارهم على الكيد لبني البشر وفتنتهم - أولى من الاستعاذة من شياطين الإنس ابتداءً ؛ على الرغم من أن شياطين الإنس لا يقلون - أحياناً - شراً وكيداً لبني جنسهم عن شياطين الجن ، إلا أنهم - بالتأكيد - أقل عدداً ، والأمل فيهم أكبر . فإذا وقعت الاستعاذة من الصنفين ؛ فمن شياطين الجن أولاً ، وهذا واضح إن شاء الله .

ومن المواضع الأخرى التي لا تخرج عن سياق ما ذكرنا من العلل في تقديم ذكر الجن على الإنس قوله تعالى في سورة الأنعام: آية ١٣٠: ﴿ يا معشر الجن والإنس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ... ﴾ ؛ فلما كان الخطاب عاماً ، وهم أسبق في الوجود، وأكثر في العدد ، جرى تقديم ذكرهم ، والله أعلم ، ومنه قوله تعالى في سورة الرحمن: ٣٣: ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ﴾ ؛ فهذا الخطاب مناسب لتقديم الجن على الإنس ، إضافة لما ذكر من الأسباب ؛ ذلك أن النفاذ من أقطار السموات والأرض عمل معجز خارق للعادة ، لا يقدر عليه أحد إلا بإذن الله وبقوة منه ، فيكون الخطاب للجن - وهم أصحاب قدرات خارقة وقوى غيبية - مناسباً لإثبات تمام العجز وانعدام القدرة ، والإنس بعد ذلك تبع لمن تقدمهم من الجن ، فهم أقل منهم - بالتأكيد - قوة وأكثر عجزاً ، وأبين ضعفاً .

فهذا سبب آخر يسوغ تأخيرهم عن الجن في الذكر هنا ، والله أعلم .

وإذا ذكرنا من الآيات ما يلقي ضوءاً على معاني تقديم الجن على الإنس بلاغياً - على قدر علمنا - فلا بأس من ذكر بعض المواضع التي تقدم ذكر

الإنس فيها على الجن ، وعلة ذلك . وقصدنا ليس استقراء المواضع جميعاً، بل تمهيد الطريق لفهم أسرار التقديم والتأخير ، بتسليط الضوءِ على قدر معقول ومقبول من الآيات المختارة لذلك .

ومنها قوله تعالى: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ الإسراء: ٨٨ ؛ فالقرآن نزل على محمد ﷺ وهو من الإنس ، فالخطاب لهم ، والتحدي بإزائهم ، وهم أوّل من كذب وأول من حارب ؛ فإظهار إعجاز القرآن لهم أولى ، باعتباره نزل عليهم أولاً ، وهم كذبوا به أولاً ، فهو وإن كان رحمة للعالمين وللخلق أجمعين لكنهم المخاطبون به بالدرجة الأولى ، وقبل كل أحد ، فإن تقديم ذكرهم هنا على سواهم هو المناسب والمقصود ، فالعلة هنا ظاهرة ، والله أعلم .

ثم إذا حاول أن يأتي أحد بمثل ما جاء في القرآن ، فلا بد أن يكون هذا المحاول من البشر ؛ لما ذكرنا من أنهم أول المقصودين بخطابه وأمره ونهيه ، يقف وراءهم ، يدفعهم ويحضهم ويعينهم شياطين الجن من خلف ستار ، فكان ذكرهم بعد الإنس بياناً لموضعهم في هذه العملية ـ لو تمت ـ ولكن هيهات .

ومن مواضع تقديم الإنس على الجن في الذكر قوله تعالى في سورة الرحمن: الآية ١٤، ١٥ ، ١٦: ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار، وخلق الجان من مارج من نار ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ ، وسبب ذلك ـ كما يبدو لي ، والله تعالى أعلم ، أنه جل شأنه فصل هنا خلق الإنسان بعد أن ذكره في مطلع السورة مجملاً عند قوله: ﴿ .. خلق الإنسان علمه البيان ﴾ ذاكراً نعمته عليه بتعليمه البيان ، وتمييزه بذلك عن الكثير من الخلق الأعجم، فعاد هنا وذكر خلقه من صلصال كالفخار ، متبعاً ذلك بذكر خلق الجن من مارج من نار ؛ فهذا موضع يبين شرف بني آدم من الإنس وفضلهم على الجن ، فتقدموا بالذكر عليهم ؛ فناسب الغرض هذا الخروج على مألوف ما عهدنا من تقديم الجن على الإنس فيما ذكرنا من الآيات .

ومما يسوغ تقديم الإنس أيضاً ـ لعلة أخرى ـ قوله تعالى في سورة الرحمن أيضاً آية ٣٩: ﴿ فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان ﴾ ؛ وهذه العلة هي للحفاظ على اتساق النظم وروعة البيان والحفاظ على الجرس الذي دأبت عليه مجموعة من الآيات في موضع واحد ، فلا بد من تأخير ذكر الجن ، بل استعمال لفظ الجان أيضاً للدلالة عليهم بدلاً من لفظ «الجن» ليناسب السياق الذي دأبت عليه السورة في ختم آياتها بالألف والنون غالباً ، وأهمية ذلك في الحفاظ على جمال النظم ووحدة الإيقاع ، مع أنهم سواء في موقفهم يومذاك أمام رب العالمين عند قيام الساعة ، فهذا بين جداً ومسوغ كاف للذي ذكرت ، وهو باب واسع من أبواب التقديم والتأخير يحمل عليه أكثر من موضع في الكتاب الكريم .

وأخيراً ، ومن المواضع التي تقدم فيها ذكر الإنس أيضاً ، قوله تعالى في سورة الأنعام الآية ١١٢: ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ . فلما كان الإخبار عن الأنبياء ، عليهم السلام وهم من البشر ـ ومن عاداهم ؛ وأولهم البشر الذين أرسلوا إليهم أولاً ، اقتضى أن يتقدم ذكرهم على شياطين الجن الذين ظاهروهم على العداوة ، وأوحوا إليهم بكل قريب في هذا السبيل . فهذا تعليل هذا والله أعلم .

وهكذا بقية المواضع لا تخرج عما ذكرنا عند التأمل .

٣ـ ومن هذا الباب أيضاً ؛ أي ترتيب الأشياء في الذكر حسب تسلسلها في الحدوث ، أو الأشخاص حسب سبقهم في الوجود: قوله تعالى في سورة الأحزاب الآية٧: ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ﴾ فبعد ذكر النبيين جميعاً عاد تعالى ونص على ذكر الرسل أولي العزم ، مبتدئاً بآخرهم لغرض الإشادة والتنوية بالفضل ، ولعلو الشأن ، مستثنياً محمداً ﷺ من الترتيب التاريخي الذي جرى ذكر غيره في سياقه ، فذكر نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم صلوات الله وسلامه حسب وجودهم التاريخي

وتسلسل ظهورهم الزمني على التوالي .

ومن ذلك أيضاً ، قوله تعالى في سورة النساء الآية ١٦٣ : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح وإلى النبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ﴾ ؛ فذكر تعالى من أوحى إليهم مبتدئاً بمحمد عليه الصلاة والسلام ، وهو آخر الرسل ، ولقد بينا علة ذلك آنفاً ، ثم عاد فذكر أول الرسل أولي العزم نوحاً عليه السلام ، وهو أسبقهم وجوداً ، تلاه بذكر إبراهيم وآله ، محافظاً على الترتيب الزمني لوجودهم .

وهذا السياق يتكرر في سورة البقرة آية: ١٤٠ : ﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى ﴾ ، ولا يبعد أن يكون هذا الترتيب مشعراً بالأفضل ، فالأفضل أيضاً ـ والله أعلم ـ لكنه خرج على هذا السياق التاريخي عند ذكر عيسى ، للعلة نفسها التي ذكرناها في تقديم محمد عليه الصلاة والسلام ، وهي التنويه بالفضل ، والإشعار بعلو المنزلة ، ثم ذكر بعده أيوب ويونس وهارون وسليمان وداود عليهم السلام .

ومما يلفت النظر هنا ؛ تقدم سليمان على أبيه داود ، مع أن أباه أسبق منه وجوداً وبعثة ، وتعليل ذلك سهل ـ إن شاء الله ـ فسليمان ذكر مع السياق ، بينما ختمت الآية بداود عليه السلام ، فكان تأخيره سائغاً لأنه ذكر مشاداً به ، منوهاً بفضل الله عليه ، بإتيانه الزبور ، ولم يذكر بالاسم المجرد كما ذكر سليمان عليهما ، وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام .

ويلاحظ في الآية أيضاً ، خلوها من ذكر موسى عليه السلام ، وهو من الرسل أولي العزم ، وجواب ذلك في الآية بعدها ، رقم: ١٦٤ ، حيث يقول تعالى: ﴿ ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ﴾ ؛ فكان ذكره عليه السلام وحده مع بيان صفته التي شرفه الله بها دليلاً على علو شأنه ، وبياناً لسمو منزلته ، وتفسيراً لعدم ذكره في السياق الأول ؛ وهذا من أسرار النظم القرآني المعجز ،

وأحكام اللفظ المدهش ، فليتعلم منه المتأدبون ، وليستفد منه أهل الذوق والتهذيب ؛ فليس إلى مثله سبيل ، ولا إلى محاكاته مثيل .

ومن ذلك أيضاً ، قوله تعالى في سورة الشورى الآية ١٣ : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ ؛ فانظر كيف نوه بالذي أوحى إلى محمد عليه الصلاة والسلام ، بالبدء به ، وإخراجه من سياقه التاريخي، وكيف حافظ على هذا السياق عند ذكر من عداه ، عليه الصلاة والسلام ، وهذا دليل يدعم ما سبق أن بيناه وشرحناه .

أما قوله تعالى في سورة المائدة آية ٧٨: ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ ؛ فقد تقدم فيها ذكر داود على عيسى عليهما السلام ، مع أن الأخير أعظم منزلة بين المرسلين من داود ؛ ومرد ذلك - والله أعلم - إلى أن اللعنة التي حلت بمن كفر من بني إسرائيل كانت أولاً على لسان داود قبل ميلاد عيسى عليهما السلام ، ثم تكررت اللعنة على من كفر منهم على لسان عيسى فيما بعد ، فاقتضى هذا تقديم داود وتأخير عيسى في الذكر ، لأن تسلسل الحادث يقتضي ذلك ؛ وهو واضح إن شاء الله .

٤- قوله تعالى في سورة البقرة آية ١٤٢ : ﴿ قل لله المشرق والمغرب ﴾ ؛ يقع ضمن السياق الزمني ؛ فالشروق قبل الغروب ، فهو الأسبق - ولا ريب - فلا غروب إلا ويسبقه شروق ، وهكذا يتقدم ذكر المشرق وما في معناه على لفظ المغرب وما يشابهه بشكل مطرد في كتاب الله كلما ذكرا معاً ، ومثال ذلك قوله تعالى في سورة النور: آية ٣٥: ﴿ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴾ ؛ وقوله تعالى في سورة الرحمن آية ١٧ : ﴿رب المشرقين ورب المغربين ﴾ ؛ وقوله في سورة المعارج آية ٤ : ﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون ﴾ .

وفي مواضع أخرى لا ضرورة لإحصائها .

ثالثاً: مراعاة دعاوي خاصة لفظية أو معنوية .

١- ومن الترتيب البليغ الذي يفيده التقديم والتأخير ، مما يفعل في نفس السامع العجب ، ويدله على عظيم القدرة الإلهية: قوله تعالى في سورة النور الآية ٤٥: ﴿ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾ ؛ حيث انتقل الذكر من الأعجب إلى العجيب ، فابتدأ بذكر من يمشي على بطنه ، وأتبعه بذكر من يمشي على رجلين ، ثم من يمشي على أربع ، وهذا لبيان كمال القدرة وعجيب الخلق ؛ لذلك تأخر ذكر من يمشي على رجلين وفيهم البشر ـ رغم أفضليتهم ـ على من سبقهم ، لأن المقصود من الذكر هنا غير التفضيل ، بل ما قدمناه ، والله أعلم بمقاصده.

٢- ومن لطيف التقديم والتأخير ـ أيضاً ـ مما يظهر دواعي الخروج على السياق التاريخي لحادثة ، ما جاء في سورة البقرة ، الآية ٣٠ ، عندما قص الله قصة خلق آدم ، فكان السياق التاريخي يقتضي ذكر سجود الملائكة لآدم بعد ذكر خلقه ، ثم ذكر تعليم الله له أسماء كل شيء ؛ كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿ إني خالق بشراً من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ . وظهور فضله بذلك على الملائكة ، فيعلمون علة سجودهم له .

ولكن الذي ذكر في سورة البقرة غير ذلك ، فقد ذكر بعد خلقه تعليمه أسماء كل شيء ، ثم عقب بذكر سجود الملائكة له ، قال تعالى في الآيات (٣٠ ـ ٣٤) من سورة البقرة: ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات

والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ، وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾. يقول ابن كثير في تفسيره [1] تعليلاً لهذا: « وإنما قدم هذا الفصل على ذاك لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليقة حين سألوا عن ذلك فأخبرهم تعالى بأنه يعلم ما لا تعلمون ، ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم من العلم » .

قلت: وهذا مسوغ قضت به ضرورة عارضة ، وحيث توجد مثل هذه الضرورات يسوغ التقديم أو التأخير ، ويصح الخروج على سياق الأحداث ؛ إمعاناً في البيان ، وغلقاً لما قد يفضي إلى سوء الفهم .

والله أعلم بمراد النظم ، فله البيان المعجز والحكمة البالغة ، جل شأنه .

٣ـ ومما أمر به تقديم ضرب المثل للكافرين في سورة التحريم قبل ضرب المثل للمؤمنين ، مما اقتضى تقديم ذكر امرأة نوح وامرأة لوط عى امرأة فرعون ومريم بنت عمران ، وهما من المؤمنات ، بينما الأوليان كافرتان ، فذلك يعود إلى أن ذكرهما معاً جاء مجملاً في آية واحدة وقعت بعد أمر الله نبيه ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم ، وبيان سوء مصيرهم ؛ فكان هذا أنسب مع السياق .. فلما ضرب المثل للمؤمنين بذكر امرأة فرعون ، خصها تعالى بآية كاملة فصل فيها حسن عاقبة تلك المرأة المؤمنة وثباتها بالرغم من فتنة فرعون ، ولجوئها إلى الله تعالى تطلب منه الهدى والسداد والنجاة ، وكذلك فعل تعالى مع مريم بنت عمران التي أحصنت فرجها ، وصدقت بكلمات ربها وكتبه ، وكانت من القانتين ، كما أشاد بذكرها القرآن ، فكان ذكر المرأتين مثلاً يحتذي به المؤمنون على شيء من التفضيل والإشادة بالذكر ، كما كان خاتمة حسنة للسورة ؛ تبهج النفس ، وتقوي العزيمة ، وتستثير الهمة ؛ فمن يتأمل الآيات التي سنوردها يستطيع إدراك ذلك وتذوقه والارتياح إليه .

قال تعالى في سورة التحريم الآيات ٩ ـ ١٢: ﴿ يا أيها النبي جاهد

(١) تفسير ابن كثير ، ص ١٢٠ ، جـ ١ ، ط دار الأندلس .

الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ، ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ، ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ﴾ .

وهكذا الحال كلما اقترن ذكر المؤمنين والكافرين معاً ، فإن الله تعالى يذكر أولاً ما يناسب المقام ـ مع بداهة كون المؤمنين أفضل وأهل للتكريم ؛ فالقرينة هنا واضحة لا لبس فيها ، فإن تقدم ذكر الكافرين لا يوهم بفضلهم أبداً ؛ إذ لا فضل لهم ولا كرامة تقتضي الإشادة بهم ؛ إلا في مواطن التشهير بهم والتشنيع عليهم لكفرهم وسوء عاقبتهم ، فالبحث هنا عن علة التقديم أو التأخير يكون خارج نطاق التفضيل ؛ فإذا كان الموضع موضع تشريف فالمؤمنون يذكرون أولاً ولا ريب .

وهذا مثل آخر في قوله تعالى في سورة التغابن الآية ٢ : ﴿ هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ ؛ فقد تقدم ذكر الكافر على المؤمن بسبب الكثرة الغالبة في الخلق لأهل الكفر على أهل الإيمان ، وهم قلة في أغلب الأزمان ، ومن يقرأ الآيات بإمعان ، ويربط ما قبلها بما بعدها ، تتبين له معانٍ قد تخفى على من يقرأ الآية مفردة عما سواها .

٤ـ ومما يرد ذكره مقترناً بعضه ببعض في مواضع كثيرة من القرآن ، السموات والأرض ، بتقديم السموات في أكثر المواضع ، ، كقوله تعالى في سورة الإسراء آية ٥٥ : ﴿ وربك أعلم بمن في السموات والأرض ﴾ ؛ وفي الآية ٩٩ من السورة نفسها : ﴿ أولم يروا أن الذي خلق السموات والأرض... ﴾ ؛ وفي سورة فاطر الآية ٤١ : ﴿ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ... ﴾ ؛ وفي سورة الأحزاب آية ٧٢ : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض .... ﴾ ؛ وفي سورة الحديد آية ٤ : ﴿ هو

الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ...﴾ ؛ وفي كثير من المواطن الأخرى . ولعل تعليل ذلك أن السماء خلقت قبل الأرض ، فهي أقدم في الوجود ، إضافة إلى أنها أكبر من الأرض ، وهو مسوغ ثانٍ لهذا التقديم ، فإن ورد الأمر بخلاف ذلك ، كقوله تعالى في سورة فصلت الآيات ٩ - ١١ : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ﴾ ؛ فالذي أراه هنا أن السياق قبل الاية المذكورة كان يتحدث عن تكذيب الكافرين بالرسالة وإعراضهم عن الدعوة ، فصرف انتباههم إلى خلق الأرض القريبة منهم ، وشنع عليهم كفرهم بأحقية الخالق بالعبادة وحده ، مع إقرارهم بخلقه وحده، فكان ذكر الأرض أقرب إليهم ، وأدعى إلى لفت نظرهم وبيان شدة تناقضهم وقبيح كفرهم ، فلما تحقق الغرض رجع السياق إلى وضعه الأول في تقديم ذكر السماء على الأرض في قوله: ﴿فقال لها وللأرض...﴾.

وقد يكون لمراعاة النظم والحفاظ على جرس الآيات - كما ذكرنا آنفاً - أثر في الخروج على مالوف التقديم والتاخير ؛ كما في سورة طه الآية: ﴿تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى﴾ ؛ بينما قال تعالى بعد ذلك: ﴿ له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ﴾ ؛ فعاد إلى تقديم ذكر السموات على الأرض .

وهكذا ، لكل موضع حكمة ، ولكل بيان سر ، والله تعالى أعلم وأحكم .

٥- وكذلك في تقديم الشمس على القمر ، في أغلب المواضع التي ذكرا فيها معاً ؛ كقوله تعالى في سورة الرحمن الآية ٥ : ﴿ الشمس والقمر بحسبان ﴾ ؛ وفي سورة الأنبياء الآية ٣٣ : ﴿ هو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر ﴾ ، وفي سورة العنكبوت آية ٦١ : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ﴾ ؛ وفي سورة

فصلت آية ٣٧: ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ﴾ ؛ وفي سورة القيامة الآية ٩: ﴿ وجمع الشمس والقمر ﴾ ؛ وهكذا . وعلة ذلك ـ كما تبدو لي ـ أن الشمس أكبر من القمر ، وضياؤها أقوى ، وحضورها أكثر، ولعل خلقها أسبق ـ أيضاً ـ إذا أخذنا قوله تعالى: ﴿ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر ﴾ هذا المأخذ ، وفهمنا منه أن تقديم ذكرها في الآية لسابق وجودها بالرغم من عدم قطعية هذا الدليل ، لأن الواو تفيد التسوية ، لكن المقصود بيان سبب تقديم الشمس على القمر ، وفيما قدمنا أكثر من مسوغ لذلك ، طارحين جانباً ما يقوله الفلكيون من كون القمر مجرد تابع للأرض التي تدور حول الشمس ، وأنه كوكب مظلم يستمد نوره من ضوء الشمس .

فإن قيل: فما علة الخروج عن هذا السياق في قوله تعالى: ﴿ وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً ﴾ نوح: آية ١٦ ؟ قلنا إن سبب ذلك ـ والله أعلم ـ يعود إلى توافق السجع ؛ فهو الذي قضى بذلك . فإذا قرأنا الآية ١٨ من السورة نفسها وجدناها تنتهي بالقافية عينها التي تنتهي بها كلمة « سراجاً » وكذلك الآية ٢٠ ؛ وهكذا ينجلي الأمر ، وتتضح العلة ، والله أعلم بما يريد .

الخاتمة:

فيما تقدم من الأمثلة والشواهد القرآنية ، وما صاحبها من تعليقات أردت بها شرح شيء من حكمة التقديم والتأخير ـ كما فهمتها ـ يتبين أن علة الأمر تتلخص فيما يأتي:

١ـ يتقدم الأفضل على المفضول في الذكر ، وإذا جاء الأمر بخلاف ذلك ـ على عادة العرب أحياناً ، فهم يبدؤون بالمؤخر ويؤخرون المقدم كما يقول الثعالبي [1] في كتابه (فقه اللغة) فهذا مرده إلى علة بلاغية ؛ تتعلق

---

(١) الثعالبي: هو عبدالملك بن محمد بن إسماعيل ابو منصور الثعالبي ، من أئمة اللغة والأدب ، من أهل النيسابور ، كان فراءً يخيط جلود الثعالب فنسب إلى صناعته ، واشتغل بالأدب والتاريخ فنبغ من كتبه: « يتيمة الدهر » مطبوع و « فقه اللغة »

=

بالأسلوب ؛ أو بالمعنى ، تدعو إلى مثل هذا الخروج عن السياق .

٢ـ تسلسل الأحداث الزمني يستدعي تقديم بعض الحوادث على سواها أو بعض الأشخاص على غيرهم ، حتى وإن كان المقدم مفضولاً ، فالسياق التاريخي ـ بحد ذاته ـ كافٍ للتقديم .

٣ـ هناك دواع خاصة معنوية ؛ كالكثرة والقلة ، وأخرى لفظية ؛ كمراعاة السياق ، تستدعي ترتيب الأشياء في الذكر بما لا يخل بتلك الدواعي ، ويكون التقديم أو التأخير ـ أحياناً ـ مفيداً معنى لا يتحصل إلا به ويفوت إذا تغير الترتيب .

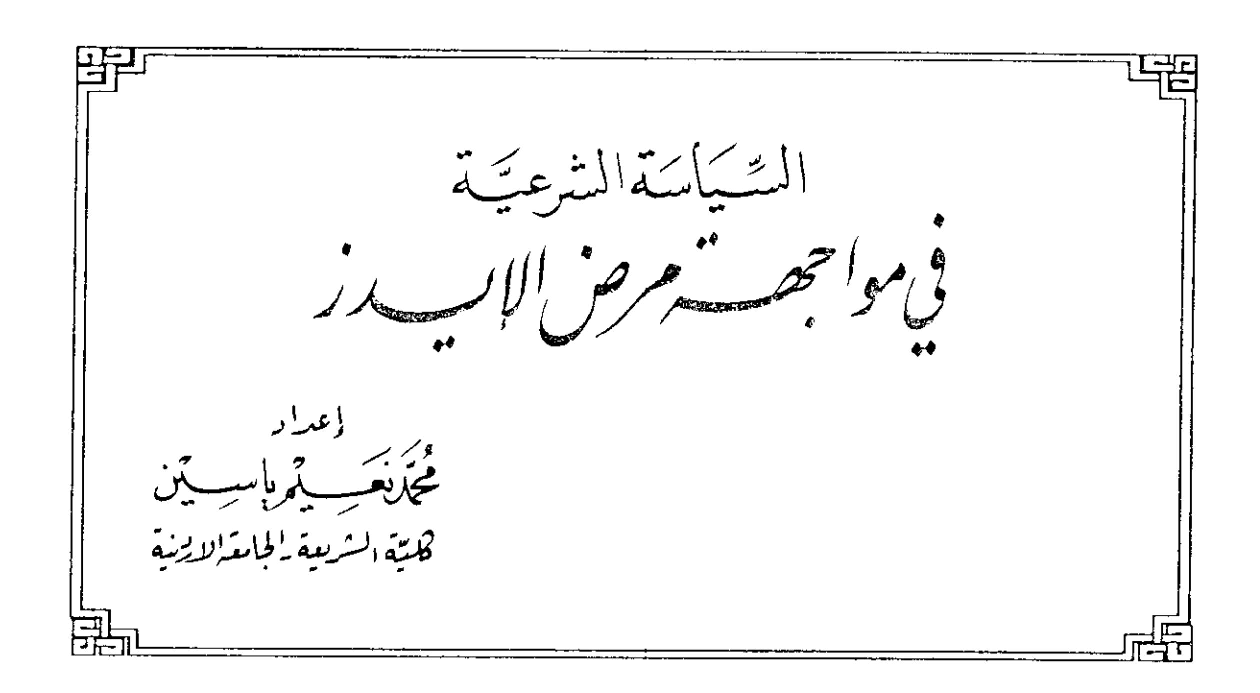
وقد ضربنا الأمثلة لكل ما تقدم محاولين شرح هذه الظاهرة والتعمق في فهم مدلولاتها ، والإفادة مما توحي به من معانٍ لطيفة وأسرار خفية لا يدركها إلا العالمون .

وعندما ذكرنا كل ذلك لم نغفل عن بيان ما جاء على خلافه ، كما فعلنا في أغلب المواضيع التي أوردناها ، ذاكرين الغالب والنادر أو الكثير وخلافه ، معللين ذلك على قدر طاقتنا من الفهم ، وما أوتيناه من العلم وهو نزر يسير ، ونريد أن نؤكد هنا أن التأمل ، ومحاولة فهم العلة التي من أجلها يكون الخروج على الأمر الغالب في التقديم والتأخير ، يقودنا بإذن الله إلى معنى طريف يقف وراء مثل هذا الخروج على الأمر المألوف ، وهو دعوة ـ قديمة جديدة ـ إلى التدبر والتأمل عند تلاوة آيات الذكر البينات ؛ الأمر المقصود من التلاوة ، والمحضوض عليه .

ربنا خذ بأيدينا إلى ما فيه رضاك ، ودلنا على سبل هداك ، واجعل عملنا كله خالصاً لوجهك صواباً في سبيلك ، صالحاً عندك ، وانفعنا به والمسلمين في الدنيا والآخرة .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

= و« سحر البلاغة » و« لطائف المعارف » وكتب كثيرة جداً بعضها مطبوع وبعضها مخطوط. توفي سنة ٤٢٩ هـ عن ٧٩ سنة ، « وشذرات الذهب: ٣/٢٤٦ » ، الأعلام: ٤/٣١١ .



مقدّمة

السياسة في اللغة هي القيام على الشيء بما يصلحه . والسياسة الشرعيّة في اصطلاح العلماء هي (استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل وتدبير أمورهم) ، أو هي (ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد وإن لم يأت به دليل تفصيلي) .

وهي وظيفة الحاكم المسلم أو الحكومة الإسلامية ؛ لأن المسلمين إنما يختارون إمامهم لغرض محدد ، وهو اتخاذ التدابير الكفيلة بتحقيق مصالحهم ودفع الفساد والبلاء عنهم ويدخلُ في ذلك ما يسنّ من قوانين وما يتخذه من إجراءات وترتيبات وما ينشئه من مؤسسات وغير ذلك .

والمقصود من هذه المقالة بيان التدابير التي يجب على الحكومة الإسلامية اتخاذها لدفع هذا المرض عن الأمّة أو التخفيف من آثاره المدمّرة عليها .

ولا يخفى ما لهذا الموضوع من أهميّة بالغة تظهر بالنظر في التصوير الذي أفادنا به أهل الاختصاص لأحوال هذا المرض وخصائصه وطرق انتشاره وآثاره

الخطيرة ؛ فإن أيَّ مطلع على ما كتب حوله يخرج بانطباع أنه أخطر مرض ظهر في بني البشر .

وترجع خطورته كما قرروا إلى أنه يؤول إلى كشف حِمى الجسد الإنساني أمام مختلف الأمراض في آن ؛ وذلك بسبب تدميره لما يُسمى بجهاز المناعة؛ حتى يغدو الطفيل الحقير الذي لم يبن له أدنى حساب عند أهل الطب سبباً في إنهاء حياة المريض دون أن يكون للطب حول ولا قوة .

كما ترجع خطورته إلى تغييره لوظيفة السائل المنوي من كونه مادة الحياة الأولى التي لا بد منها لتكاثر الجنس البشري وحفظ نوعه إلى أداة تزرع الموت والدمار بدلاً من زراعة الحياة . وإلى كونه مرضاً معدياً سريع الانتشار بين الناس ؛ حيث أفادت السلطات الصحيّة في كثير من دول العالم أن أعداد مرضى الإيدز تتضاعف بشكل متواليات هندسيّة مخيفة ؛ مما سبّب كثيراً من القلق والرعب لدى الناس كافة ، وعذاباً وألماً وضنكاً من العيش لا يوصف لدى المصابين أنفسهم ، بسبب معاملة الناس لهم ؛ وبخاصّة أن الطب ما زال يُعلن إفلاسه في اكتشاف طعم واق له أو أي علاج ناجع .

ومن مظاهر خطورته أيضاً صعوبة اكتشافه في مراحله الأولى ؛ حيث يكون كامناً خانساً ليس له أثر يدلُّ عليه . ومن مظاهرها أيضاً صعوبة ضبط القنوات التي ينتشر بوساطتها ؛ حيث إنّ أخطر هذه القنوات يرتبط بأخصّ تصرفات الإنسان الشخصيّة ، وهو قضاء شهوته الجنسية .

يضاف إلى ذلك كله أنه مرض لا نهاية له إلا الموت ؛ بمعنى أن نسبة الناجين منه صفر بالمئة ونسبة الهالكين مائة بالمئة .

ولست أريد من وراء ما تقدّم أن استقصي خصائص هذا المرض ، وإنما أردت أن أذكّر بأن هذا البلاء يستحق من الدول والمؤسسات والأفراد أقصى درجات الاهتمام ، وأن يُوظفَ للوقاية منه الأموال والرجال ، وأن يستعد الناس نفسيّاً للتنازل عن بعض حرياتهم الشخصيّة في سبيل الخلاص منه .

هذا وإن سبل الوقاية التي تتخذها الدول والمؤسسات لمواجهة هذا المرض

ما زالت تتسم بالقصور ؛ لأن معظمها موجّه للأعراض والآثار ، ولا تنفع إلا لتأجيل الكارثة بعض الوقت دون دفعها أو حتى إيقافها عند حدّ معتدل ، ومثلها كمثل من يضع الأحجار في الطريق ليعرقل مسيرة جيش معه من الوسائل ما يزيل بها الجبال .

وهذه الحال تلقي تبعة خاصّة على أمّة الإسلام أن تضرب للأمم مثلاً في كيفية مواجهة هذا البلاء ، وأن تقدّم لها منهجاً فعّالاً في مقاومته ؛ فلعلها تعيد النظر في مواقفها العدائية من الإسلام إذا رأت من أهله موقفاً مؤثراً في صلاح البشرية وسعادتها .

وإذا كان الأمر كذلك ؛ فما معالم السياسة الإسلامية في مواجهة هذا المرض؟

إنّ منهج الإسلام في تصحيح الأوضاع المنحرفة للإنسان يقوم على الوقاية الجذريّة ؛ بمعنى أنه يبني الجدران الصلبة التي تعِزّ على الاختراق أمام أسباب الانحراف ، فإن بقي شيء من آثار تلك الانحرافات عالجها بما يليق بها ؛ ولذلك فإنّ فهم الجواب عن هذا السؤال يتوقف على العثور على السبب الأول الذي كان وراء الظروف والعوامل التي أنجبت مرض الإيدز، فما هو؟

جذور البلاء :

بداية الطريق التي توصل إلى معرفة جذور هذه البلية يجب أن تكون من المقررات والنتائج التي توصّل إليها أهل الاختصاص ؛ فماذا قالوا عن سبب هذا المرض ووسائل انتشاره ؟

من خلال مطالعتي حول هذا المرض وجدت أن طائفة من علماء الغرب، بعد أن اكتشفوا الفيروس المسبب لهذا المرض ، طفقوا يبحثون عن أصله في مظنات بعيدة تحفظ ماء الوجه للفلسفة التي عليها أقاموا بنيان نظامهم الاجتماعي ، وتبعد التهمة عنها ؛ ليسلم لهم منهجهم الذي فرحوا به ردحاً من الزمن ، وهو المنهج القائم على المبالغة في الحرية الشخصيّة والاستمتاع المرسل في فترة العمر بجميع الوسائل ؛ حتى خرج منهم من يقول إنّ هذا

الفيروس دخيلٌ على الحياة الإنسانية ، وليس مما كسبت أيدي الناس ، وإنما دخل عليهم من بعض الحيوانات كالقرود . ولكن قام من أقرانهم من أبطل هذه المقولة وبرّأ القرود فتحولت طائفة منهم إلى إلصاق التهمة - تهمة توليد فيروس الإيدز - بعرق معيّن من أعراق البشر ، كأهل إفريقية وهاييتي ، فتصدى لهم آخرون وأبطلوا هذا الزعم . ثم خرج منهم من يشوش على العقل ليبعِد الاتهام عن المجرم الحقيقي ، فزعم أن ذلك الفيروس إنما صُنّع في المصانع الحربية ، ولا علاقة له بمناهج الناس في الاستمتاع ، وكل تلك المحاولات باءت بالفشل الذريع ، واستقرت كلمة العقلاء منهم على أن هذا المخلوق المدمّر للحياة إنما نشأ أول ما نشأ ، ثم ترعرع في أحشاء الشواذ والبغايا ودمائهم ، وأنه أطلّ رأسه أول ما ظهر من مستنقع الإباحيّة التي تسُودُ العالم الغربي ، حتى أطلقوا عليه طاعون الشواذّ . بل إنّ كثيراً من أهل الاختصاص يتوقعون أن يزداد فيروس الإيدز شراسةً وتوحشاً بازدياد الفوضى الجنسيّة .

هذا بالنسبة إلى العوامل الرئسية التي أدّت إلى ولادة هذا المرض ، وأما بالنسبة إلى طرق انتشاره واحتلاله لمواقع جديدة من أجساد بني البشر فإن أهل الاختصاص يجزمون بناء على دراساتهم أنّ أخطر قنواته هي الممارسات الجنسية الشاذة والإدمان على المخدرات والبغاء ، وأن هذه القنوات لو سُدّت لحوصر وقضي عليه نهائياً ؛ لأن القنوات الأخرى كنقل الدم والتبرع بالأعضاء والحمل وغيرها لا تشكل في فاعليتها سوى نسبة ضئيلة ، وهي قنوات يمكن الاحتياط لها بالمراقبة والضبط .

هذه هي كلمة أهل الاختصاص خلاصتها أن نشوء هذا المرض وانتشاره ثمرةٌ أكيدةٌ للانفلات الجنسي والإباحيّة المطلقة . لقد أوصلونا إلى هذه النقطة، وقربونا إلى الهدف مشكورين ، ولسان حالهم يقول للقادرين على توجيه الحياة الاجتماعيّة: إذا أردتم قطع دابر هذا المرض فخذوا الناس بمنهج في الحياة يقطع دابر الفوضى في علاقاتهم الجنسية .

وهنا يرد سؤال منطقي هو: لماذا آل الأمر في بعض المجتمعات إلى تلك

الفوضى في العلاقات الجنسية ؟

إن العقيدة الإسلامية ترفض أن يُعتبر الشذوذُ الجنسيُّ وراثياً ؛ لأنّه لو كان كذلك لما واجهه الإسلام بالعقوبات ، ولكنها تعتبره من الفساد المكتسب بالتوجيه والتربية ؛ وليس أدلّ على ذلك من أن هذا الانطلاق الشهواني يزيد دائماً في المجتمعات التي قطعت صلتها مع الله ، وكثرت فيها دواعي الشهوة ومنشطاتها ، من المناهج والترتيبات والممارسات . بينما تخفّ حدته كثيراً في المجتمعات التي وثقت صلتها مع الله ، وابتعد أفرادها عن تلك الدواعي والمنشطات الغريزية .

وأصل ذلك أن ارتكاب الجرائم والانحرافات بمختلف أشكالها يأتي في معظم الأحيان تلبيةً لنداء داخلي قوي طاغ يخرج من كيان الإنسان يطلب إليه تحصيل متعة أو تحقيق شهوة ؛ ومصدر هذا النداء أجهزة معينة مخلوقة في ابن آدم أصلاً لتحقيق مصالح جوهريّة إذا كانت في وضعها المعتدل المتوازن . فإذا خرجت عن حدّ الاعتدال تضخّمت ، وسيطرت على الكيان الإنساني وصار صاحبها عبداً لها ، وهذه الأجهزة هي ما يُسمّى بالغرائز .

وأعتقد أن كثرة الانحراف في مجتمع معين يتناسب طرديّاً مع ازدياد الأفراد الذين تتضخّم فيهم تلك الأجهزة ، وأن تضخمها وازدياد سلطانها ثمرة أكيدة للتركيز عليها ، والتعهّد المستمرّ لها ، كما أعتقد أن التربية المادّية التي يؤخذ بها الناس في هذه الأيام قد تكفّلت بتسمين تلك الأجهزة وتضخيمها لدى كثير من الناس .

وبيان ذلك أن الله عز وجلّ أودع في الإنسان ثلاثة أصناف من القوى: قوى متحركة وقوى باعثة على الحركة ، وقوى مدركة:

فأما القوى المتحركة فهي تلك القدرات المخلوقة في الجوارح والعضلات والأعصاب . وهذه القوى ليس لها إرادة ، وإنّما تتوجّه وتتلقى من أصناف القوى الأخرى ، وهي قوى يشترك فيها الإنسان مع الحيوان .

وأمّا القوى الباعثة على الحركة ، فهي ما يسمّى بالغرائز ، وهي منبع

شهوات ثلاث: شهوة الفرج وشهوة البطن وشهوة التَسلط ، وينشأ عنها شهوة رابعة هي شهوة جمع الأموال ، حيث يتحقق بها مطالب الشهوات الثلاث الأصليّة . ولهذه القوى سلطان يضعف ويقوى بقدر ما تجد من العناية والتركيز والتغذية ، وفيها قابليّة الانصياع للقوى المدركة وقابليّةُ التمرّد عليها ، وهي في مجملها يشترك فيها الحيوان مع الإنسان .

وأما القوى المدركة فهي نوعان: الحواس ، ويشترك فيها الحيوان مع الإنسان أيضاً ، وهي مجرد منافذ للطاقات الإنسانية على موجودات الحياة المحسوسة ، وليس لها إرادة ، ولا تستشرف القيادة بحال . وأما النوع الثاني من القوى المدركة فهو ذلك النوع الذي تميّز به ابن آدم عن بقيّة الحيوانات ، وتشرف به على سائر المخلوقات ، وهو القوة المدركة للحقائق التي أودعها الباري في هذا الوجود ، ومصدرها ما نسميه بالعقل ، وقد سمّاه خالقه كثيراً بالقلب ، ونسب إليه التعقّل والتفكّر والتدبّرَ والتفقّه والتأمّل، ولم ينسب ذلك إلى غيره من القوى الإنسانيّة ، وهو له إرادة أيضاً ويستشرف قيادة الكيان الإنساني .

هذه القوى مجتمعة تشكل مملكة النفس الإنسانيّة ، ويتنازع قيادتها قوى الغرائز والقوى المدركة العاقلة .

ولا شك في أنّ مصلحة هذه المملكة وسعادة عناصرها تكمن في تسليم قيادها للقوى العاقلة فيها ؛ كأية مملكة بشريّة إذا سُلمت فيها مقاليد الأمور لعقلائها وعلمائها وقُدّرَ فيها من يستحق التقدير انتظمت وازدهرت وسُعِدَ أفرادها . ولكن تلك النفس إذا سُوّدت فيها القوى الحيوانية غير العاقلة ، وتسلطت على القوى العاقلة شقيت وانخرقت واضطربت ، كأية مملكة يسود فيها جهالها ، وتوسّد فيها الأمور إلى غير أهلها .

ولذلك فإنّ مصلحة الإنسانيّة كانت وما تزال وستظلُّ في إعطاء النصيب الأكبر من الرعاية والعناية والحماية للقوى المدركة العاقلة في أبنائها . ولا يُخشى من تضخّم هذه القوى وسيطرتها على الكيان الإنساني ؛ لأن فيها ميزاناً وضابطاً ذاتياً يمنعها من ظلم القوى الأخرى ، وهو قدرة هذه القوى

على معرفة الأوضاع السليمة للأشياء والمعاني ، وترتيب الأمور بالصورة العادلة . ومع رعاية القوى العاقلة في النفس الإنسانية ينمو ذلك الميزان ويزداد دقّةً وحساسية . وأمّا إذا جُعلت الرعاية والعناية والحماية والتقدير لقوى الغريزة البلهاء ، وغُلبت جنبتها على جنبة القوى العاقلة تعاظمت في كيان الإنسان وطغت واستبدّت وسَخّرَت لتحقيق مطالبها جميع القوى الأخرى ؛ فصار العقل عبداً لها يخطط لتعزيز سلطانها ، ويكتشف ما يُشفي غليلها ، ويفلسف لها مطالبها ، وصارت الجوارح جنوداً لها لا تتحرك إلا بإيحاءاتها.

وليس في هذه الغرائز ميزان ولا ضابط ، لأنها غير عاقلة ، ولا تكفّ عن طلب المتعة واللذة ولا يضبطها حق ولا عدل ، ولا طلب لمصلحة حقيقية ، ولا هرب من مفسدة . وهكذا يصبح حال النفس الإنسانية مع الغرائز الطاغية كحال مملكة قُهر ملكها العادل الحكيم ، ونزعت منه القيادة ، وتربّع على عرشها جنديٌّ جاهل لئيم لا يدري وجه المصلحة ، ولا يستمع لنصح ناصح ، فيخبط في الرعيّة خبط عشواء ، ثم يطيعه الناس فيهلك ويهلكون في خاتمة المطاف .

هذان منهجان للتعامل مع قوى الإنسان التي أودعها الله فيه: المنهج الذي ينبغي أن يكون ، وهو تعهد القوى العاقلة في ابن آدم ورعايتها وإعلاء شأنها ورفع قيمها وجعلها في مقام القيادة والسيادة في الكيان الإنساني . والمنهج الثاني يستهدف تأليه الهوى وقوى الغريزة وإعلاء شأنها ورفع قيمها وتسليمها قيادة الإنسان . والمنهج الأول ربانيّ تظهر معالمه في القرآن العظيم؛ حيث لا يكاد يذكر العقل والقلب إلا بالخير والإشادة ويدعو الناس دائماً إلى ردّ الأمر إليه ، في الوقت الذي ينعى على أولئك الذين أهملوا عقولهم وقلوبهم ، ووضعوا أحكامها على الرفوف ، وأحلوا الهوى مقام السيادة ، والهوه فعبدوه واحتكموا إليه ، وبيّن أن جميع الفساد والضلال والانحراف في الأرض من اتباع الهوى وحكم الغرائز ومجاراة أهل الأهواء والشهوات .

نعم ، هذان منهجان في تربية قوى الإنسان: منهج للرحمن ومنهج للشيطان ، فأيُّ المنهجين فرض على الإنسانيّة في هذا الزمان ؟

لا يجد الناظر في واقع الإنسانية أي غباء في معرفة جواب هذا السؤال وأنّ خطةً ماكرة جرّت الإنسانية إلى التزام منهج الشيطان في تنمية الغرائز ورعايتها بصورة فائقة ، وتعبيد الناس لسلطانها ، وحُبكت خيوط تلك الخطة بحيث سُخّرت فيها جميع أساليب التوجيه ومراكزه لتحقيق ذلك الهدف الخبيث، وقد اتخذت مسارين اثنين: أحدهما فكري نظري والآخر عملي .

ففي جانب الفكر روّج الماكرون لأفكار ونظريات لا تعترف إلا بالجانب المادّي الغرائزي من الإنسان ، وتدعم فيه سلطان الغريزة ، من أمثال نظريّة فرويد التي لا تعترف من قوى الإنسان إلا بقواه الجنسية ، وتُرجعُ كلّ تصرف يصدر عنه إلى هذه القوى ، وتفسّر كل خروج عليها بالكبت والمرض والشذوذ ! وتصبغ كل عاطفة إنسانية بصبغة الجنس ؛ حتى أحالت حبّ الطفل لأمّه والأمّ لوليدها والوالدِ لإبنه والبنت لأبيها والأخ لأخته والأخت لأخيها ، أحالت كل ذلك إلى شهوة الجنس !!!

وفي الجانب العمليّ استغل الماكرون معظم الوسائل العمليّة لتأجيج الغرائز بمختلف أشكالها:

فأما غريزة الجنس فقد حظيت من خطتهم بنصيب الأسد ؛ فأشاروا على عُبّادِ الهوى ببناء المؤسسات الجنسيّة ، واخترعوا لهذه الغريزة من الوسائل ما يجعل المثيرات رفيق كل إنسان في كل زمان ومكان ، وقام القادرون على حصر الذهن منهم بتأليف كلّ منشّط لها ؛ من كتب جنسيّة وقصص مثيرة وتمثيليات ومسرحيات منثورة ومشعورة وصحف ومجلات وأفلام وبرامج وغيرها من المبتكرات .

ثمّ أشاروا على عبيد الدرهم والدنيا من أصحاب الأموال أن ادعموا هذه البذور في المجتمعات ، وسوف تحصدون أوفر المحصولات ؛ وذلك عندما تذوق الغرائز النهمات طعم هذه المشهيات ، فلا تملك تراجعاً ، ويفلت من أيدي أهلها الزمام ؛ وعندئذ تمسكون منهم بالخناق ، فتمصونهم وتعصرونهم عصراً ، ولا يكون لهم مناص من دفع الغالي والرخيص في جيوبكم وبنوككم ؛ لأنّهم إذا التفتوا إلى العقل وطرق أسماعهم نداء العقلاء فسوف

تلسعهم سياط الغريزة الثائرة ، وتردّهم فيضانات الشهوة الطامّة الغامرة . وما أسرع ما استجاب عباد المال لهذه الإشارات ، فتسابقوا إلى توظيف أموالهم في هذه المجالات ، واستباحوا كل وسيلة لإلهاب الشهوات ؛ لأنها هي الجنود المخلصة لهم في معركة جمع الأموال .

وأفرد أولئك الماكرون في خطتهم مساحة واسعة للمرأة ؛ حيث اعتبروها الطعم الفعال في إثارة الرجال ، وأوحوا إلى عملائهم باستغلالها وإخراجها من حصنها بكل وسيلة وحيلة ، وأشاروا عليهم أن يخرجوها في صورة إغراء وإثارة، وحذّروهم من السماح لها بالستر والعفة ؛ لأن خروجها على هذه الحال يُفوت عليهم المقصد ويطيل عليهم الطريق إلى أهدافهم الخبيثة.

ولم يَفُت أولئك الخبثاء أن يشركوا في تنفيذ خطتهم فرسان الكلمة والفن، ممّن استعبدتهم شهوة الشهرة وذيوع الصيت ، فحرّشوهم وقالوا لهم: ألا تريدون الشهرة والمال ؟ ألا تريدون أن يُشار إليكم بالبنان ويكون ذكركم على كل لسان ؟ أنتم أيها الكتاب والشعراء والأدباء والقصاصون والفنانون: الهبوا غرائز الشباب ، وأثيروا في المرأة حب الخروج ؛ فهذا أنفعُ لكم وأكثر إدراراً لأرباحكم وأجلبُ لشهرتكم !

ولم ينس أولئك الماكرون أن يحسبوا حساباً لبقايا الأخلاق الاجتماعية والمسؤوليات والآثار التي تعيق الانطلاق الغريزي ، فأهابوا بأوليائهم أن يرتبوا الأمور بحيث لا يخشى الغرائزيون أية مسؤولية ، فاخترعوا لهم أقراصاً تمنع الحمل ، وأذاعوها ونشروها ، وجعلوها أرخص الأدوية ، بل ربما وُزّعت مجاناً في بعض البلاد . وفي الوقت نفسه وضعوا أمام الشباب كل مثبط عن الزواج ، وأقاموا الحواجز المنيعة في وجوههم تحجزهم عن ولوج هذه السنة المعقولة ، حتى سمعنا أن معدّل سن الزواج في بعض البلاد لا يقل عن ثلاثين عاماً ؛ حيث يقضي الواحد من الناس عمراً قبل دخول الحياة الزوجيّة، يكون قبلها قد ران على قلبه من التجارب الدنسة ما هو كفيلٌ بتحطيم أي زواج يُقدم عليه بعد ذلك . وبذلك أوصدوا أما الشباب الباب الذي يفتحه لهم العقل المتحرر من الشهوة ، وفتحوا لهم كل باب آخر ابتغاء

تحويل كل طاقة الغريزة الجنسيّة إلى دوافع قويّة للرذيلة .

وهكذا ترعرعت الغرائز في إنسان هذا الزمان ، وأصابها الغرور والتضخّم من كثرة ما ألقِمت من المنشطات ، ومن كثرة ما ربّت عليها ؛ ولا عجب في ذلك ؛ فإنّ من المسلمات العلمية أن العضو أو الجهاز الآدمي الذي يُبالغ في استعماله ورعايته يتضحم ويزداد نهمه في حين أن العضو الذي يُقصى عن عمله فترة طويلة يضمر ويتضاءل عمله ، ويضعف إحساسه . ويدرك هذا المعنى جيّداً خبراء الأجسام والمتخصصون في رياضتها ، ويبنون عليه أساليبهم في تربية الأعضاء وتنميتها بشكل متناسق جميل ، فيخصصون لكل عضلة من التمرينات ما يدفع بها إلى مستوى مناسب للعضلات الأخرى .

وبمعرفة هذا السّر الرباني نستطيع أن نفسّر ما حملته إلينا الأخبار عن ظهور جنس ثالث في بعض البلاد ، جنس أضاع ما أنعم الله عليه من الحب، والعاطفة والقدرة على الإنجاب ؛ بما جنى عليه شيطان التربية المادّية عندما أغراه بالخروج من جنّة فطرته الربانية . وبمعرفة هذه السنّة أيضاً نستطيع أن نفهم نتائج الإحصاءات والدراسات التي أجريت في كثير من مصحات العقول في بعض البلاد ؛ حيث أشارت إلى أنّ أكثر المحرومين من نعمة العقل كانوا قبل الحرمان من عشاق مذهبة العقول ومدمني احتسائها ؛ فإنّ مَنْ يدرك هذه السنّة الربانية لا يعجز عن تفسير هذه الظاهرة ؛ لأن العقول كالسيوف يزيدها الاستعمال حدّة ومضاءً ، ويزيدها الإهمال صدأً وغباء ، وهؤلاء المساكين كانوا يقصون عقولهم عن الاستعمال ، ويسدلون عليها ستائر النسيان ، حتى استمرأت الكسل على العمل ، ففقدت نشاطها، ولما حاولوا إخراجها من حجرها استعصت عليهم ، وأفلت منهم الزمام ، وكانوا بذلك ضحيّة الانسياق وراء الشهوات والمغريات ، فحقّ عليهم الجنون، والانزواء عن مجرى الحياة في مقبرة العقول .

وبعد هذا البيان لا يُستغرب أن نرى كثيراً من الناس قد أحرزوا قصب السبق في إحساسهم الغريزي بين مخلوقات الله ؛ وذلك من كثرة ما غُذي

هذا الإحساس بأشكال الفتن وأصناف المثيرات . ورافق هذا التضخم الخبيث في الغرائز مرض خطير أصاب العقول والأرواح وهو مرض البلادة ؛ حتى كثر الإقرار بالضرر والإقدام عليه ، والاعتراف بالذنب والإصرار عليه ، واكتشاف الحق وجعله ظهريّا ، وتبيّن الباطل واحتضانه ؛ فأصبح سلطان العقل مخالفاً ، وأوامره معصيّة ، فضمر المسكين وتبلد ، واستقال من الحكم والقيادة ، وأفسح المجال لغيره من الغرائز الطاغية .

وهكذا غدت صورة الإنسان في أحضان تلك التربية الشهوانيّة والتوجيه الغرائزي مخلوقاً غرائزه هي السيّد المطاع بين جميع قواه ، تريد كل شيء يروي غليلها ، وعقله ذلّ واستسلم لذلك الجبار الظالم ، يأتمر بأمره ، ويخطط من أجله ، ويُبدع له قصوراً من المتع والمشهيات ، ويفلسف له جميع أوامره في فرضيات ونظريات ، وجوارحه مخلصة لذلك الطاغية ، تروح وتجيء رهن إشارته ، وتجلب له ما يريد من الخبائث .

وانعكس ذلك على القيم التي يتعامل بها أبناء هذا الجيل ، والموازين التي يزنون بها الأشياء والرجال والأعمال ؛ فلينظر: من هؤلاء الذي عَلتْ أقدارهم ؟ ومن هؤلاء الذين يُشار إليهم بالبنان ؟ ومن هم أبطال هذا الزمان الذين يلثغ بذكرهم الصبيان ؟ ومن هؤلاء الذين اشتغلت بهم أبصارنا وأسماعنا في الليل والنهار على الشاشة الصغيرة والكبيرة على السواء ؟ ومن هؤلاء الذين تسلط عليهم الأضواء وتستر عوراتهم وتزيّن عيوبهم بريش الفنانين حتى تبدو باهرة الجمال في أعين النظار ؟ أصحيح هم أولياء الحق وجنود العقل أم عباد الهوى ؟!

أليس أبطال هذا الزمان أولئك الذين أحرزوا قصب السبق في تأجيج الغرائز وإشعال نيرانها ؟ أليسوا هم أولئك الذين استخدموا الكلمة والفكرة والصوت والصورة والحركة أسلحة يجهزون بها على البقية الباقية من صفات الإنسان التي تميّز بها عن الحيوان ؟ أليسوا هم مجسّدي الرذيلة بالكلمات والحركات ممّن أغراهم إبليس بالجاه وبعد الصيت وتكثير المال في مقابل ما يهدمون من مواضع التكريم في بني الإنسان ؟!

معالم السياسة الشرعية في مواجهة عوامل المرض:

تلك هي صورة الواقع الإنساني في هذا الزمان ، وسواء أكانت مكبّرة أم مصغرة أم مطابقة فإنّ أصل الداء يلمع على صفحتها ؛ إنه منهج الحضارة السائدة على وجه الأرض في هذه المرحلة من تاريخ الإنسانية ، الذي اعتُمد في التعامل مع قوى الإنسان الفطرية ، فإن بقيت هذه الحال ، وظلّ هذا المنهج هو المعتمد فلتترقب البشرّية ضنكاً من العيش ، وظهور أمراض وأوجاع لا عهد لها بها ، كما أخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام[1] ؛ فإنّ مسخَّراتِ الربِّ للإنسان من الحيوانات والمخلوقات في داخله وخارجه لها قابليات متعاكسة ، فإن أسيء التعامل معها بصورة بالغة مستفزة ، خرجت عن إلفِها، وظهر توحشها . وفي سنة رسولنا الكريم ما يشير إلى ذلك ؛ حيث أخبر أن للحيوانات الأليفة أوابد أي خصال توحش ونفور ، كالبعير إذا ندّ وتوحش . ومن يدري فقد يكون هذا الفيروس الذي يرعب الناس في هذه الأيام أصله مخلوق اليف في داخل الإنسان ، فأبدَ وخرج عن إلفه بسبب الفوضى في التعامل مع الغرائز الجنسية ؟! ومن يدري فقد يزداد توحشاً باستمرار هذا الأسلوب في التعامل معه من خلال الممارسات الجنسية الشاذة، وقد يندُّ غيرُه من الكائنات الدقيقة التي تنطوي عليها أحشاء الإنسان، ثمّ قد يكون أكثر سوءاً أو أشدَّ تدميراً .

وتلك الصورة تدلّ المصلحين الصادقين من بني البشر في كل مكان وزمان على أنّه لا سبيل إلى الخروج من هذا المسار المهلك ، ولا سبيل إلى حماية الإنسان من تدمير نفسه إلا بأمرين يجب في حكم العقل والمنطق تحقيقهما ، مهما كلف ذلك من الوقت والمال ومهما اقتضى من الخروج عن العادات والمألوفات . وهذان الأمران هما:

الأول: بناء الرادع في داخل الإنسان الذي يصدّ عن المبالغة في طلب

---

(١) [يشير المؤلف إلى حديث صحيح رواه ابن ماجة [٤٠١٩] وغيره وفيه .... (لم تظهَر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها ، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مَضوا)، المجلة ، يراجع السلسة الصحيحة ١٠٦ .

الشهوات والاستغراق في المتع والملذات ، وتأليهها وكأنها هي الغاية التي خلق من أجلها . ونعتقد أن ذلك لا يتحقق للمخلصين إلا بإعادة بناء الصلة بين الإنسان وربّه ، وتوثيقها بالعبوديّة له ؛ ويساعدهم في ذلك فطرة الحنين إلى الخالق التي فطر الناس عليها ، وبقايا أخلاق سماويّة ما زالت موجودة عند كثير من الناس .

الثاني: تربية متوازنة للغرائز الإنسانية تحقق الهدف من خلقها ، وتمنعها من التجاوز والطغيان . وهذان الأمران هما الأساسان اللذان تقوم عليهما السياسة الإسلامية في مواجهة أسباب هذا المرض وأمثاله ومكافحة الجرائم والانحرافات بصورة عامّة ؛ حيث تقوم:

أولاً على بناء جهاز المناعة الروحي في الإنسان ؛ بزرع الإيمان بالله تعالى في القلوب ، وتوجيهها إلى إحسان العبودية له عز وجل وتنمية ، وتنمية الإحساس برقابته الدائمة ، وبالمسؤولية أمامه في يوم آت لا محالة ، والتزام هداه في كل نشاط مما فصّل في كتابه وسنة رسوله ﷺ .

وتقوم ثانياً على توفير البيئة الصالحة الطاهرة ، وحماية الناس من الأساليب والأفكار والمناهج والممارسات التي تخرج الغرائز عن فطرتها ، وتجعل لها الغلبة على العقل والروح .

والناظر في القرآن الكريم لا يجد عناء في إدراك هذه السياسة الربانية في مكافحة الجريمة والانحراف والشذوذ ؛ فإن هذا الأمر لما كان منهج حياة فقد فصله القرآن تفصيلاً ، وعرضه بأساليب كثيرة لا يتسع المقام لذكرها ؛ وما أكثر الآيات التي بينت أن أساس العلاج في الدنيا والآخرة هو الإيمان بالله تعالى واتباع هداه ، وأن أسَّ الفساد اتباعُ الهوى والشهوات . وما أنزلت شريعة الله إلا لتحقيق هذين المقصدين العظيمين: إدخال المخلوق في العبودية للخالق وتحريره من العبودية للهوى . وما ذكر الهوى في القرآن إلا في معرض الذم ، مثل قوله تعالى: ﴿ وأما من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ .

- ﴿ ومن أضلّ ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ .

- ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ﴾ .

- ﴿ أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم﴾ .

- ﴿ ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً ﴾ .

- ﴿ فخلف من بعدهم خلفٌ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ﴾ .

ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ ، **ترى أن جهاز المناعة الأعظم إنما هو التقوى.**

وانظر إلى قول الرسول ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن. . .)[1] **ترى أن الأساس في مكافحة الجرائم كلها هو الإيمان بالله تعالى والإحساس برقابته ؛ وكيف يفعل الفاحشة إنسان يعتقد أن الله يراه ؟ ولكن قد يفعلها إذا غاب عنه هذا الاعتقاد .**

وقد ضرب القرآن مثلاً مؤثراً للشخصية الإنسانية التي وصل فيها جهاز المناعة الروحي أعلى كفاءاته ، حتى غدا لا يوثر فيه فيروس الشهوة مهما كانت درجة توحشه وخطورته ، سيدنا يوسف عليه السلام عندما دعته امرأة العزيز ، وكانت ذات منصب وجمال في الوقت الذي كان فيه هو في قمة الشباب والرجولة ، ولكنه صمد في وجه هذه الدوافع الشهوانية ، وتغلب عليها بما وقر في قلبه من الإيمان بالله والإحسان في العبودية له عز وجل[2] .

ويقتضي الأساس الأول من الحاكم المسلم أن ينظر ما لديه من الوسائل والإمكانات فيسخرها لبناء عقيدة الإيمان بالله في شعبه ، ويحصنه بهذا الجدار الصلب ؛ فإنه إن أفلح في بنائه في أفراد أمته فقد أفلح في حمايتها من معظم الشرور والأخطار ، الداخلية والخارجية على السّواء ؛ فينظر في

---

(١) [متفق عليه ، المجلة]

(٢) هذا النموذج من الناس هو الذي عناه الرسول ﷺ في خبره عن السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله سبحانه ، حيث ذكر منهم الرجل تدعوه المرأة ذات المنصب والجمال ، فيقول: إني أخاف الله . [الحديث متفق عليه ، المجلة]

وسائل التربية ومناهج التعليم ، في المدارس والمعاهد والجامعات ، ثم يبنيها بإحكام بناء يرضي الله عز وجل بتحقيق مقصده الأول من خلقِ الإنسان ، وهو أن يكون عبداً مخلصاً له سبحانه . وينظر في وسائل الإعلام ، فيستثمرها في إرساء قواعد الإسلام وفضائله وقيمه وأخلاقه ؛ فإنها في أكثرها نِعَمٌ إذا وُجّهت نحو الخير وبناء أصوله العقائدية والأخلاقية ، ونِقَمٌ إذا سُخرت لغير ذلك ؛ والعبرة بمن تقع هذه الوسائل بين يديه . وهنا أمرٌ يجب على الحاكم المسلم أن يتفطن له ، وهو أنه يختار معاونيه من المؤمنين بهذه الأصول ، والعدول الأتقياء الذين تحرروا من سلطان الهوى وقال عنهم ربهم: ﴿ لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ﴾ ؛ فإنهم أوعية خير ؛ وكل إناء بما فيه ينضح . فإن استعان بسماسرة الهوى فقد أبطل عمله واشقى أمته ؛ لأنّ هؤلاء أوعية شر ، ولا يرجى منهم خير حتى يصلح حالهم .

ثم يجب على الحاكم المسلم أن ينظر في القيم والموازين والمعايير التي يتعامل بها الناس ، فيُعلي منها ما رفعه الله ، ويخفض ما خفضه الله تعالى؛ والله سبحانه قد رفع العلماء وأهل التقوى والجهاد والدعوة في سبيله، وخفض الذين يلهثون وراء الدنيا والشهوات ، ويبتغون التسلط على العباد ؛ فإن تلك القيم هي السلع الحقيقية التي يتعامل على أساسها الناس ، وهي تخضع لميزان العرض والطلب ؛ فإن رأى الناس قيم الخير هي المطلوبة انتجوها وتعاملوا بها ، والعكس بالعكس . ويذكر في هذا الصدد أنه يجب على الحاكم المسلم أن يطهّر شعبه من العقائد الفاسدة التي تناقض عقيدة الإيمان ، بمنع انتشارها بعد تكليف العلماء المختصين بإبطالها وإظهار زيفها .

وأمّا الأساس الآخر من أسس السياسة الإسلامية في تحصين الأمّة من عوامل الانحراف ، وهو التربية المتوازنة لغرائز الإنسان ، فيجب على الحاكم المسلم لتحقيقه أن يتخذ مسارين:

المسار الأول: تبصير الأمّة بالكيفيات الشرعية للتعامل مع هذه الغرائز ، والسبل المشروعة لتحقيق مطالبها ، والآفات التي تصيب هذه الغرائز ،

وأسبابها وطرق علاجها .

كما يتضمن هذا المسار سن التشريعات التي تساعد على وضع هذه الغرائز في وضعها الذي خلقت من أجله ، كتشريعات الأحوال الشخصية ؛ فقد وضعها الشرع لتحقيق هذا الغرض وغيره ؛ بل إن تشريع الطلاق الذي قد يُرى بعيداً عما نتكلم عنه يخدم هذا الغرض من جهة أنه يفتح الباب للتخلص من زواج عقيم لا يحقق أغراضه .

وأما المسار الآخر فهو حماية الأمّة من جميع الممارسات التي تؤول إلى إصابة الغرائز بالأورام الخبيثة ، وتخرجها عن حكمة خلقها ؛ سواء أكان ذلك بسنّ التشريعات أم باتخاذ التدابير والإجراءات ؛ ففي جانب التشريعات ينبغي أن توضع القوانين التي تمنع أمثال هذه الممارسات وتعتبرها جرائم يعاقب عليها بالعقوبات الرادعة ، وكذلك تبني العقوبات الشرعية في مواجهة الزنى واللواط والمقدمات التي توصل إليهما . كذلك لا بد من سنّ القوانين التي تمنع الدعاية والسمسرة لتلك الممارسات في وسائل الإعلام وغيرها .

وفي الجانب الآخر لا بد من توفير الرقابة الفاعلة على تلك الممارسات ليوضع لها حدٌّ في مهدها ؛ وخير جهاز يمكن إنشاؤه لهذا الغرض هو جهاز الحسبة الذي اتخذه السّلف الصالح تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ ؛ بشرط أن يقام على الأسس الشرعية ، باختيار العدول الأكفاء لتولي هذا الجهاز ، والالتزام بحدود الله تعالى في القيام بهذه الوظيفة .

ويذكر في هذا المقام ضرورة التصدي للأفكار والنظريات والفلسفات التي تروّج للهوى ، وتدعو إلى الخضوع لسلطانه ، والانفلات من الأخلاق والقيم والفضائل ؛ فإنها كالقواعد الفكرية لمجتمع الرذيلة ، فلا بد من بيان بطلانها والتضييق عليها ، وعدم تمكينها من نفخ سمومها .

السياسة الشرعية في مواجهة مرض الإيدز بعد ظهوره:

ما تقدم ذكره هو الحل الجذري للوقاية من هذا المرض وغيره ، فإذا ما تبين ظهور هذا المرض في بلد الإسلام ، أو احتمل ظهوره فيها ، فينبغي على الإمام المسلم أن يتخذ من التدابير ما يضع حدّاً لانتشاره ويقلل من آثاره، بحيث تفضي إلى تراجعه وانتهاء أمره . ونعتقد أن هذه التدابير يجب أن تبنى على ثلاثة أسس:

الأول: العلم بالمواقع التي احتلها هذا المرض (معرفة المصابين به) .

الثاني: تضييق قنوات العدوى .

الثالث: البحث عن العلاج .

فأمّا الأساس الأول ، وهو تحديد مواقع احتلال ذلك المرض والعلم بالمصابين فقد يُرى أن أدق وسيلة لتحقيق ذلك هي إلزام الناس جميعاً بالخضوع للفحص الكاشف ، ولكن هذا قد يكون محرجاً للناس ، ومكلفاً للدولة ، بخاصّة أن تمام الفائدة منه لا تحصل إلا بإجرائه بصورة دوريّة ، ولكني أظن أن الغرض يمكن الوصول إليه دون الوقوع في ذلك الحرج ، وهو أن تفرض الدولة بعض الإجراءات استناداً إلى سلطة الإمام في تقييد المباحات إلزاماً ومنعاً ، ويمكن أن يقترح في هذا الصدد ما يلي:

١- الإلزام بالفحص الكاشف عن المرض لكل إنسان يريد أن يقوم بتصرف من شأنه أن يؤدي إلى العدوى ولو على سبيل الاحتمال ، كما في حالات عقود الزواج والتبرع بالدم والأعضاء والتلقيح الصناعي وغير ذلك مما يراه أهل الاختصاص .

٢- إلزام الأشخاص والجهات التي تكتشف هذا المرض في شخص من الأشخاص بالتبليغ عنه ، وإصدار قانون بتجريم من يتعمد إخفاء ذلك .

٣- إصدار أنظمة وتعليمات تشجّع المصابين بهذا المرض أو يشكّون في إصابتهم به بسبب ممارساتهم السابقة على عرض أنفسهم على الجهات المختصّة. ومع أن من المفترض أن اكتشاف هذا المرض منوط بأهل

الاختصاص ، وأن مسؤولية التبليغ تقع على عاتقهم ، فإن المقصود إقناع المصابين الذين يتواطاون مع أطبائهم على إخفاء الحال أن التبليغ خيرٌ لهم؛ لما سيلقون من الرعاية والعناية وتخفيف الآلام .

٤- نشر الوعي بين الناس عن خطورة هذا المرض ، وضرورة المشاركة في التصدي له ؛ ليكون ذلك تأهيلاً للنفوس على تحمّل تبعات الحرب مع هذا المرض ، والقيود والالتزامات التي تفرض عليها وتخرجها عن مألوفاتها .

٥- البحث عن وسائل وأساليب ميسّرة وسريعة للكشف عن هذا المرض ، وتشجيع الأبحاث في هذا المجال .

٦- إلزام الناس الذين يقعون في مظنات الإصابة بالمرض بإجراء الفحوص الدورية الكاشفة ، وهؤلاء كالأسر التي ظهر فيها المرض ، ومن سبق لهم الإدمان على المخدرات أو الشذوذ الجنسي ونحو ذلك.

وأمّا الأساس الثاني وهو تضييق قنوات العدوى ؛ فالأصل أن اتباع السياسة العامّة الآنفة الذكر ، من بناء الرادع وتوفير البيئة الطاهرة هو أكثر الطرق نجاعة في منع انتشار هذا المرض .

ومع ذلك فإنّ الإمام المسلم يستطيع أيضاً بناء على سلطانه في تقييد المباحات تحقيقاً للمصالح ودفعاً للمفاسد أن يتخذ إجراءات عاجلة هدفها سدّ القنوات التي ينتقل من خلالها هذا المرض [1]، أو التقليل منها ، ويمكن أن يقترح ما يلي:

١- بعد معرفة المصابين بهذا المرض ينبغي الاحتفاظ بأسمائهم وأحوالهم في سجلات خاصّة يدوّن فيها جميع ما يلزم من المعلومات عن المريض ، لغرض المتابعة واستخدامها في الإجراءات التالية .

---

(١) كذلك يمكن للحاكم المسلم أن يستند في سياسته في هذا المجال إلى مبدأ سد الذرائع والنظر في مآلات الأفعال ؛ الذي يعطيه السلطة بمنع المباحات التي تصبح وسائل إلى المفاسد في بعض الظروف .

٢ـ إصدار التعليمات والنظم والتشريعات التي تتكفل بمنع قيام المرضى بتصرفات يحتمل أن تكون أسباباً في العدوى إلى غير المصابين كالزواج والتبرع بالدم والأعضاء والمعاشرة الجنسيّة والرضاع والحضانة وغير ذلك مما أحصاه أهل الاختصاص . وهي وإن كانت في مجملها أموراً مباحة لكن جعل لولي الأمر سلطة تقييدها تحقيقاً لمصالح أكثر أهمية . صحيح أن بعض هذه المباحات تعتبر حقوقاً لأصحابها ، لكنّ ممارستها تؤدي إلى مفاسد عظمى ، والتمسك بها يدخل في باب التعسف في استعمال الحق.

٣ـ ويتصل بما سبق إصدار تشريع يجرّمُ التعمّد في نقل المرض ، سواء أكان الفاعل هو المريض نفسه أم كان طبيباً أم صاحب مختبر أم غيرهم ؛ بحيث يُحمّلون المسؤولية الجنائية والمدنية عن جميع الأضرار التي تقع على الأفراد والمجتمع ؛ بناء على تسببهم فيها المقترن بالتعمد . وأما غير المتعمدين لنقل المرض فهؤلاء نوعان: نوع لا يعلم عن حاله شيئاً ، فهذا لا مسؤولية عليه ، لا جنائية ولا مدنية ، لأنّ ظاهره السلامة ، وهو غير مقصر في الاحتياط . ونوع يعلم أنه مصاب بالمرض أو حامل للفيروس ، ويقدم على التصرف الناقل للمرض من غير قصد إلى نقله للآخرين ، ولكن لغايات أخرى كقضاء الشهوة ونحوها ، فأغلب الظن أنه توجد أسس فقهية وقانونية لتحميله المسؤوليةالمدنية (الضمان) عن الخسائر والأضرار التي يتسبب فيها ، بل لا يبعد تحميله المسؤولية الجنائية على نحو أخف من النوع الأول .

٤ـ ومن الإجراءات الفعالة في تقليل العدوى الرعاية الجيدة لمرضى الإيدز والمعاملة الحسنة لهم ؛ ويدخل في ذلك تخصيص مستشفياتٍ أو مدن خاصةٍ بهم ذاتِ مواصفات تحقق التيسير عليهم وتشعرهم باهتمام المجتمع بهم .

ويدخل في ذلك أيضاً توعيتهم دينياً وروحياً بترتيب المحاضرات والندوات والكتب والمنشورات والأفلام وجميع وسائل الإعلام ؛ مما يُنمّي في داخلهم

الوازع الدينيّ ، ويسكّن روعهم ويطمئن أنفسهم ، ويصدُّهم عن الممارسات التي تؤدي إلى العدوى بدافع الخوف من الله وطلب رضاه .

كما يدخل في ذلك توعيةُ عامة الناس بضرورة معاملتهم بالحسنى ، وإشعارهم بالأخوّة والرعاية ، وعدم تعييرهم أو تحقيرهم ، فهذا واجب شرعي نحو كل مريض ، كما أنّه يعتبر خير وقاية من ردود الأفعال التي قد تنشئها المعاملة السيئة لهؤلاء المرضى ، مما قد يدفعهم إلى نشر المرض انتقاماً وثأراً لأنفسهم من مجتمعات مهّدت لهم سبل الرذيلة والشذوذ ، ثمّ بخلت عليهم بالكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة .

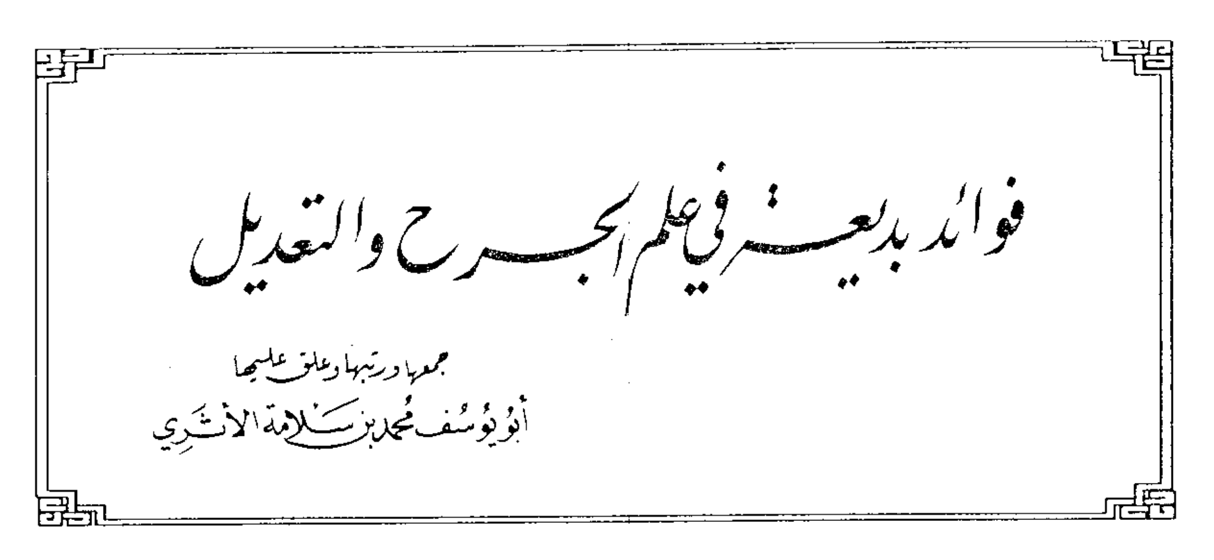
بل إنّ القيود التي يفرضها الحاكم على مرضى الإيدز ينبغي أن تقترن باللطف في المعاملة ، وبيان أنه لا يقصد بها التضييق عليهم ، وإنما حماية المجتمع من المرض الذي ابتُلوا به .

وأمّا الأساس الثالث وهو البحث عن علاج المرض:

فينبغي أن ينطلق الحاكم المسلم في هذا الأمر من الحديث الثابت عن الرسول ﷺ ، وهو قوله: (ما أنزل الله من داء إلا جعل له دواء إلا الهرم)[1] أو كما قال . فإن كان هذا هو الحال فيجب على الإمام المسلم أن لا يقنط من العثور على علاج هذا المرض وغيره ، وأن يحمله ذلك على اتخاذ الإجراءات الفعالة في البحث عنه ، وعن الطرق الناجعة للكشف عنه والتخفيف من آثاره عن المرضى بإنشاء المستشفيات والمراكز العلمية ، وحشد الموهوبين من أهل الاختصاص والسخاء عليهم وعلى أبحاثهم حتى يأذن الله عز وجل بالكشف عن العلاج والطعم الواقي .

---

(١) [والحديث صحيح للتفصيل يراجع « غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ٢٩٤ » للألباني رعاه الله ، المجلة]



هذا جزء لطيف جمعت فيه طرفاً يسيراً من أصول علم الجرح والتعديل وقواعده ، وضممت إلى ذلك بعض مصطلحات أهله وصيغهم في الكلام على الرجال وفوائد أخرى . أسأل الله الكريم أن ينفع به وأن ييسر لي حسن المشاركة في خدمة حديث نبيه ﷺ ، وأن يهيىء لعلم الجرح والتعديل وعلم المصطلح علماء جهابذة ، وطلبة حذاقاً مهرة يقومون على تحقيق مباحثهما ، وتقريبها ، وفهرستها ، وترتيبها ، أحسن قيام وأكمله ، ولا سيما أنه قد ضاعف الحاجة إلى ذلك ازدهار مدرسة التخريج وتوسعها ، بل وتعدد طرائقها أحياناً وتنوعها ، فلا بد إذن من أن يعنى أهل الحديث بعلمي الجرح والتعديل والمصطلح اللذين هما أصل فن التخريج الأصيل وركنه الركين.

والله الموفق لا إله غيره ولا مأمول إلا خيره .

وتجنباً للتشبع بما لم أعطه أقول: ليس لي في أكثر هذا البحث إلا الجمع والترتيب ، وأكثرت في النقل عن ذهبي عصرنا في التجريح والتعديل ، ومعلمه النبيل ـ المعلمي ـ صاحب التنكيل رضي الله تعالى عنه ورحمه رحمة واسعة ونفعنا الله بآثاره وتواليفه ؛ وكلها إن شاء الله نافعة .

هذا وقد قسمت البحث قسمين: الأول: في أصول وقواعد الجرح والتعديل ؛ والثاني: في ألفاظ النقاد واصطلاحاتهم وعباراتهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

المبحث الأول
أصول وفوائد في علم الجرح والتعديل

١- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة النبوية (٤/ ٣٣٧):

« ... والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل لا بجهل وظلم ، كحال أهل البدع » .

٢- وقال الإمام ابن دقيق العيد في الاقتراح: (ص٣٤٤):

« أعراض المسلمين حفرة من حفر النار ، وقف على شفيرها طائفتان من الناس المحدثون والحكام » .

٣- وقال الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ (١/ ٤-٥) في أثناء كلام له على قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: « إياكم والكذب ، فإن الكذب مجانبُ الإيمان »: « ... فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ما ذي إلا بلية عظيمة وخطر شديد ممن يروي الأباطيل والأحاديث الساقطة المتهم نقلتها بالكذب .

فحق على المحدث أن يتورع فيما يؤديه وأن يسأل أهل المعرفة والورع ليعينوه على إيضاح مروياته ، ولا سبيل إلى أن يصير العارف الذي يزكي نقلة الأخبار ويجرحهم جهبذاً إلا بإدمان الطلب والفحص عن هذا الشأن وكثرة المذاكرة والسهر والتيقظ والفهم مع التقوى والدين المتين والإنصاف والتردد إلى العلماء والتحري والإتقان ، وألا تفعل:

فدع عنك الكتابة لست منها ... ولو سودت وجهك بالمداد

قال الله عز وجل: ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ .

فإن آنست يا هذا من نفسك فهماً وصدقاً وديناً وورعاً وإلا فلا تتعن . وإن غلب عليك الهوى والعصبية لرأي ولمذهب فبالله لا تتعب .

وإن عرفت أنك مخلط مخبّط مهمل لحدود الله فأرحنا منك ، فبعد قليل ينكشف البهرج وينكب الزغل ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله . فقد نصحتك فعلم الحديث صلف . فأين علم الحديث وأين أهله . كدت أن لا أراهم إلا في كتاب أو تحت تراب » .

٤ـ وقال العلامة المحقق المعلمي اليماني رحمه الله تعالى في مقدمته لكتاب الجرح والتعديل (صفحة ب ـ ج).

« ليس نقد الرواة بالأمر الهين ، فإن الناقد لا بد أن يكون واسع الاطلاع على الأخبار المروية ، عارفاً بأحوال الرواة السابقين وطرق الرواية ، خبيراً بعوائد الرواة ومقاصدهم وأغراضهم ، وبالأسباب الداعية إلى التساهل والكذب والموقعة في الخطأ والغلط ، ثم يحتاج إلى أن يعرف أحوال الراوي: متى ولد؟ وبأي بلد ؟ وكيف هو في الدين والأمانة والعقل والمروءة والتحفظ ؟ ومتى شرع في الطلب ؟ ومتى سمع ؟ وكيف سمع ؟ ومع من سمع ؟ وكيف كتابه ؟ ؛ ثم يعرف أحوال الشيوخ الذين يحدث عنهم وبلدانهم ووفياتهم وأوقات تحديثهم وعادتهم في التحديث ثم يعرف مرويات الناس عنهم ويعرض عليها مرويات هذا الراوي ويعتبرها بها ؛ إلى غير ذلك مما يطول شرحه ، ويكون مع ذلك متيقظاً ، مرهف الفهم ، دقيق الفطنة ، مالكاً لنفسه ، لا يستميله الهوى ، ولا يستفزه الغضب ، ولا يستخفه بادر ظن حتى يستوفي النظر ويبلغ المقر ، ثم يحسن التطبيق في حكمه فلا يجاوز ولا يقصر . وهذه المرتبة بعيدة المرام عزيزة المنال لم يبلغها إلا الأفذاذ ، وقد كان من أكابر المحدثين وأجلتهم من يتكلم في الرواة فلا يعول عليه ولا يلتفت إليه .

قال الإمام علي بن المديني ـ وهو من أئمة هذا الشأن ـ: « أبو نعيم وعفان صدوقان لا أقبل كلامهما في الرجال ، هؤلاء لا يدعون أحداً إلا وقعوا فيه » .

وأبو نعيم وعفان من الأجلة ، والكلمة المذكورة تدل على كثرة كلامهما في الرجال ، ومع ذلك لا تكاد تجد في كتب الفن نقل شيء من كلامهما.

٥ـ وقال الحافظ ابن حجر في نزهة النظر (ص ١١٣):

« ليحذر المتكلم في هذا الفن من التساهل في الجرح والتعديل فإنه إن عدّلَ بغير تثبت كان كالمثبت حكماً ليس بثابت فيخشى عليه أن يدخل في زمرة من روى حديثاً وهو يظن أنه كذب . وإن جرح بغير تحرز أقدم على الطعن في مسلم بريء من ذلك ووسمه بميسم سوء يبقى عليه عاره أبداً » .

٦ـ وقال العلامة المعلمي رحمه الله في مقدمة الفوائد المجموعة (ص ٩):

« القواعد المقررة في مصطلح الحديث منها ما يذكر فيه خلاف ولا يحقق الحق فيها تحقيقاً واضحاً ، وكثيراً ما يختلف الترجيح باختلاف العوارض التي تختلف في الجزئيات كثيراً .

وإدراك الحق في ذلك يحتاج إلى ممارسة طويلة لكتب الحديث والرجال والعلل ، مع حسن الفهم وصلاح النية » .

٧ـ وقال المعلمي أيضاً في تعليقه على الفوائد المجموعة: (ص ٣٠):

« وعادة ابن معين في الرواة الذين أدركهم أنه إذا أعجبته هيئة الشيخ يسمع منه جملة من أحاديثه فإذا رأى أحاديث مستقيمة ظن أن ذلك شأنه فوثقه .

وقد كانوا يتقونه ويخافونه ، فقد يكون أحدهم ممن يخلط عمداً ولكنه استقبل ابن معين بأحاديث مستقيمة ولما بعد عنه خلط ، فإذا وجدنا ممن أدركه ابن معين من الرواة من وثقه ابن معين وكذبه الآخرون أو طعنوا فيه طعناً شديداً فالظاهر أنه من هذا الضرب فإنما يزيده توثيق ابن معين وهناً لدلالته على أنه كان يتعمد » .

وقال في التنكيل (ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧):

« كان ابن معين إذا لقي في رحلته شيخاً فسمع منه مجلساً أو ورد بغداد شيخ فسمع منه مجلساً فرأى تلك الأحاديث مستقيمة ثم سُئِلَ عن الشيخ وثقهُ ، وقد يتفق أن يكون الشيخ دجالاً استقبل ابن معين بأحاديث صحيحة

ويكون قد خلط قبل ذلك أو يخلط بعد ذلك .

ذكر ابن الجنيد أنه سأل ابن معين عن محمد بن كثير القرشي الكوفي فقال: « ما كان به بأس » . فحكى له عنه أحاديث تستنكر فقال ابن معين « فإن كان هذا الشيخ روى هذا فهو كذاب وإلا فإني رأيت حديث الشيخ مستقيماً » .

وقال ابن معين في محمد بن القاسم الأسدي « ثقة وقد كتبت عنه » . وقد كذبه أحمد وقال: « أحاديثه موضوعة » ؛ وقال أبو داود « غير ثقة ولا مأمون ، أحاديثه موضوعة » .

وهكذا يقع في التضعيف ربما يجرح أحدهم الراوي لحديث واحد استنكره وقد يكون له عذر . . .» .

٨ـ قال الحافظ ابن حجر في النكت على ابن الصلاح والعراقي (١/ ٤٨٢):

« كل طبقة من نقاد الرجال لا تخلو من متشدد ومتوسط:

فمن الأولى شعبة وسفيان الثوري وشعبة أشد منه .

ومن الثانية يحيى القطان وعبدالرحمن بن مهدي ، ويحيى أشد من عبدالرحمن .

ومن الثالثة يحيى بن معين وأحمد ويحى أشد من أحمد .

ومن الرابعة أبو حاتم والبخاري ، وأبو حاتم أشد من البخاري .

٩ـ قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٨١):

« يعجبني كثيراً كلام أبي زرعة في الجرح والتعديل يتبين عليه الورع والمخبرة ، بخلاف رفيقه أبي حاتم فإنه جرّاح » .

١٠ـ وقال الذهبي في السير أيضاً: (١٣/ ٢٦٠):

« إذا وثق أبو حاتم رجلاً فتمسك بقوله فإنه لا يوثق إلا رجلاً صحيح

الحديث ، وإذا ليّنَ رجلاً أو قال فيه « لا يحتج به » فتوقف حتى ترى ما قاله غيره فيه ، فإن وثقه أحد فلا تبن على تجريح أبي حاتم فإنه متعنت في الرجال قد قال في طائفة من رجال الصحاح « ليس بحجة » ، « ليس بقوي» أو نحو ذلك » .

١١ـ قال الشيخ المعلمي في مقدمة « الفوائد المجموعة » (ص٩):

« ما اشتهر أن فلاناً من الأئمة مُسَهِّل وفلاناً مُشدِّد ، ليس على إطلاقه، فإن منهم من يسهل تارة ، ويشدد أخرى ؛ بحسب أحوال مختلفة ، ومعرفة هذا وغيره من صفات الأئمة التي لها أثر في أحكامهم لا تحصل إلا باستقراء بالغ لأحكامهم مع التدبر التام » .

١٢ـ قال الحافظ في تهذيب التهذيب (١/ ٥):

« . . . وفائدة إيراد كل ما قيل في الرجل من جرح وتوثيق تظهر عند المعارضة » .

١٣ـ قال الإمام الذهبي في ترجمة إبان بن يزيد العطار من الميزان (١/ ١٦):

« وقد أورده أيضاً العلامة أبو الفرج بن الجوزي في الضعفاء ولم يذكر فيه أقوال من وثقه . وهذا من عيوب كتابه يسرد الجرح ويسكت عن التوثيق ».

١٤ـ قال الحافظ في مقدمة الفتح (ص ٦٠٠) في ترجمة عكرمة مولى ابن عباس: « ومن عادته ـ يعني ابن عدي في الكامل ـ أن يخرج الأحاديث التي أنكرت على الثقة أو على غير الثقة » .

١٥ـ قال المعلمي رحمه الله تعالى في راو مجروح تكلم عليه في حاشية الفوائد المجموعة (ص ٣٥٦): « . . . ولا ينفعه رواية أبي عوانة عنه في صحيحه لأن صحيح أبي عوانة مستخرج على صحيح مسلم يعمد إلى أحاديث مسلم فيخرجها بأسانيده إلى شيخ مسلم أو شيخ شيخه فربما لا يجد الحديث إلا عند راو ضعيف فيخرجه عنه لأن الحديث ثابت من غير طريقه » .

١٦ـ وقال المعلمي في حاشية الفوائد أيضاً: (ص ٦٩):

« ولا اعتداد بتوثيق ابن سعد إذا خالف فإن مادته من الواقدي ، كما قاله ابن حجر في تراجم عبدالرحمن بن شريح ومحارب بن دثار ونافع بن عمر الجمحي من مقدمة الفتح والواقدي لا يعتد به .

وانظر كلام المعلمي في هذا الباب أيضاً في حاشية الفوائد (ص ٣٥٥) وفي التنكيل (ص ٢٩٠) .

١٧ـ قال الذهبي في تذكرة الحفاظ (٣/ ٣١٥): [قال] قال أبو محمد بن الأبنوسي: سمعت الخطيب يقول: « كل من ذكرت فيه أقاويل الناس من جرح وتعديل فالتعويل على ما أخرت » .

١٨ـ قال الحافظ في ترجمة خارجة بن الصلت من تهذيب التهذيب (٣/ ٧٥ـ٧٦):

« ... وقد قال ابن أبي خيثمة: إذا روى الشعبي عن رجل وسماه فهو ثقة يحتج بحديثه » .

١٩ـ قال العلامة المعلمي في حاشية الفوائد (ص ٤٨٥):

« ومن شأن ابن حبان إذا تردد في راوٍ أنه يذكره في « الثقات » ولكنه يغمزه » .

٢٠ـ وقال المعلمي في الموضع نفسه:

« والعجلي متسمح جداً وخاصة في التابعين فكأنهم كلهم عنده ثقات . فتجده يقول « تابعي ثقة » في المجاهيل وفي بعض المذمومين كعمر بن سعد، وفي بعض الهلكى كأصبغ بن نباته » .

وقال في حاشيته على الفوائد (ص ٢٢):

« ... وقاعدة ابن حبان معروفة ، وقد استقرأت كثيراً من توثيق العجلي فبان لي أنه نحو ابن حبان » .

٢١ـ وقال في التنكيل (ص ٦٦٩ ـ ٦٧٠):

« التحقيق أن توثيق ابن حبان على درجات:

الأولى: أن يصرح به كأن يقول « كان متقناً » أو « مستقيم الحديث » أو نحو ذلك:

الثانية: أن يكون الرجل من شيوخه الذين جالسهم وخبرهم .

الثالثة: أن يكون من المعروفين بكثرة الحديث بحيث يعلم أن ابن حبان وقف له على أحاديث كثيرة .

الرابعة: أن يظهر من سياق كلامه أنه قد عرف ذلك الرجل معرفة جيدة.

الخامسة: ما دون ذلك .

فالأولى لا تقل عن توثيق غيره من الأئمة بل لعلها أثبت من توثيق كثير منهم ، والثانية قريب منها ، والثالثة مقبولة ، والرابعة صالحة ، والخامسة لا يؤمن فيها الخلل والله أعلم .

وعلق محقق التنكيل الشيخ الألباني على هذا الموضع فقال: « قلت: هذا تفصيل دقيق يدل على معرفة المؤلف رحمه الله تعالى وتمكنه من علم الجرح والتعديل وهو مما لم أره لغيره فجزاه الله خيراً . غير أنه قد ثبت لدي بالممارسة أن من كان منهم من الدرجة الخامسة فهو على الغالب مجهول لا يعرف ويشهد بذلك صنيع الحفاظ كالذهبي و العسقلاني وغيرهما من المحققين فإنهم نادراً ما يعتمدون على توثيق ابن حبان وحده ممن كان في هذه الدرجة بل والتي قبلها أحياناً ....» .

٢٢- قال الحافظ في نزهة النظر (ص ١١٣):

« قال الذهبي وهو من أهل الاستقراء التام في نقد الرجال: لم يجتمع اثنان من علماء هذا الشأن قط على توثيق ضعيف ولا على تضعيف ثقة » .

٢٣- قلت: فيما يلي جمهور أسباب اختلاف النقاد في الحكم على الراوي الواحد واعتمدت فيها على ما بدا لي من التأمل في أقوال الأئمة وفي الواقع وغير ذلك مما يتعلق بهذا الموضوع أو يماثله:

السبب الأول: عدم تساوي النقاد في مقدار اطلاعهم على تفاصيل حال الراوي ومعرفتهم بذلك وهذا بين لا يخفى .

السبب الثاني: اختلاف ما بلغهم من مروياته التي يعينهم استقراؤها على التوصل إلى الحكم عليه ولو على وجه التقريب والترجيح ، دون الجزم واليقين .

السبب الثالث: عدم تساويهم في معرفة ما قاله النقاد قبلهم في ذلك الراوي ، إن كان قد سبقهم إلى الكلام عليه أحدٌ ممن يعتمدون قوله .

السبب الرابع: التقليد لمن لا يحتج به ، انظر ما تقدم عن ابن سعد (ص ٧) .

السبب الخامس: التساهل والتشدد وقد تقدم شيء مما يتعلق بهذا الأمر .

السبب السادس: الاختلاف في الاصطلاح . وإن كان هذا ليس سبباً في اختلاف حقيقة أحكامهم ولكنه سبب لاختلاف أو تباين ظواهر ألفاظهم في الكلام على الراوي . ولذا ينبغي أن تعرف اصطلاحاتهم الخاصة .

السبب السابع: اختلافهم في أصول الجرح والتعديل وقواعده وضوابطه وتفاوتهم في شدة التمكن من هذا العلم وفي دقة الفطنة فيه ... والعلم مواهب .

السبب الثامن: الغرض الفاسد والهوى والمخالفة في العقائد . قال الحافظ ابن حجر في النزهة (ص١١٣):

« والآفة تدخل في هذا تارة من الهوى والغرض الفاسد ، وكلام المتقدمين سالم من هذا غالباً ، وتارة من المخالفة في العقائد وهو موجود كثيراً قديماً وحديثاً ولا ينبغي إطلاق الجرح بذلك فقد قدمنا تحقيق الحال في العمل برواية المبتدعة » . وانظر التنكيل (٢٣٩ ـ ٢٤١) .

السبب التاسع: أن يكون الكلام من بعضهم في الراوي كان صدر منه على غير جهة الحكم . قال الشيخ المعلمي في التنكيل (ص ٢٤١):

« وقد يتسمح العالم فيما يحكيه على غير جهة الحكم فيستند إلى ما لو أراد الحكم لم يستند إليه كحكاية منقطعة وخبر من لا يعد خبره حجة وقرينة لا تكفي لبناء الحكم ونحو ذلك ... » .

السبب العاشر: قال الترمذي في علله الصغرى كما في شرحها لابن رجب (١/ ٣٩٥ـ ٣٩٦):

« وقد تكلم بعض أهل الحديث في قوم من جلة أهل العلم وضعفوهم من قبل حفظهم ووثقهم آخرون لجلالتهم وصدقهم وإن كانوا قد وهموا في بعض ما رووا ... » .

فهذا الاختلاف سببه نظر بعضهم إلى دين الرجل وصدقه في نفسه فلم يهملوا ذلك عند كلامهم على روايته ، بل اعتبروه وبنوا بعض حكمهم عليه، وهذا نادر لا يكثر ، يعلم ندرته من اطلع على أصولهم وقواعدهم في التعديل والتجريح .

السبب الحادي عشر: أن يكون حكم بعضهم على الراوي قد صدر جواباً لسائل قرن في سؤاله بين ذلك الراوي وغيره ممن هو أضعف منه أو أثبت . وأمثلة ذلك كثيرة . انظر التعديل والتجريح للباجي (١/ ٢٨٣ ـ ٢٨٨) والتنكيل (٢٦٠ـ ٢٦٢) ولسان الميزان (١/ ٢٨) وفتح المغيث (١/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥) .

السبب الثاني عشر: أن يكون السائل مشدداً في سؤاله فيظهر أثر ذلك في جواب الناقد المسؤول . أخرج الترمذي كما في شرح علله (١/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦) عن علي بن المديني قال: سألت يحيى بن سعيد عن محمد بن عمرو بن علقمة فقال: تريد العفو أو تشدد ؟ فقلت: لا ، بل أشدد ، فقال: ليس هو ممن تريد ، كان يقول: أشياخنا أبو سلمة ويحيى بن عبدالرحمن بن حاطب .

السبب الثالث عشر: أن يكون سبب اختلافهم في الحكم على الراوي هو اختلافهم في الإطلاق والتقييد ، فلعل بعضهم وثق الراوي توثيقاً مقيداً بحال

من أحواله أو عن شيخ من شيوخه أو في راو من الرواة عنه أو غير ذلك ، فظن السائل أو الناقل أنه أراد الإطلاق فأطلق هو في نقله فوقع الحكم المنقول عن ذلك الناقد مخالفاً لحكم غيره ممن أطلق الكلام في ذلك الراوي ولم يقيده . انظر التنكيل (ص ٢٥٤ ـ ٢٥٦) و (ص ٥٥٨ ـ ٥٨٩) .

السبب الرابع عشر: ضعف الناقد نفسه كالأزدي ـ انظر أول ترجمة من الميزان .

السبب الخامس عشر: أن يكون الناقد لم يقل ذلك النقد من عنده وإنما نقل له ذلك عن غيره فاعتمده وأطلقه مع أن راويه له قد وهم في نقله إياه بسبب سوء حفظ أو غيره .

هذه أهم أسباب اختلاف علماء الجرح والتعديل في فنهم ، ويمكن إدماج بعض ما ذكرناه في بعضه وإرجاع الأسباب المذكورة إلى أصول قليلة . هذا ولا تنس أن الاختلاف بين علماء الجرح والتعديل قليل غير كثير ، وأن التحقيق والترجيح في ذلك متيسر لأهله بحمدالله . وعد أيضاً إلى قول الذهبي المتقدم « لم يجتمع اثنان من علماء هذا الشأن قط على توثيق ضعيف ولا تضعيف ثقة » فتأمله ، والحمدلله رب العالمين .

المبحث الثاني
فوائد تتعلق بألفاظ الجرح والتعديل

١ـ قال السخاوي في فتح المغيث (١/٣٦٢):

« ... فمن نظر في كتب الرجال ككتاب ابن أبي حاتم ... والكامل لابن عدي والتهذيب وغيرها ظفر بألفاظ كثيرة . ولو اعتنى بارع بتتبعها ووضع كل لفظة بالمرتبة المشابهة لها مع شرح معانيها لغة واصطلاحاً لكان حسناً . وقد كان شيخنا يلهج بذكر ذلك فما تيسر . والواقف على عبارات القوم يفهم مقاصدهم لما عرف من عباراتهم في غالب الأحوال وبقرائن ترشد إلى ذلك » .

٢ـ قال الحافظ ابن حجر في نزهة النظر (ص ١١١):

« ومن المهم أيضاً معرفة أحوالهم تعديلاً وتجريحاً وجهالة ... ومن أهم ذلك بعد الاطلاع معرفة مراتب الجرح والتعديل لأنهم قد يجرحون الشخص بما لا يستلزم رد حديثه كله » .

٣ـ قال الحافظ ابن كثير في اختصار علوم الحديث (ص ١٠٥):

« وبينهما ـ يعني أرفع عبارات التعديل وأسوأ عبارات التجريح ـ أمورٌ كثيرة يعسر ضبطها... وثم اصطلاحات لأشخاص ينبغي التوقيف عليها » .

٤ـ قال العلامة الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني رحمه الله في مقدمته لكتاب الفوائد المجموعة (ص ٩):

« صيغ الجرح والتعديل كثيراً ما تطلق على معان مغايرة لمعانيها المقررة في كتب المصطلح . ومعرفة ذلك تتوقف على طول الممارسة واستقصاء النظر .

٥ـ وقال المعلمي أيضاً في التنكيل « ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ » في أثناء بيانه للأمور التي ينبغي أن يراعيها من أراد أن يعرف أحوال الرواة:

« ... ليبحث عن رأي كل إمام من أئمة الجرح والتعديل واصطلاحه مستعيناً على ذلك بتتبع كلامه في الرواة واختلاف الرواية عنه في بعضهم مع

مقارنة كلامه بكلام غيره ...» .

٦ـ قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١/١/٣٧):

« ووجدت الألفاظ في الجرح والتعديل على مراتب شتى ، وإذا قيل للواحد أنه ـ ثقة ـ أو ـ متقن ثبت ـ فهو ممن يحتج بحديثه .

وإذا قيل له أنه ـ صدوق ـ أو ـ محله الصدق[1] ـ أو ـ لا بأس به ـ فهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه . وهي المنزلة الثانية .

وإذا قيل ـ شيخ ـ فهو بالمنزلة الثالثة ، يكتب حديثه وينظر فيه إلا أنه دون الثانية .

وإذا قيل ـ صالح الحديث ـ فإنه يكتب حديثه للاعتبار .

وإذا أجابوا في الرجل بـ ـ لين الحديث ـ فهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه اعتباراً .

وإذا قالوا ـ ليس بقوي ـ فهو بمنزلة الأولى في كتابة حديثه إلا أنه دونه .

وإذا قالوا ـ ضعيف الحديث ـ فهو دون الثاني لا يطرح حديثه بل يعتبر به .

وإذا قالوا ـ متروك الحديث ـ أو ـ ذاهب الحديث ـ أو ـ كذاب ـ فهو ساقط الحديث لا يكتب حديثه ، وهي المنزلة الرابعة » أ.هـ.

٧ـ قال الإمام الذهبي رحمه الله فيما حكاه عنه السخاوي في فتح المغيث: ١/٣٦٧: « ... وأما ـ صدوق ـ وما بعده « من ألفاظ التعديل » فمختلف فيها بين الحفاظ هل هي توثيق أو تليين ؟ وبكل حال فهي منخفضة عن كمال رتبة التوثيق ومرتفعة عن رتب التجريح » .

٨ـ قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب: ١/٤ـ٥:

---

(١) فرق الذهبي في الميزان بينهما فجعل ـ محله الصدق ـ ادنى من ـ صدوق ـ بمرتبة لأن صدوق وصف بالصدق على سبيل المبالغة ولا كذلك ـ محله الصدق ـ انظر فتح المغيث: ١/٣٦٤ .

فأما المراتب:

فأولها: الصحابة فأصرح بذلك لشرفهم .

الثانية: من أكد مدحه إما بأفعل - كـ - أوثق الناس - أو بتكرير الصفة لفظاً كـ « ثقة ثقة » أو معنى كـ « ثقة حافظ » .

الثالثة: من أفرد بصفة كـ « ثقة » أو « متقن » أو « ثبت » أو « عدل».

الرابعة: من قصر عن درجة الثالثة قليلاً وإليه الإشارة بـ - صدوق - أو - لا بأس به - أو - ليس به بأس - .

الخامسة: من قصر عن درجة الرابعة قليلاً وإليه الإشارة بـ - صدوق سيء الحفظ - أو - صدوق يهم - أو - له أوهام [1] - أو - يخطئ - أو - تغير بأخرة - ويلتحق بذلك من رمي بنوع من البدعة كالتشيع والقدر والنصب والإرجاء والتجهم مع بيان الداعية من غيره.

السادسة: من ليس له من الحديث إلا القليل ولم يثبت فيه ما يترك حديثه من أجله وإليه الإشارة بلفظ - مقبول - حيث يتابع وإلا فلين الحديث - .

السابعة: من روى عنه أكثر من واحد ولم يوثق ، وإليه الإشارة بلفظ - مستور - أو - مجهول الحال - .

الثامنة: من لم يوجد فيه توثيق لمعتبر ووجد فيه اطلاق الضعف ولو لم يفسر واليه الإشارة بلفظ - ضعيف - .

التاسعة: من لم يرو عنه غير واحد ولم يوثق وإليه الإشارة بلفظ - مجهول - .

العاشرة: من لم يوثق البتة وضُعف مع ذلك بقادح وإليه الإشارة بـ - متروك - أو - متروك الحديث - أو - واهي الحديث - أو - ساقط - .

الحادية عشرة: من اتهم بالكذب .

الثانية عشرة: من أطلق عليه اسم الكذب والوضع .

---

(١) يعني بقوله او - له أوهام - أو - صدوق له أوهام - وكذلك قوله - او يخطئ - وقوله - تغير بأخرة - .

انتهى كلام الحافظ رحمه الله ، وقد ترك من الفاظهم المشهورة شيئاً كثيراً ولكنه يمكن للطالب البصير أن يلحق كل لفظة متداولة مما أهمله الحافظ هنا بإحدى رتبه المذكورة والله أعلم .

٩- بيَّنَ العلامة المعلمي رحمه الله في التنكيل (ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩) سبباً اصطلاحياً من أسباب اختلاف كلام ابن معين في نفسه أو مخالفته لكلام غيره فقال: « وقد اختلف كلام ابن معين في جماعة يوثق أحدهم تارة ويضعفه أخرى ـ ثم ذكر منهم المعلمي سبعة عشر راوياً ثم قال: وجاء عنه توثيق جماعة ضعفهم الأكثرون ـ وذكر ثمانية منهم فقال ـ وهذا يشعر بأن ابن معين كان ربما يطلق كلمة ثقة لا يريد بها أكثر من أن الراوي لا يعتمد الكذب .

وقد يقول ابن معين في الراوي مرة ـ ليس بثقة ـ ومرة ـ ثقة ـ أو « لا بأس به ـ أو نحو ذلك ..... وربما يقول في الراوي ـ ليس بثقة ـ ويوثقه غيره ... وهذا قد يشعر بأن ابن معين قد يطلق كلمة ـ ليس بثقة ـ على معنى أن الراوي ليس بحيث يقال فيه ـ ثقة ـ على المعنى المشهور لكلمة ـ ثقة ـ فأما استعمال كلمة ـ ثقة ـ على ما هو دون معناها المشهور فيدل عليه مع ما تقدم أن جماعة يجمعون بينها وبين التضعيف . قال أبو زرعة في عمر ابن عطاء بن وَراز ـ ثقة لين ـ وقال الكعبي في القاسم أبي عبدالرحمن الشامي ـ ثقة يكتب حديثه وليس بالقوي ـ وقال ابن سعد في جعفر بن سليمان الضبعي ـ ثقة وبه ضعف ـ وقال ابن معين في عبدالرحمن بن زياد ابن أنعم ـ ليس به بأس وهو ضعيف ـ وقد ذكروا أن ابن معين يطلق كلمة ـ ليس به بأس ـ بمعنى ـ ثقة ـ وقال يعقوب بن شيبة في ابن أنعم هذا: ضعيف الحديث وهو ثقة صدوق رجل صالح ـ وفي الربيع بن صبيح: ـ صالح صدوق ثقة ضعيف جداً ـ » ثم أحال إلى تراجم عشرة من الرواة ثم قال » وقال يعقوب بن سفيان في أجلح ـ ثقة حديثه لين ـ وفي محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى ـ ثقة عدلٌ في حديثه بعض المقال لين الحديث عندهم .

ثم قال في التنكيل أيضاً: (ص ٢٦٠):

« وهكذا كلمة ـ ثقة ـ معناها المعروف التوثيق التام فلا تصرف عنه إلا بدليل ، إما قرينة لفظية كقول يعقوب ـ ضعيف الحديث وهو ثقة صدوق ـ وبقية الأمثلة السابقة ، وإما حالية منقولة أو مستدل عليها بكلمة أخرى عن قائلها كما مَرَّ في الأمر السابع عن « لسان الميزان » وعن غيره ، ولا سيما إذا كانوا هم الأكثر » ونحو هذا قوله في التنكيل أيضاً (ص ٢٦٢):

« إن قيام الدليل على إطلاق بعضهم في بعض المواضع كلمه ـ ثقة ـ كما قدمت أنا أمثلته لا يُسوغ أن تحمل على ذلك المعنى حيث لا دليل » .

١٠ـ قال أبو الوليد الباجي في « التعديل والتجريح » (١/ ٢٨٣ ـ ٢٨٨):

« اعلم أنه قد يقول المعدل ـ فلان ثقة ـ ولا يريد به أنه ممن يحتج بحديثه ويقول ـ فلان لا بأس به ـ ويريد أنه يحتج بحديثه ، وإنما ذلك على حسب ما هو فيه ووجه السؤال له فقد يُسأل عن الرجل الفاضل في دينه ، المتوسط حديثه فيقرن بالضعفاء فيقال: ما تقول في فلان وفلان ؟ فيقول ـ فلان ثقة ـ يريد أنه ليس من نمط من قرن به وأنه ثقة بالإضافة إلى غيره . وقد يُسأل عنه على غير هذا الوجه فيقول ـ لا بأس به ـ فإذا قيل: أهو ثقة؟ قال: الثقة غير هذا » .

ثم أطال الباجي في التمثيل لذلك والاستدلال عليه إلى أن قال: « فهذا كله يدل على أن ألفاظهم في ذلك تصدر على حسب السؤال وتختلف بحسب ذلك وتكون بحسب إضافة المسؤول عنهم بعضهم إلى بعض » .

ثم قال الباجي:

« وقد يحكم بالجرحة على الرجل بمعنى لو وجد في غيره لم يجرح به لما شهر من فضله وعلمه وأن حاله يحتمل مثل ذلك » .

ثم ذكر مثالاً لذلك وختم هذا المبحث النافع بقوله:

« فعلى هذا يحمل ألفاظ الجرح والتعديل من فهم أقوالهم وأغراضهم ولا

يكون ذلك إلا لمن كان من أهل الصناعة والعلم بهذا الشأن ، وأما من لم يعلم ذلك وليس عنده من أحوال المحدثين إلا ما يأخذه من ألفاظ أهل الجرح والتعديل فإنه لا يمكنه تنزيل الألفاظ هذا التنزيل ولا اعتبارها بشيء مما ذكرنا، وإنما يتبع في ذلك ظاهر ألفاظهم فيما وقع الاتفاق عليه ويقف عند اختلافهم واختلاف عباراتهم . والله الموفق للصواب برحمته » . أ.هـ .

ومما ذكره الباجي من الأمثلة في هذا الباب الذي نقلنا عنه خلاصته جواب ابن مهدي في أبي خلدة الذي أخرجه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل: ١/١/٣٧[1] ، وقد تكلم الشيخ المعلمي في التنكيل (ص ٢٦١ ـ ٢٦٢) على ذلك الجواب فأتى رحمه الله بفوائد منها قوله: « وأصل القصة أن ابن مهدي كان يحدث فقال: حدثنا أبو خلدة فقال له رجل: كان ثقة ؟ فأجاب ابن مهدي بما مرّ ـ فيظهر لي أن السائل فخّم كلمة ـ ثقة ـ ورفع يده وشدها بحيث فهم ابن مهدي أنه يريد أعلى الدرجات ، فأجابه بحسب ذلك.

فقوله ـ الثقة شعبة وسفيان ـ أراد به الثقة الكامل الذي هو أعلى الدرجات.

وذلك لا ينفي أن يقال فيمن دون شعبة وسفيان ـ ثقة ـ على المعنى المعروف ، وهذا بحمد الله ظاهر وإن لم أر من نبه عليه . وقريب منه أن المروزي قال: « قلت لأحمد بن حنبل: عبدالوهاب بن عطاء ثقة ؟ قال: ما تقول ؟ إنما الثقة يحيى القطان » .

وقد وثق أحمد مئات من الرواة يعلم أنهم دون يحيى القطان بكثير .

١١ـ من ألفاظ علماء الجرح والتعديل قولهم ـ صالح الحديث ـ وقد ذكره ابن أبي حاتم في كتابه ـ الجرح والتعديل ـ (١/١/٣٧) وتقدم نقل ذلك عنه (ص ١٣) . واتفق ابن الصلاح في علوم الحديث (ص ١١٢)

---

(١) قال ابن أبي حاتم: « حدثنا أبي نا عنه عبدالرحمن بن عمر الأصبهاني الزهري قال سمعت عبدالرحمن بن مهدي ـ وقيل له: أبو خلدة ثقة ؟ ـ فقال: كان صدوقاً وكان مأموناً، الثقة سفيان وشعبة . وانظر الكفاية للخطيب (ص ٢٢) .

والعراقي في شرح الفيته (٢/ ٥) والسخاوي في فتح المغيث (١/ ٣٦٥) والنووي في التقريب والسيوطي في التدريب (١/ ٣٤١ ـ ٣٤٥) وغيرهم على أن كلمة ـ صالح الحديث ـ عند ابن أبي حاتم من الفاظ التعديل .
ولكن الشيخ الألباني يرى خلاف ذلك فقد قال في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣/ ١١٢) في أثناء تخريج الحديث (١٠٣١) ما يأتي: « وهذا يعني قول أبي حاتم ـ صالح [1] ـ وإن كان توثيقاً في اعتبار أكثر المحدثين ، ولكنه ليس كذلك بالنظر إلى اصطلاح أبي حاتم نفسه ، فقد ذكر ابنه في مقدمة الجزء الأول من « الجرح والتعديل » (ص ٣٧) ما نصه: [ثم نقل تقسيم ابن أبي حاتم لمراتب الرواة] ثم قال: « فهذا نص منه على أن كلمة ـ صالح الحديث ـ مثل قولهم ـ لين الحديث ـ يكتب حديثه للاعتبار والشواهد [؟] ومعنى ذلك أنه لا يحتج به ، فهذه العبارة من الفاظ التجريح لا التعديل خلافاً لما يدل عليه كلام السيوطي في التدريب (٢٣٣ ـ ٢٣٤) وعلى هذا فيرفع اسم أبي حاتم أيضاً من قائمة الموثقين [يعني لعتبة بن أبي حكيم] إلى قائمة المضعفين .... » .

١٢ـ قولهم ـ لا بأس به ـ وقولهم ـ أرجو أنه لا بأس به ـ وقولهم ـ لا أعلم به باساً ـ بينها فروق:

أما قولهم ـ لا بأس به ـ فهو بمنزلة قولهم ـ صدوق ـ وهو في الرتبة التي تلي رتبة ـ الثقة ـ قال ذلك ابن أبي حاتم وتبعه عليه ابن الصلاح والذهبي والعراقي والعسقلاني والسخاوي والسيوطي . وأما قولهم ـ ارجو أنه لا بأس به ـ فهو منخفض في التعديل عن قولهم ـ لا بأس به ـ كما فرق بينهما العراقي وغيره وذلك ظاهر ، فالإخبار برجاء عدم الشيء هو دون القطع بعدم ذلك الشيء .

والظاهر أن قولهم ـ لا اعلم به بأساً ـ هو دون قولهم ـ ارجو أنه لا بأس به ـ قال العراقي في شرح الألفية (٢/ ٦) في ـ ارجو أنه لا بأس به ـ:

---

(١) فرق الحافظ ابن حجر بين قولهم ـ صالح ـ وقولهم ـ صالح الحديث ـ فانظر الفائدة رقم: ٣١ ، ص ١٢٣ من هذا البحث .

« هي نظير ـ ما أعلم به بأساً ـ أو الأولى أرفع لأنه لا يلزم من عدم العلم حصول الرجاء بذلك » .

قلت: ولكن الذي يظهر عند التأمل أن الظاهر الذي ذكرته لا يؤخذ على إطلاقه ، فإن الناقد الخبير إذا سئل عن راو قد عرفه معرفة كافية واطلع على حاله اطلاعاً جيداً فقال فيه ـ لا أعلم به بأساً ـ فربما كان هذا القول منه أمكن وأرفع في التوثيق من قوله ـ أرجو انه لا بأس به ـ وهذا واضح لمن تدبره والله أعلم .

١٣ـ بيان أن اصطلاح ابن عدي في قوله ـ أرجو انه لا بأس به ـ مخالف لاصطلاح الجمهور .

قال المعلمي في تعليقه على الفوائد المجموعة (ص ٤٥٩) منتقداً قول السيوطي في راو واه جداً « ووثقه ابن عدي فقال أرجو أنه لا بأس به » ما نصه: « ليس هذا بتوثيق وابن عدي يذكر منكرات الراوي ثم يقول ـ أرجو أنه لا بأس به ـ يعني بالبأس تعمد الكذب » .

وقال أيضاً في التعليق المذكور (ص ٣٥):

« هذه الكلمة ـ يعني أرجو انه لا بأس به ـ رأيت ابن عدي يطلقها في مواضع تقتضي أن يكون مقصوده « أرجو أنه لا يعتمد الكذب » وهذا ـ يعني الموضع المعلق عليه ـ منها لأنه قالها ـ أي الكلمة ـ بعد أن ساق أحاديث يوسف ـ هو ابن المنكدر ـ وعامتها لم يتابع عليها » انتهى .

وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٣/ ١١٢) في تخريج الحديث (١٠٣١) ما نصه: « ثم أن قول ابن عدي ـ أرجو أنه لا بأس به ـ ليس نصاً في التوثيق ولئن سلم فهو أدنى درجة في مراتب التعديل أو أول مرتبة من مراتب التجريح مثل قوله ـ ما أعلم به بأساً ـ كما في التدريب (ص ٢٣٤) .

١٤ـ معنى قول ابن معين ـ لا بأس به ـ وقوله ـ ضعيف ـ:

أخرج الخطيب في الكفاية (ص ٢٢) عن أحمد بن أبي خيثمة قال: قلت ليحيى بن معين ـ إنك تقول فلان ليس به بأس ، وفلان ضعيف ؟

قال: إذا قلت لك ليس به بأس فهو ثقة . وإذا قلت لك هو ضعيف فليس هو بثقة ، لا يكتب حديثه .

وقال العراقي في شرح ألفية الحديث (ص ٧ـ ٨):

« قلت ولم يقل ابن معين أن قولي ـ ليس به بأس ـ كقولي ـ ثقة ـ حتى يلزم منه التساوي بين اللفظين . إنما قال: إن من قال فيه هذا فهو ثقة وللثقة مراتب . فالتعبير عنه بقولهم ثقة أرفع من التعبير عنه بأنه لا بأس به وإن اشتركا في مطلق الثقة والله أعلم .

وفي كلام دحيم ما يوافق كلام ابن معين ، فإن أبا زرعة الدمشقي قال: قلت لعبدالرحمن بن إبراهيم: ما تقول في علي بن حوشب الفزاري ؟ قال ـ لا بأس به ـ .

قال: قلت ولم لا تقول ـ ثقة ـ . ولا نعلم إلا خيراً ؟ قال: قد قلت لك إنه ـ ثقة ـ .

١٥ـ معنى قول ابن معين ـ ليس بشيء ـ قال الحافظ في ترجمة عبدالعزيز ابن المختار البصري من مقدمة فتح الباري (ص ٥٩٠):

« وثقه ابن معين في رواية ابن الجنيد وغيره ، وقال في رواية ابن أبي خيثمة عنه ليس بشيء قلت: احتج به الجماعة .

وذكر ابن القطان الفاسي أن مراد ابن معين بقوله في بعض الروايات ـ ليس بشيء ـ يعني أن أحاديثه قليلة جداً » انتهى .

أقول: تحمل كلمة ابن معين هذه ـ ليس بشيء ـ على هذا المعنى أي ـ قلة أحاديث الراوي جداً ـ بشرط أن تكون أحاديثه كذلك وأن تكون تلك الأحاديث غير منكرة ولا باطلة ، فإن الراوي إذا كان مقلاً جداً وقال فيه ابن معين ـ ليس بشيء ـ وأحاديثه منكرة فقد قام الاحتمال حينئذ على أن يكون مراد ابن معين بهذه اللفظة تضعيف الراوي بسبب روايته لهذه الأحاديث ولا سيما أنه قد استعمل هذه اللفظة يريد بها التضعيف كما تراه في ترجمة خالد بن أيوب البصري في الجرح والتعديل ولسان الميزان وفي ترجمة غيره

أيضاً . . « انظر هامش الرفع والتكميل (ص ١٥٣ ـ ١٥٤) .

وبعد كتابة هذا التعليق وقفت على ما يلي فنقلته:

قال العلامة المعلمي رحمه الله في طليعة التنكيل (ص ٤٩):

« . . . . فابن معين مما يطلق ـ ليس بشيء ـ لا يريد بها الجرح وإنما يريد أن الرجل قليل الحديث ، وقد ذكر الكوثري ذلك (ص ١٢٩) ويأتي تحقيق ذلك في ترجمة ثعلبة من التنكيل ، وحاصله أن ابن معين قد يقول ـ ليس بشيء ـ على معنى قلة الحديث ، فلا تكون جرحاً ، وقد يقولها على وجه الجرح كما يقولها غيره فتكون جرحاً ، فإذا وجدنا الراوي الذي قال فيه ابن معين ـ ليس بشيء ـ قليل الحديث وقد وثق وجب حمل كلمة ابن معين على قلة الحديث لا الجرح ، وإلا فالظاهر أنها جرح . . . » ، وانظر ترجمة كثير بن شنظير من تهذيب التهذيب .

١٦ـ مراد أحمد بقوله في الراوي ـ منكر الحديث ـ:

قال الحافظ في ترجمة يزيد بن عبدالله بن خصيفة من هدي الساري (ص ٦٣١): « قال ابن معين ثقة حجة ، ووثقه أحمد في رواية الأثرم وكذا أبو حاتم والنسائي وابن سعد . وروى أبو عبيد الآجري عن أبي داود عن أحمد أنه قال « منكر الحديث » .

فقلت: هذه اللفظة يطلقها أحمد على من يُغرب على أقرانه . عُرف ذلك بالاستقراء من حاله ؛ وقد احتج بابن خصيفة مالك والأئمة كلهم » .

وعلق الحافظ في هدي الساري أيضاً (ص ٦١٠) على قول أحمد في محمد بن إبراهيم التيمي « يروي أحاديث مناكير » بقوله:

« قلت: المنكر أطلقه أحمد بن حنبل وجماعته على الحديث الفرد الذي لا متابع له ، فيحمل هذا على ذلك ، وقد احتج به الجماعة » .

وقال ابن الصلاح: « وإطلاق الحكم على التفرد بالرد أو النكارة أو الشذوذ موجود في كلام كثير من أهل الحديث » .

فقال الحافظ في النكت (٢/ ٦٧٤):

« وهذا ـ يعني قول ابن الصلاح المذكور ـ مما ينبغي التيقظ له فقد أطلق الإمام أحمد والنسائي وغير واحد من النقاد لفظ المنكر على مجرد التفرد لكن حيث لا يكون المتفرد في وزن من يحكم لحديثه بالصحة بغير عاضد يعضده».

قلت: ولكن مما يُردُ على ما حكاه الحافظ عن الإمام أحمد ما في شرح علل الترمذي للعلامة ابن رجب (١/ ٣٨٥) حيث قال:

« وقال ـ يعني الإمام أحمد ـ في روايته أيضاً ـ يعني رواية إسحق بن إبراهيم بن هانئ ـ وقد سأله: ترى أن تكتب الحديث المنكر ؟ قال: المنكر أبداً منكر .

قيل له: فالضعفاء ؟ قال: قد يحتاج إليهم في وقت ، كأنه لم ير بالكتابة عنهم بأساً » .

وقال العراقي في تخريجه الأكبر للأحياء ـ فيما نقله عنه السخاوي في فتح المغيث (١/ ٣٧٣): « وكثيراً ما يطلقون المنكر على الراوي لكونه روى حديثاً واحداً ، ونحوه قول الذهبي في ترجمة عبدالله بن معاوية الزبيري من الميزان:

« قولهم منكر الحديث لا يعنون به أن كل ما رواه منكر بل إذا روى الرجل جملة وبعض ذلك مناكير فهو منكر الحديث » .

وقال السخاوي (١/ ٣٧٣): « قلت: وقد يطلق ذلك على الثقة إذا روى المناكير عن الضعفاء . . .» .

وقال ابن دقيق العيد في شرح الإمام كما في فتح المغيث (١/ ٣٧٣):

« قولهم ـ روى مناكير ـ لا يقتضي بمجرده ترك روايته حتى تكثر المناكير في روايته وينتهي إلى أن يقال فيه ـ منكر الحديث ـ لأن ـ منكر الحديث ـ وصف للرجل ليستحق به الترك لحديثه ، والعبارة الأخرى لا تقتضي

الديمومة، كيف وقد قال أحمد بن حنبل في محمد بن إبراهيم التيمي « يروي أحاديث منكرة » وهو ممن اتفق عليه الشيخان وإليه المرجع في حديث «الأعمال بالنيات » .

١٧ـ أولاً: اصطلاح البخاري في قوله « منكر الحديث » .

قال الذهبي في ترجمة إبان بن جبلة الكوفي من الميزان (١/٦):

« ونقل ابن القطان أن البخاري قال: كل من قلت فيه منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه » .

ثانياً: قولا البخاري « فيه نظر » و « سكتوا عنه »:

قال السخاوي (١/ ٣٧١): « وكثيراً ما يعبر البخاري بهاتين ... فيمن تركوا حديثه ، بل قال ابن كثير إنهما أدنى المنازل عنده وأردؤها » .

ثالثاً: قال الشيخ المعلمي في التنكيل (ص ٤١٢) في قولي البخاري «فيه نظر » و « في حديثه نظر »:

« وبينهما فرق ؛ فقوله « فيه نظر » يقتضي الطعن في صدقه وقوله « في حديثه نظر » يشعر بأنه صالح في نفسه وإنما الخلل في حديثه لغفلة أو سوء حفظ » .

١٨ـ قال شعبة في راو « حدثني وكان كخير الرجال ...» .

قال المعلمي رحمه الله في التعليق على الفوائد المجموعة (ص ٩٨ ـ ٩٩):

« قول شعبة كخير الرجال ، ليس بتوثيق وقد يكون الرجل صالحاً في نفسه وليس بشيء في الرواية ...» .

١٩ـ قال الحافظ الذهبي في الميزان (٤/ ٤٨٣) في ترجمة يونس بن أبي إسحق السبيعي: « ... وقال أحمد حديثه مضطرب . وقال عبدالله بن أحمد: سألت أبي عن يونس بن أبي إسحق ، قال: كذا وكذا . قلت: هذه العبارة يستعملها عبدالله بن أحمد كثيراً فيمن [!] يجيبه به والده وهي

بالاستقراء كناية عمن فيه لين » .

٢٠ـ قال ابن أبي حاتم في ترجمة روح بن عبدالواحد الحراني من الجرح والتعديل (٣/ ٤٩٩ـ٥٠٠): «... كتب عنه أبي ... وسألته عنه فقال ليس بالمتقن روى أحاديث فيها صنعة » . فقال محققه الشيخ المعلمي رحمه الله في شرح هذه العبارة: « يعني أنه يتصرف فيها ولا يأتي بها على الوجه » .

٢١ـ قال الحافظ ابن حجر في ترجمة سعد بن سعيد الأنصاري من التهذيب (٣/ ٤٧٠ـ ٤٧١): « ... وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول سعد بن سعيد الأنصاري يؤدي ، يعني أنه كان لا يحفظ ويؤدي ما سمع.... »

... وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ذكر أبي عن إسحق ابن منصور عن يحيى بن معين أنه قال: سعد بن سعيد الأنصاري مودي . قال أبو الحسن بن القطان الفاسي: اختلف في ضبط هذه اللفظة فمنهم من يخففها ـ أي هالك ـ ومنهم من يشددها أي حسن الأداء » وانظر المغيث (١/ ٣٧٥) .

٢٢ـ معنى قولهم يسرق الحديث: قال السخاوي (١/ ٣٧٠) في سرقة الحديث:

« إنها كما قال الذهبي أهون من وضعه واختلاقه في الإثم ؛ إذ سرقة الحديث: أن يكون محدث ينفرد بحديث فيجيء السارق ويدعي أنه سمعه أيضاً [عن] شيخ ذلك المحدث . قلت: [القائل هو السخاوي]: أو يكون الحديث عرف براو فيضيفه لراو غيره ممن شاركه في طبقته » .

٢٣ـ قال الخطيب في الكفاية (ص٢٣):

حدثني علي بن محمد بن نصر الدينوري قال: سمعت حمزة بن يوسف السهمي يقول: سألت أبا الحسن الدارقطني قلت له: إذا قلت فلان « لين » أيش تريد به ؟ قال: لا يكون ساقطاً متروك الحديث ولكن مجروحاً بشيء لا يسقط عن العدالة » .

٢٤ـ معنى قول المحدثين « فلان متهم بالكذب »:

قال فيه المعلمي في التنكيل (ص٢٢٢):

« وتحرير ذلك أن المجتهد في أحوال الرواة قد يثبت عنده ـ بدليل يصح الاستناد إليه ـ أن الخبر لا أصل له ، وأن الحمل فيه على هذا الراوي ، ثم يحتاج بعد ذلك إلى النظر في الراوي أتعمد الكذب أم غلط ؟ ، فإذا تدبر وأنعم النظر فقد يتجه له الحكم بأحد الأمرين جزماً ، وقد يميل ظنه إلى أحدهما ، إلا أنه لا يبلغ أن يجزم به ؛ فعلى هذا الثاني إذا مال ظنه إلى أن الراوي تعمد الكذب قال فيه ـ متهم بالكذب ـ أو نحو ذلك مما يؤدي هذا المعنى . . .» .

٢٥ـ قول ابن حبان في الراوي: « يروي الموضوعات عن الثقات » يحتمل ثلاثة أشياء .

الأول: أنه يضع . الثاني: أنه كثير الغلط . الثالث: أنه يدلس المتروكين والكذابين . وانظر حاشية الفوائد المجموعة للمعلمي (ص١٩١) .

٢٦ـ قال الحافظ في ترجمة أزهر بن سعد السمان من التهذيب (١/ ٢٠٢ـ٢٠٣):

« وحكى العقيلي وأبو العرب الصقلي في الضعفاء أن الإمام أحمد قال: « ابن أبي عدي أحب إلي من أزهر » . قلت: ليس هذا بجرح يوجب إدخاله في الضعفاء » .

انتهى كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله .

٢٧ـ أخرج ابن الصلاح في علوم الحديث (ص١١٣) بإسناده عن يعقوب ابن سفيان قال: سمعت أحمد بن صالح قال: لا يترك حديث رجل حتى يجتمع الجميع على ترك حديثه . قد يقال « فلان ضعيف » فأما أن يقال «فلان متروك » فلا . إلا أن يجمع الجميع على ترك حديثه » .

٢٨ـ في معنى قولهم « ليس بثقة »:

قال العلامة المعلمي في التنكيل (ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠) ما خلاصته:

« كلمة « ليس بثقة » في الاصطلاح توجب الضعف الشديد . وحقيقتها اللغوية نفي أن يكون بحيث يقال له « ثقة » ، ولا مانع من استعمالها بهذا المعنى .

وقد ذكرها الخطيب في « الكفاية » في أمثلة الجرح غير المفسر . نعم إذا قيل ليس بثقة ولا مأمون تعين الجرح الشديد ، وإن اقتصر على « ليس بثقة» فالمتبادر جرح شديد ، ولكن إذا كان هناك ما يشعر بأنها استعملت في المعنى الآخر حملت عليه » .

٢٩ـ فائدة في معنى قولهم « هو على يدي عدل »:

قال الحافظ في ترجمة محمد بن خالد الواسطي في تهذيب التهذيب:

« وقال أيضاً ـ يعني ابن أبي حاتم ـ سُئل عنه أبي فقال « هو على يدي عدل » ، قال الحافظ: « وقوله « على يدي عدل » معناه قرب من الهلاك، وهذا مثل للعرب ، كان ببعض الملوك شرطي اسمه « عدل » فإذا رفع إليه من جنى جناية جزموا بهلاكه غالباً ، ذكره ابن قتيبة وغيره . وظن بعضهم أنها من ألفاظ التوثيق فلم يصب » . وانظر فتح المغيث (١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦) ووقع في التعليق على التدريب (١/ ٣٤٨) خطأ غريب هو قوله « ذكر ابن حجر .... في ترجمة محمد بن خالد الواسطي عن أبي زرعة [؟] أنه سأل أباه ...» .

٣٠ـ يلتحق بألفاظ الجرح ويقوم مقام بعضها ما ذكره الخطيب في الكفاية (ص ١١٣ـ ١١٤) وهو ما يأتي:

أخرج الخطيب عن محمد بن علي الوراق قال: سألت مسلم بن إبراهيم عن حديث لصالح المُري فقال: ما تصنع بصالح ؟ ذكروه يوماً عند حماد بن سلمة فامتخط حماد .

ولكن تعقبه الخطيب بقوله: « قلت امتخاط حماد عند ذكره لا يوجب رد خبره » .

وأخرج الخطيب أيضاً عن يحيى بن معين أنه سُئل عن حجاج بن الشاعر فبزق لما سُئل عنه .

وأخرج كذلك عن مزاحم بن زفر قال: قلنا لشعبة ما تقول في أبي بكر الهذلي ؟ قال: دعني لا أقيء .

٣١- قال الحافظ في النكت (٢/ ٦٨٠):

« ... وقول الخليلي « أنه شيخ صالح » أراد به في دينه لا في حديثه ، لأن من عادتهم إذا أرادوا وصف الراوي بالصلاحية في الحديث قيدوا ذلك فقالوا: صالح الحديث . فإذا أطلقوا الصلاح فإنما يريدون به في الديانة والله أعلم .

٣٢- الفرق بين قولهم « ليس بقوي » وقولهم « ليس بالقوي »:

قال الكوثري في راو « ليس بقوي عند النسائي » فاستدرك عليه العلامة المعلمي في التنكيل (ص٤٤٢) بقوله:

« أقول: عبارة النسائي « وليس بالقوي » وبين العبارتين فرق لا أراه يخفى على الأستاذ ولا على عارف بالعربية ، فكلمة « ليس بالقوي » تنفي القوة مطلقاً وإن لم تثبت الضعف مطلقاً ، وكلمة « ليس بالقوي » إنما تنفي الدرجة الكاملة من القوة .

والنسائي يراعي هذا الفرق فقد قال هذه الكلمة في جماعة أقوياء منهم عبد ربه بن نافع وعبدالرحمن بن سليمان بن الغسيل فبين ابن حجر في ترجمتيهما من « مقدمة الفتح » أن المقصود بذلك أنهما ليسا في درجة الأكابر من أقرانهما ، وقال في ترجمة الحسن بن الصباح: « وثقه أحمد وأبو حاتم وقال النسائي: صالح ، وقال في الكنى - يعني النسائي أيضاً - ليس بالقوي . قلت - أي ابن حجر - هذا تليين هين ، وقد روى عنه البخاري وأصحاب السنن إلا ابن ماجه ولم يكثر عنه البخاري » .

٣٣- قال السخاوي في فتح المغيث (١/ ٣١٩-٣٢٠):

« ... على أن قول أبي حاتم في الرجل أنه مجهول ، لا يريد به أنه لم يرو عنه سوى واحد بدليل أنه قال في داود بن يزيد الثقفي « مجهول » مع أنه قد روى عنه جماعة ، ولذا قال الذهبي عقبه:

« هذا القول يوضح لك أن الرجل قد يكون مجهولاً عند أبي حاتم ولو روى عنه جماعة ثقات ، يعني أنه مجهول الحال ، وقد قال في عبدالرحيم ابن كرم بعد أن عرفه برواية جماعة عنه أنه مجهول .

ونحوه قوله في زياد بن جارية التميمي الدمشقي [شيخ مجهول] مع أنه قيل في زياد هذا أنه صحابي » .

وانظر ترجمة زياد بن جارية وترجمة زياد بن جيل في الجرح والتعديل (١/ ٢/ ٥٢٧) ومنه زدت قوله [شيخ مجهول] والله أعلم .

هذا آخره والحمدلله رب العالمين .



فهرس مصادر البحث

١- اختصار علوم الحديث، لابن كثير، شرح العلامة أحمد محمد شاكر، ط٢.

٢- الاقتراح في بيان الاصطلاح ، لابن دقيق العيد ، بغداد ، ١٤٠٢هـ.

٣- ظ تدريب الراوي ، للسيوطي ، ت عبدالوهاب عبداللطيف ، ١٣٩٩هـ.

٤- تذكرة الحفاظ ، للإمام الذهبي ، الهند ، ١٣٣٣هـ .

٥- تقريب التهذيب ، للحافظ ابن حجر . ت عبدالوهاب عبداللطيف .

٦- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ، المعلمي اليماني ، ط٢-١٤٠٦هـ.

٧- تهذيب التهذيب ، للحافظ ابن حجر ، دار صادر - بيروت .

٨- الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم الرازي ، ت المعلمي اليماني .

٩- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل ، اللكنوي ، ط٢-١٣٨٨هـ.

١٠- سلسلة الأحاديث الضعيفة ، للشيخ الألباني ، ط١ - ١٤٠٨هـ .

١١- سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، مؤسسة الرسالة .

١٢- شرح ألفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة ، للعراقي ، دار الكتب العلمية .

١٣- شرح علل الترمذي ، للحافظ ابن رجب ، ت همام عبدالرحيم سعد.

١٤- علوم الحديث ، لابن الصلاح ، ت نور الدين عتر ، ١٣٨٦هـ .

١٥- فتح الباري للحافظ ابن حجر ، ط دار الكتب العلمية ، ١٤١٠هـ.

١٦- فتح المغيث ، للحافظ السخاوي ، ١٤٠٣هـ .

١٧- الفوائد المجموعة ، للشوكاني، ت المعلمي اليماني ، دار الكتب العلمية.

١٨- الكفاية في علم الرواية ، للخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية .

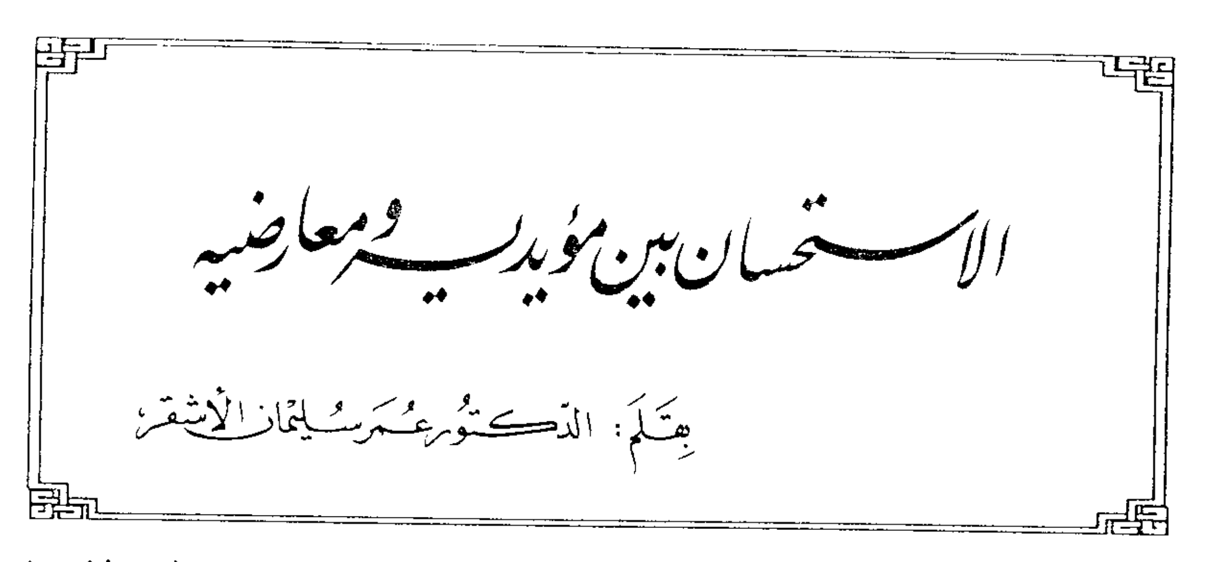
١٩- لسان الميزان ، للحافظ ابن حجر ، دار الفكر ١٤٠٨هـ .

٢٠- ميزان الاعتدال ، للحافظ الذهبي ، دار الفكر .

٢١- نزهة النظر شرح نخبة الفكر ، للحافظ ابن حجر ، ١٤٠٩هـ .

٢٢- النكت على كتاب ابن الصلاح ، للحافظ ابن حجر، ط ٢- ١٤٠٨هـ.





الاستحسان بين مؤيديه ومعارضيه

بقلم: الدكتور عمر سليمان الأشقر

الاستحسان في اللغة مشتق من الحسن، ومعناه ما يميل إليه الإنسان ويهواه من الصور والمعاني، وإن كان مستقبحا عند غيره .

ولاشك أن القول في دين الله بالرأي الذي يستحسنه المرء بعيدا عن الضوابط الشرعية، والنصوص من الكتاب والسنة - سبيل مرفوض، لايمكن أن يقبله أحد من علماء الشريعة الإسلامية إلا من طمس الله على بصيرته، وذلك أن هذا النهج هو اتباع للهوى واتباع الهوى مذموم ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه، أفأنت تكون عليه وكيلا ﴾[1]، والمسلم يجعل الشرع حاكما على نفسه ورأيه ولايجعل رأيه هو المقدم بين يدي الشرع ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾[2] .

وهذه الطريقة في الحكم على المسائل هي التي يتوجه إليها الإنكار من علماء الشريعة، وعلى رأسهم الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، فمن كلامه في هذا: «ليس لأحد دون رسول الله ﷺ أن يقول إلا بالاستدلال...، ولايقول بما استحسن، فإن القول بما استحسن شيء يحدثه لا على مثال سبق»[3] .

---

(١) سورة الفرقان: ٤٣ .

(٢) سورة الحجرات: ١ .

(٣) الرسالة للشافعي: ٢٥ .

وفي موضع آخر يقول: « حلال الله وحرامه أولى أن لايقال فيهما بالتعسف والاستحسان ، وإنما الاستحسان تلذذ »[1] .

وقد عقد الشافعي رحمه الله تعالى في كتابه « الأم » فصلا طويلا بعنوان « كتاب إبطال الاستحسان »[2] .

وخلاصة ما ذكره فيه أن الاستحسان باطل من وجوه:

١ - الاستحسان إن كان إعمالا للنصوص فلا حاجة إليه ، وإن كان خارجا عنها فلا خير فيه .

٢ - الاستحسان ليس نصا ولا ردا إلى النصوص فهو اتباع للهوى .

٣ - الرسول ﷺ توقف في الحكم على كثير من المسائل ولم يفت بما استحسنه .

٤ - أنكر الرسول ﷺ على بعض أصحابه حكمهم بالاستحسان في بعض القضايا .

٥ - الاستحسان ليس له ضابط ، وهذا يؤدي إلى تعدد الفتاوى في المسألة الواحدة ، من غير مرجح ، فيكثر الاختلاف .

٦ - لو صح الاستحسان من غير نص ولا قياس للمجتهد ، لجاز لغير المجتهد أن يحكم برأيه ، فلا فرق بين المجتهد وغيره إذا ابتعد المجتهد عن الكتاب والسنة والقياس[3] .

أما الاستحسان بمعنى الأخذ بأحسن ما يظهر للمجتهد من النصوص ، أو

---

(١) الرسالة للشافعي: ٧٠٥ .

(٢) الأم ، للشافعي: ٧/ ٢٦٧ - ٢٧٧ .

(٣) من الذين ذهبوا إلى إنكار الاستحسان مطلقا ابن حزم الظاهري ، وقد عقد في كتابه الإحكام فصلا للتدليل على بطلانه ومناقشة القائلين به ، راجع الإحكام (٢/ ٧٥٧) ، وانكره من الحنفية أحمد بن محمد الطحاوي، راجع الإحكام ، لابن حزم (٢/ ٧٥٨)، وتوسع فيه أبو حنيفه وأصحابه ، ومالك وأصحابه ، وقال مالك فيه: « تسعة أعشار العلم في الاستحسان» راجع إحكام ابن حزم: ٧/ ٧٥ ، والموافقات للشاطبي: ٤/ ١٣٧ .

بأحسن ما يظهر له من القياس على النصوص عند فقدان المجتهد للنصوص ، فهذا لا يماري فيه الشافعي رحمه الله تعالى ، فقد جاء في كتاب إبطال الاستحسان قوله: « وفي جميع ما وصفت ... مما فرض الله تعالى على الحكام في الدنيا - دليل على أن حراما على حاكم أن يقضي أبدا على أحد من عباد الله إلا بأحسن ما يظهر ، وأخفه على المحكوم عليه »[1] .

وقد قال الشافعي رحمه الله تعالى بالاستحسان بهذا المعنى في كثير من المسائل، أعني أن حكمه فيها هو أحسن ما ظهر له من النصوص فمن ذلك:

١ - أنه استحسن أن تكون المتعة ثلاثين درهما .

٢ - وقال في الكتابة: أستحسن ترك شيء من نجوم المكاتبة للمكاتب .

٣ - وقال في الشفعة: أستحسن ثبوت الشفعة للشفيع إلى ثلاثة أيام[2] .

٤ - واستحسن أيضا التحليف على المصحف ، والخط في كتابه[3] .

وقد استحسن الإمام أحمد أشياء من هذا القبيل ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « أطلق أحمد القول بالاستحسان في مواضع قال في رواية الميموني: أستحسن أن يتيمم لكل صلاة ، والقياس أنه بمنزلة الماء ، يصلي به حتى يحدث أو يجد الماء ، وقال في رواية بكر بن محمد فيمن غصب أرضا فزرعها: الزرع لرب الأرض ، وعليه النفقة ، وهذا شيء لا يوافق القياس ، ولكن استحسن أن يدفع إليه نفقته ، وقال في رواية المروذي: يجوز شراء أرض السواد ولا يجوز بيعها ؛ فقيل له: كيف يشتري ممن لا يملك؟ فقال: القياس كما تقول ، ولكن هو استحسان . وقال في رواية صالح في المضارب إذا خالف فاشترى غير ما أمر به صاحب المال: فالربح لصاحب المال ، ولهذا أجرة مثله ، إلا أن يكون الربح يحيط بأجرة مثله ، فيذهب ، وكنت أذهب إلى أن الربح لصاحب المال ، ثم استحسنت »[4] .

والإمام أحمد هنا لايترك القياس لهوى هويه من غير دليل ، فقد أنكر

---

(١) الأم للشافعي: ٢٦٩/٧ .

(٢) أصول الفقه ، لمحمد أبي النور زهير: ١٨٩/٤ .

(٣) حاشية البناني على جمع الجوامع: ٣٥٤/٢ .

(٤) المسودة لآل تيمية: ٤٥٢ .

أحمد هذا ، فقد قال في رواية أبي طالب: « أصحاب أبي حنيفة إذا قالوا شيئا خلاف القياس - قالوا: نستحسن هذا ويدع القياس ، فيدعون ما يزعمون أنه الحق بالاستحسان وأنا أذهب إلى كل حديث جاء ولا أقيس عليه»[1] .

وقد علق أبو الخطاب من الحنابلة على كلام الإمام أحمد هذا بقوله: «وعندي أنه أنكر عليهم القول بالاستحسان من غير دليل ، ولهذا قال: «يتركون القياس الذي يزعمون أنه الحق بالاستحسان » فلو كان الاستحسان عن دليل ذهبوا إليه لم ينكره ، لأنه حق ، وقال: « أنا أذهب إلى كل حديث جاء ، ولا أقيس عليه » معناه أني أترك القياس بالخبر ، وهذا هو الاستحسان بالدليل »[2] .

والاستحسان الذي ذكره أغلب الأصوليين هو من هذا النوع الذي ارتضاه الإمامان: أحمد والشافعي ، وليس هو الاستحسان الذي عاباه وذماه ، وهو القول بالتلذذ والهوى ، ولذلك فإن الأصوليين من الشافعية والحنابلة ، عندما يذكرون تعريف الاستحسان بمعنى أنه عدول عن دليل إلى دليل أقوى يقرون بأنهم لايخالفون من ذهب هذا المذهب ، هذا الشيرازي وهو شافعي المذهب، يذكر أن تعريف الاستحسان « بترك القياس لما يستحسن الإنسان من غير دليل »[3] باطل ، ولكنه عندما يذكر تعريف بعض أصحاب أبي حنيفة للاستحسان القاضي بالقول بأقوى الدليلين يقول: « إن كان الأمر على ما فسره أصحاب أبي حنيفة - فإنه لامخالفة في معناه ؛ فإن ترك أضعف الدليلين لأقواهما واجب ، وترك القياس بدليل أقوى منه واجب »[4] .

وجاء في حاشية البناني على متن جمع الجوامع ، وهو من كتب أصول الشافعية « وفرّ أيضا بعدول عن قياس إلى قياس أقوى منه ولاخلاف فيه بهذا المعنى ، فإن أقوى القياسين مقدم على الآخر قطعا »[5] .

(١) المسودة لآل تيمية: ٤٥٢ .

(٢) المسودة لآل تيمية: ٤٥٢ .

(٣) التبصرة ، للشيرازي: ٤٩٣ .

(٤) التبصرة ، للشيرازي: ٤٩٣ .

(٥) حاشية البناني على جمع الجوامع: ٢/٣٥٣ .

نظرة في أقوال المثبتين للاستحسان

وإذا رجعنا إلى تعريفات القائلين بالاستحسان وجدناهم لايعنون به المعنى الذي أنكره العلماء الأعلام أمثال الشافعي ، وإنما عنوا به معنى صحيحا لايخالف فيه الشافعي وغيره ، وأنا أسوق إليك بعض تعريفهم للاستحسان ليتضح الأمر:

١ - يقول الحلواني: « الاستحسان ترك القياس ، لدليل أقوى منه من كتاب أو سنة أو إجماع »[١] .

٢ - ويقول ابن العربي المالكي: « الاستحسان ترك مقتضى الدليل على طريق الاستثناء والترخص لمعارضة ما يعارضه في مقتضياته »[٢] .

٣ - ويقول الشاطبي: « الاستحسان في مذهب مالك: الأخذ بمصلحة جزئية في مقابل دليل كلي ، ومقتضاه إلى تقديم الاستدلال المرسل على القياس»[٣] .

٤ - ويقول ابن قدامة في تعريف الاستحسان المرتضى عنده: « المراد به العدول بحكم المسألة عن نظائرها لدليل خاص من كتاب أو سنة »[٤]، وهو تعريف الكرخي من الأحناف أيضا [٥] .

٥ - ويقول أبو الحسين البصري: « الاستحسان هو ترك وجه من وجوه الاجتهاد غير شامل شمول الألفاظ بوجه أقوى منه يكون كالطارئ عليه»[٦] .

---

(١) المسودة ، لآل تيمية: ٤٥٤ .

(٢) الموافقات ، للشاطبي: ٤/ ١٣٦ .

(٣) الموافقات ، للشاطبي: ٤/ ١٣٤ .

(٤) الروضة ، لابن قدامة: ٨٥ .

(٥) التبصرة ، للشيرازي: ٤٩٣ .

(٦) أصول الفقه ، لمحمد أبي النور زهير: ٤/ ١٩١ .

وإذا أنت تأملت في هذه التعريفات تبين لك مايلي:

١ - أن الاستحسان ليس قولا بالتشهي والتلذذ، وإنما هو ترجيح لدليل على دليل، ولذا فإن الشاطبي أتبع تعريفه للاستحسان بقوله: «فإن من استحسن لم يرجع إلى مجرد ذوقه وتشهيه، وإنما رجع إلى ما علم من قصد الشارع في الجملة»[1].

٢ - أن الاستحسان الاصطلاحي ليس ببعيد عن الاستحسان اللغوي، فالاستحسان الاصطلاحي اختيار المجتهد لأحسن الدليلين عنده، فقد ساق شيخ الإسلام تعريف من عرف الإجماع بقوله: «هو الأخذ بأقوى الدليلين» ثم عقب عليه قائلا: «ولفظ الاستحسان يؤيد هذا، فإنه اختيار الأحسن، وإنما يكون في شيئين حسنين، وإنما يوصف القول بالحسن إذا جاز العمل به ولم يعارض»[2].

وقد أشار إلى هذا شمس الأئمة السرخسي في تعريفه للاستحسان، حيث يقول: «الاستحسان في الحقيقة قياسان: أحدهما: جلي ضعيف الأثر، يسمى قياسا، والآخر: خفي قوي الأثر، فيسمى استحسانا أي قياسا مستحسنا»[3].

٣ - أن هناك دليلا معدولا عنه في الاستحسان، ودليلا معدولاً إليه، والدليل المعدول عنه قد يكون قياسيا، وقد يكون قاعدة، ويكون نصا عاما، والمعدول إليه، قد يكون قياسا أو حديثا، أو إجماعا، أو عرفا.

وابن العربي المالكي جعل سند الاستحسان أربعة: العرف، والإجماع، والمصلحة، والضرورة[4]. والكرخي من الأحناف جعل مستنده أربعة أيضا: الحديث، وقول الصحابة، والعادة، والقياس[5].

---

(١) الموافقات للشاطبي: ٤/ ١٣٥.

(٢) المسودة، لآل تيمية: ٤٥٤.

(٣) المبسوط، للسرخسي: ١٠/ ١٤٥.

(٤) الموافقات للشاطبي: ٤/ ١٣٦.

(٥) المنخول، للغزالي: ٣٧٥.

متى يكون الاستحسان من غير دليل مقبولاً ؟

عرف بعض العلماء الاستحسان بأنه دليل ينقدح في نفس المجتهد لا يقدر على التعبير عنه[1] .

وقال آخرون: هو معنى خفى تضيق العبارة عنه[2] .

وقد رفض العلماء هذا الاتجاه في الاستدلال على الأحكام ، وقد رأينا موقف الشافعي رحمه الله تعالى - من هذا النوع من الاستدلال حيث عده حكما بالهوى والتلذذ .

وقد اعترض ابن قدامة على الذين ذهبوا هذا المذهب ، فقال في التعريف الأول: « مالا يعبر عنه لايدرى أهو وهم أو تحقيق ، فلابد من إظهاره ليعتبر بأدلة الشريعة ، فلتصححه ، أو تزيفه »[3] . وقد أغلظ الغزالي القول للذين عرفوا الاستحسان بأنه معنى خفي تضيق العبارة عنه ، فقال: « هذا هوس فإن معاني الشارع إذا لاحت في العقول ، انطلقت الألسن في التعبير عنها ، فمالا عبارة عنه لايعقل »[4] .

وهذا الذي أنكروه لاشك أنهم مصيبون في إنكارهم له ، إذا ظهرت الأدلة ، وبانت ، ولايجوز العدول عن مقتضى الأدلة إلى مجرد الاستحسان القلبي ، والنظر العقلي ، ولكن هناك حالات يجدها كل عالم في نفسه مقبوله ، وهي الحالات التي لايجد العالم دليلا شرعيا في المسألة أو نظر في الأدلة فتكافأت عنده ، ثم وجد في قلبه طمأنينة لواحد من الأقوال ، أفلا يكون هذا مرجحا للأخذ بهذا الحكم ؟

الصحيح أن هذا يعد دليلا إذا كان العالم الذي انقدح الدليل في نفسه تقيا ورعا واسع العلم ، ولكنه دليل في حق نفسه فقط .

---

(١) الروضة لابن قدامة: ٨٦ ، إرشاد الفحول ، للشوكاني: ٢٤٠ .

(٢) المنخول ، للغزالي: ٣٧٥ .

(٣) الروضة: ٨٦ .

(٤) المنخول ، للغزالي: ٣٧٥ .

ومن ذهب هذا المذهب شيخ الإسلام ابن تيمية ، فقد ذهب إلى أن صاحب القلب المعمور بالتقوى إذا رجح بإرادته فهو ترجيح شرعي[1] ، والعالم الذي يعنيه هو « من غلب على قلبه إرادة ما يحبه الله ، وبغض مايكرهه الله ، إذا لم يدر في الأمر المعين هل هو محبوب لله أو مكروه ، ورأى قلبه يحبه ويكرهه وكان هذا ترجيحا عنده »[2] ، وهذا يكون ترجيحا في نظر الشيخ إذا « اجتهد في الأدلة الشرعية الظاهرة ، فلم ير فيها ترجيحا، والهم حينئذ رجحان أحد الفعلين مع حسن قصده وعمارته بالتقوى»، وهذا إنما هو دليل في حق الشخص نفسه كما يقرر العلامة ابن تيمية ، ويقول الشيخ إن هذا النوع من الاستدلال: « قد يكون أقوى من كثير من الأقيسة الضعيفة ، والأحاديث الضعيفة ، والظواهر الضعيفة والاستصحابات الضعيفة التي يحتج بها كثير من الخائضين في المذهب والخلاف وأصول الفقه»[3] .

وقد استشهد الشيخ بما رواه الترمذي عن أبي سعيد عن النبي ﷺ ، أنه قال: (اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله) ثم قرأ قوله تعالى : ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾[4] ، وأورد قول عمر بن الخطاب: «اقتربوا من أفواه المطيعين ، واسمعوا منهم ما يقولون ، فإنه تتجلى له أمور صادقة »، وأورد الحديث القدسي الذي رواه البخاري في صحيحه: (ولايزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي)[5] .

وقد زاد الشيخ المسألة إيضاحا واستدلالاً بقوله: « وأيضا ، فالله سبحانه

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام. ١٠/٤٧٢ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق: ١٠/٤٧٢ .

(٤) سورة الحجرات: ٧٥. [الحديث المذكور في إسناده كلام عند أهل الحديث ، المجلة].

(٥) المصدر السابق: ١٠/٤٧٣ .

وتعالى - فطر عباده على الحنيفية ، وهو حب المعروف ، وبغض المنكر ، فإذا لم تستحل الفطرة فالقلوب مفطورة على الحق ، فإذا كانت الفطرة مقومة بحقيقة الإيمان منورة بنور القرآن ، وخفي عليها دلالة الأدلة السمعية الظاهرة، ورأى قلبه يرجح أحد الأمرين - كان هذا من أقوى الإمارات عند مثله ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾[1] .

ويشهد لما يقوله الشيخ: الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن النواس بن سمعان ، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: (البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في الصدر ، وكرهت أن يطلع عليه الناس) .

والحديث الذي رواه أحمد والدارمي في مسنديهما بإسناد حسن عن وابصة بن معبد ، قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال: (جئت تسأل عن البر والإثم ؟ قلت نعم ، قال: استفت قلبك ، البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في النفس ، وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس ، وأفتوك) ، فالحديثان يجعلان قلب المؤمن الصادق مقياسا فيما خفي عليه من الأدلة ، ففي كثير من الأحيان تختلط الأمور على العالم ، ولايدري إذا كان الأمر الذي يقدم عليه حلالا أو حراما، برا أو إثما ، والرسول ﷺ يعطي العبد هنا مقياسا يرجع إليه في خاصة نفسه ، يقول ابن رجب: « دل حديث وابصة وما في معناه على الرجوع إلى القلوب عند الاشتباه ، فما سكن إليه القلب وانشرح إليه الصدر - فهو البر والحلال ، وما كان خلاف ذلك فهو الإثم والحرام »[2] ، ثم قال: « وفي حديث النواس بن سمعان: والإثم ما حاك في الصدر ، وكرهت أن يطلع عليه الناس » إشارة إلى أن الإثم ما أثر في الصدر حرجا وضيقا وقلقا واضطرابا، فلم ينشرح له الصدر ، ومع هذا فهو عند الناس مستنكرا ،

---

(١) سورة الشورى: ٥٢ .

(٢) جامع العلوم والحكم ، لابن رجب: ٢٤٠ .

بحيث ينكرونه عند اطلاعهم عليه »[1] .

فتفسير الاستحسان بالدليل ينقدح في قلب المجتهد لايستطيع التعبير عنه - لايبعد حمله على هذا الذي أطلنا في شرحه ، وبعد ذلك البيان الطويل من شيخ الإسلام ، قال: « وقد قال من طعن في ذلك - كأبي حامد وأبي محمد - مالا يعبر عنه فهو هوس ، وليس كذلك ، فإنه ليس كل أحد يمكنه إبانة المعاني القائمة بقلبه ،وكثير من الناس يبينها بيانا ناقصا »[2] .

والشيخ لايريد أن يجعل هذا الذي بينه دليلا وحده على الأحكام الشرعية، ولكنه كما يقول: يجعل مثل هذا ترجيحا لطالب الحق إذا تكافأت عنده الأدلة السمعية الظاهرة ، فهو يرى أن الترجيح بها خير من التسوية بين الأمرين المتناقضين قطعاً ، فإن التسوية بينهما باطلة قطعا[3] .

أما إذا كانت الأدلة صريحة وواضحة في الحل والحرمة فالواجب اتباع نص الدليل ، ولايجوز المصير إلى غير مقتضاه ولاتقدم عليه ماتراه القلوب مهما كان صلاحها .

هل الاستحسان دليل مستقل ؟

إذا تأملت تعريف العلماء للاستحسان ، وماقالوه فيه - تبين لك أنه ليس دليلا مستقلا ، وإنما هو ترجيح دليل على دليل ، فهو منهج في الاجتهاد ، وليس دليلا مستقلا بنفسه ، يقول الشوكاني - رحمه الله -: « إن ذكر الاستحسان في بحث مستقل لا فائدة فيه ، لأنه إن كان راجعا إلى الأدلة المتقدمة فهو تكرار ، وإن كان خارجا عنها ، فليس من الشرع في شيء»[4] .

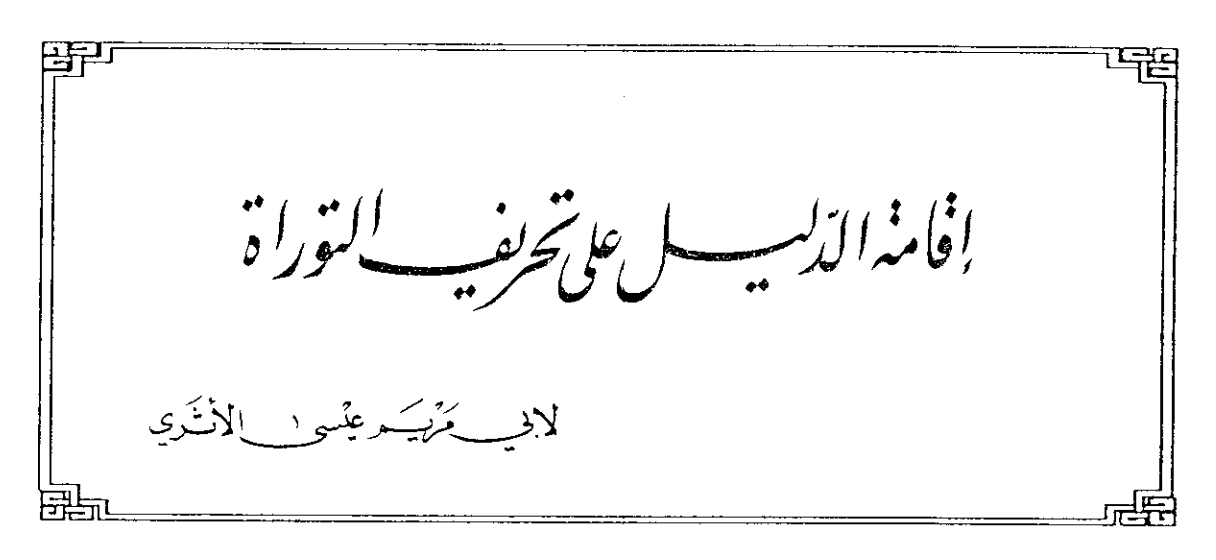
---

(١) جامع العلوم والحكم: ٢٤٠ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٠/٤٧٧ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) إرشاد الفحول ، للشوكاني: ٢٤١ .



بين لنا القرآن الكريم أن التوراة والإنجيل قد امتدت إليهما يد التحريف وعبثت بهما فغيرت الكثير من معالمهما وقلبت حقائقهما ، وقد تناول أئمة الإسلام هذا الموضوع وأشبعوه بياناً وإيضاحاً ، وألفوا فيه كتباً قيّمة.

واشهر هذه الكتب كتاب: (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) الذي ألفه شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رحمه الله ، وكذلك الكتاب النفيس: (إظهار الحق) الذي ألفه الشيخ الإمام رحمة الله الهندي ، وهو كتاب نفيس بحق ، يدل على طول باعه وسعة اطلاعه ، حيث بيّن فيه جملة كبيرة من الأخطاء والتحريفات والتناقضات الموجودة في كتابهم المقدس ، بعهديه ؛ القديم ، والجديد ، وبيّن أيضاً الاختلافات والتحريفات بين النسخ الثلاث الأصول من العهد القديم ؛ وهي النسخة العبرانية ، والنسخة اليونانية ، والنسخة السامرية ، ودعم حججه بأقوال مشاهير علمائهم ومفسريهم ، ونقل تصريحاتهم بهذه التحريفات والتناقضات . وهذا الكتاب فريد في بابه ، وعلى كل طالب علم أن يحصل على نسخة منه ، وأن يقرأها ويستفيد منها.

وعلى الرغم من كل ما كتب في إثبات تحريف الكتاب المقدس ، إلا أن النصارى ما زالوا يقولون بعصمة كتابهم ، وينفون عنه التحريف ، فهذا القس « إبراهيم لوقا » في كتابه (المسيحية في الإسلام) ينفي وجود التحريف ، وهذا القس الشهير « إسكندر جديد » صاحب السلسلة المعروفة (لكل سؤال جواب) ألف كتباً عديدة منها: (عصمة التوراة والإنجيل) ، نفى فيه

تحريف الكتاب المقدس ، وطالب كل من قال بتحريفه أن يبين من الذي حرفه ؟ ومتى ؟ وأين حرفه ؟ وأشار في بعض كتبه الأخرى [1] إلى الموضوع نفسه (أي نفي التحريف) ، بل زاد هو وإبراهيم لوقا وصاحب كتاب (الإنجيل في القرآن) الذي رمز لاسمه (الأستاذ الحداد) بأن عرضوا آيات كريمة من القرآن الكريم للاستدلال بها على عدم التحريف .

ونحن أردنا أن نسهم في هذا الموضوع بهذا البحث المتواضع الذي تضمن معلومات وأقوالاً لبعض علماء النصارى في إثبات التحريف ، تعين المبتدئين والشباب إذا ما تعرضوا لنقاش أو مضايقة من قبل المنصّرين الذين كثر نشاطهم في يومنا هذا ، وليعلم القارئ الكريم أن هذه المعلومات على وضوحها قد عرضناها على عدد من القسيسين فما استطاع منهم أحد أن يرد عليها ، أو أن يفندها ، بل سلم بعضهم بها ، وبعضهم الآخر تهرّب من النقاش .

التعريف بالعهد القديم:

العهد القديم: هو جميع الكتب التي كتبت قبل المسيح عليه السلام ، منها الأسفار الخمسة التي تنسب إلى موسى عليه السلام . وأول هذه الأسفار هو التكوين ، يتلوه الخروج ، ثم اللاويين ، ثم العدد ، ثم التثنية . ومنها أيضاً سفر يشوع وعزرا ونحميا والمزامير وغيرها ، ومجموع هذه الأسفار (أي أسفار العهد القديم) - حسب نسخة الكاثوليك [2] ستة وأربعون سفراً، وحسب نسخة اليعقوبيين والسبتين والبروتستانت [3] تسعة وثلاثون سفراً .

الأسفار السبعة الموجودة في نسخة الكاثوليك والزائدة عن نسخة الكلدان والسبتيين وغيرهم هي: طوبيا ، ويهوديت ، الحكمة ، يشوع ، نبوءة باروك، المكابيين الأول ، المكابيين الثاني ، وهذه الأسفار السبعة يقول عنها

---

(١) مثل كتاب: في سبيل الحق .

(٢) وتسمى النسخة اليونانية .

(٣) تسمى العبرانية .

السبتيون واليعقوبيون والبروتستانت إنها أسفار محرفة مزورة مزيفة وساقطة غير معتبرة .

توجد ثلاث نسخ خطية للعهد القديم ، وهي أصول ، وهي على التوالي: العبرانية ، والسامرية ، واليونانية . وبين هذه النسخ الثلاث اختلافات عظيمة [1].

النسخة السامرية تتكون فقط من الأسفار الخمسة الأولى التي تنسب لموسى، وربما أضيف إليها سفرا يشوع والقضاة ، أما الأسفار الأخرى فإن السامريين لا يعترفون بها ، وإن الأسفار الخمسة الأولى لم يثبت عن موسى أنه كتبها كلها ، فقد جاء في خاتمة سفر التثنية ما نصه: (وهناك مات موسى ، عبدالرب في أرض مؤاب ، وكان ابن مئة وعشرين سنة حين مات) فلو كان موسى هو الذي كتب هذه الأسفار فهل يمكن للميت أن يتكلم بعد موته، ويقول: أنا متُّ في مكان كذا ، وكان عمري كذا سنة حين مت؟

وفوق ذلك ؛ فإننا عندما نقرأ في هذه الأسفار لا نجد فيها شيئاً يدلنا على أنها من تصنيف موسى ، لأننا نقرأ فيها قال الرب لموسى ، وقال موسى للرب ، وهكذا ، لو كان موسى هو كاتب هذه الأسفار لتكلم بصيغة المتكلم ولقال: قلت للرب وقال لي الرب .

وقد اعترف العلماء اللاهوتيون بذلك ، وصرحوا بأن الأسفار الخمسة ليست من تصنيف موسى كلها .

قال المطران أغناطيوس زيادة مطران بيروت في مقدمته التي وضعها للكتاب المقدس عند طبعه له: « ما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته كتب كل البانتاتيك منذ قصة الخلق إلى موته ، كما لا يكفي أن يقال: إن موسى قد أشرف على وضع النص الملهم الذي دونه كتبة عديدون في غضون أربعين سنة ، بل يجب القول مع لجنة الكتاب المقدس البابوية

---

(١) راجع إظهار الحق .

١٩٤٨ : إنه يوجد ازدياد تدريجي في الشرائع الموسوية سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية ، وتقدم يظهر أيضاً في الروايات التاريخية »[1].

وهكذا يتبين لنا بموجب قول المطران زيادة ، ولجنة الكتاب المقدس البابوية، ١٩٤٨ : أن الأسفار الخمسة ليست كلها من تصنيف موسى عليه السلام أو كتابته ، إنما هي خليط لأناس مجهولين أضافوا ما أضافوا حسب مناسبات العصور الدينية والاجتماعية .

إن التوراة الأصلية من الصغر بحيث كتبت على لوحي حجر صغيرين ، ففي سفر الخروج: ١٢/٢٤ ، قال الرب لموسى: (اصعد إليّ إلى الجبل وكن هناك ، فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم)؛ فعلم من هذا أن التوراة الأصلية كتبت على لوحين صغيرين من الحجر ، حتى إن موسى عليه السلام غضب فكسرهما ، وهما لا يحتملان أن تكتب فيهما الأسفار الخمسة ، بل ولا سفر واحد ، ثم إن التوراة الأصلية فقدت في حادثة نبوخذ نصر (٥٨٦ ق.م) . فعندما سار نبوخذ نصر إلى فلسطين ، دخل الهيكل وأخذ جميع مقتنياته ، حتى الأواني الذهبية والفضية التي كانت فيه ، إضافة إلى نسخة التوراة الموجودة ، فلما جاء الملك كورش ملك الفرس أمر بإرجاع الأربعين ألف يهودي الذين سباهم نبوخذ نصر عند دخوله فلسطين إلى وطنهم ، فقام كل من عزرا ونحميا بكتابة التوراة من ذاكرتيهما ، كما في الإصحاح الأول من سفر عزرا .

قال بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين ، ٧/ ١٨ : « فإنه يصير إبطال الوصية السابقة لأجل ضعفها وعدم نفعها ، إذا الناموس لم يكمل شيئاً » .

وقال أيضاً في الرسالة نفسها ، ٨/٧: « فإنه لو كان ذاك الأول بلا عيب لما طلب موضع للثاني ، فإذا قال جديداً ، أما الأول وأما ما عَتُقَ وشاخ فإنه قريب من الاضمحلال » .

---

(١) الكتاب المقدس ، المقدمة ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٨٦م .

وفي الرسالة نفسها ، ٩/١٠ قال: « ينزع الأول حتى يثبت الثاني » وهكذا صرح بولس بأن الشريعة الموسوية ضعيفة ومعيبة وغير نافعة ويجب إبطالها ، وأنها قريبة من الاضمحلال . وبهذا الكلام لا يبقى للعهد القديم أية أهمية ، بل ولا اعتماد عليه أبداً ، فهذا كلام بولس ؛ وكلامه حجة عندهم بلا ريب .

يقول المفسر هنري واسكات في تفسيره في المجلد الأول منه: « إن القديس اكستائن أشهر عالم لاهوتي في القرن الرابع الميلادي ، ورئيس مجمع كارتهيج المنعقد ٣٩٧ م قال: (إن اليهود حرفوا النسخة العبرانية سنة ١٣٠ حتى تصير النسخة اليونانية غير معتبرة ، وكذلك للاعتراض على الدين المسيحي) » .

ونقل الشيخ الإمام رحمة الله الهندي في كتابه المار الذكر عن الدكتور كني كات قوله: « إن نسخ العهد القديم الموجودة اليوم كتبت ما بين سنة ألف ، وألف وأربعمئة ، وقال: إن جميع النسخ التي كتبت في القرن السابع أو الثامن أعدمت بأمر محفل الشورى لليهود ، لأنها كانت تخالف مخالفة كثيرة للنسخ التي كانت معتمدة عندهم » [(١)] .

كلام لا يليق بالله عز وجل

ومما يدل على تحريف العهد القديم تلك النصوص الكثيرة التي لا تليق بالله عز وجل وإليك بعضها:

١ـ تكوين ٨/٣: وسمعا (آدم وحواء) صوت الرب الإله يمشي في الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة ، فنادى الرب الإله آدم، وقال له: يا آدم أين أنت ؟) .

فهذا الكلام يستلزم عدم إحاطة الله تعالى بكل شيء ، بحيث لو أن أحداً اختبأ من وجهه لما عرف مكانه ، فهل هذا الكلام يليق بالله عزَّ وجلَّ ؟ وهل يمكن أن يكون وحياً وإلهاماً من الله ؟؟

---

(١) إظهار الحق ج١ ، ص٤٥٩ .

٢ـ تكوين ٦/ ٥: (ورأى الرب أن الإنسان قد كثر في الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض ، وتأسف في قلبه) .

وهذا الكلام هو الآخر لا يليق بالله تعالى ، إذ يستلزم عدم معرفة الله تعالى للغيب ، إذ ما كان يعلم أن الإنسان سيكون شريراً ، ويستلزم كذلك نسبة الجهل إلى الله الذي حزن وتأسف أن فعل أمراً ثم ندم على فعله ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

٣ـ خروج ٢/ ٢٤: (فتنهد بنو إسرائيل من العبودية ، فصعد صراخهم إلى الله ، فسمع الله أنينهم ، فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب، فنظر الله إلى بني إسرائيل) .

٤ـ خروج ٣٢/ ١١: (فتضرع موسى أمام الرب إلهه وقال: لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويدٍ شديدة ؟ لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخُبْث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض ؟ ارجع عن حُمُو غضبك ، واندم على الشر بشعبك ، اذكر إبراهيم وإسحق ويعقوب عبيدك ، الذين حلفت لهم بنفسك ، وقلت لهم: أكثر نسلكم كنجوم السماء ، وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها ، فيملكونها إلى الأبد ، فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه) .

فهل يليق بالله تعالى أن ينسب الخبث والغدر إليه في قوله: (لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخبث . . .) ؟ وهل الله تعالى عاجز عنهم حتى أراد أن يخرجهم إلى الجبال ليفتك بهم هناك ؟ !

ثم إن موسى يشير على الله تعالى بأن يرجع عن حمو غضبه ، وأن يندم على الشر بشعبه ، فرأى صواب رأي موسى فرجع عن حمو غضبه ، وندم على الشر بشعبه ، بل إن موسى يُذكر الله تعالى بالوعد الذي وعد به إبراهيم وإسحق ويعقوب . فهل يمكن هذا ؟

٥ـ تكوين ٣٢/ ٢٣: (فبقي يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه ، فانخلع حُق فخذ يعقوب في مصارعته معه ، وقال: أطلقني ، لأنه قد طلع الفجر ، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني ، فقال له: ما اسمك ؟ قال يعقوب: فقال: لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب ، بل إسرائيل لإنك جاهدت مع الله، والناس وقدرت ، وسأل يعقوب ، وقال: أخبرني باسمك ، فقال لماذا تسأل عن اسمي ، وباركه هناك ، فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً: لأني نظرت الله وجهاً لوجه ، ونجيتُ نفسي) .

إن يعقوب هنا عندما هرب من وجه أخيه عيسو بقي وحده فتقول الفقرة: (وصارعه إنسان) من هو هذا الإنسان ؟ تكملة النص تبين لنا أنهُ الله ، والدليل على ذلك قوله لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل ، فغير اسمه . وقوله: (لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت) ؛ فمصارعته مع الله وعدم قدرة الله عليه هي تفسير قوله: (لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت) ، ثم قول يعقوب: لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي ، فلو لم يكن ذلك الإنسان هو الله فمتى وكيف إذاً نظر يعقوب الله وجهاً لوجه ؟

فإن قيل: لعل ذاك الإنسان يكون ملاكاً !! قلنا: هذا محال ، لأن يعقوب التقى الملائكة كما في سفر التكوين ، ٣٢/ ١ (فسمى ذلك المكان الذي رآهم فيه سماه (مَحنايم) لو كان ذاك الإنسان الذي صارعه يعقوب ملاكاً لدعا ذاك المكان مَحنايم .

من جهة أخرى ، جاء في سفر التكوين ، ٣٥/ ١: (قال الله ليعقوب: قمْ اصعد إلى بيت إيْل ، وأقم هناك ، واصنع هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك » فصرح الله ليعقوب أنه هو الذي ظهر له عندما هرب من وجه عيسو أخيه ، وعندما بقي وحده ، فلم يبق بعد ذلك أي مجال للادعاء بأن الذي ظهر ليعقوب وصارعه هو إنسان أو ملاك ، وهنا نتساءل: في أية ديانة من الديانات الوثنية جاء التصريح بأن

الإله صارع إنساناً عبداً « مخلوقاً » من مخلوقاته وعجز أن يصرعه ، حتى يأتي التصريح بمثل هذا الأمر في الأسفار التي يُقال عنها إنها من عند الله ، وإن الذي كتبها هو موسى نبي الله ؟ ما هذه المنزلة الوضيعة التي يُعطيها هذا الكتاب للرب جلّ وعلا ؟ الرب يُصارع عبداً من عباده ؟ وليس هذا فحسب، بل يعجز عن صرعه ؟؟!!

٦ـ سفر الملوك الأول ١٧/ ٢٠: في حادثة نزول إيلياء النبي عند الأرملة، فمات ابنها (فأخذه إيلياء وأصعده إلى العُلية ... ثم صرخ أيها الربُ إلهي ألإلى الأرملة التي أنا نازل عندها أيضاً ؟ قد أسأت بإماتتك ابنها) إن أي كتاب سماوي لا بد أن يتضمن الاحترام الكامل والتأدب التام مع الله جل وعلا ؛ فهل يتصور أن يتجرأ نبي من الأنبياء ، ويقول لله تعالى: (قد أسأت ...) ؟ وهل يمكن لكتاب من عند الله قد كتب بوحي وإلهام كما يدعون أن ترد فيه مثل هذه الإهانة ؟ ولمن ؟ لله تعالى ؟! هل هناك كتاب مقدس فيه إهانة وسباب وشتائم لله عز وجل؟!! فهل بقي الكتاب المقدس على قدسيته ؟؟

الطعن في أنبياء الله عليهم السلام:

ومن الأدلة على تحريف العهد القديم ، تلك النصوص التي تطعن في أنبياء الله ورسله الذين هم خيرته من خلقه ، ومن ذلك:

١ـ تكوين ٩/ ٢٠: (وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً وشرب من الخمر، فسكر وتعرّى داخل خبائه ...) .

٢ـ تكوين ٣٨/ ١٥ يبين: (زنى يهوذا بكنته تامار (زوجة ابنه) فولدت ولدين: فارص ، وزارح ، وهما من أجداد المسيح بالنسب) . انظر نسب المسيح في إنجيل متى الإصحاح الأول .

٣ـ خروج ٣٢/ ١: تبين لنا أن هارون صنع عجلاً لبني إسرائيل يعبدونه من دون الله .

٤ـ تكوين ١٩/ ٣٠: تبين لنا أن لوطاً (النبي لوط) شرب الخمر وزنى بابنتيه !!!

٥ـ صموئيل الثاني ١١/٥: تبين لنا أن داود عليه السلام زنى ببتشابع زوجة أوريا الحثي .

٦ـ صموئيل الثاني ١٣: تبين لنا أن أمنون بن داود زنى بتامار أخت أبي شالوم أخيه !!

بل ورد في أسفار العهد القديم أن رأوبين بن يعقوب زنى بزوجة أبيه ، وأن سليمان عبد الأصنام ، فإذا كان الأنبياء وهم خيرة خلق الله يفعلون هذه المنكرات ، فأحدهم يشرب الخمر ثم يكشف عن عورته ، والآخر يشرب الخمر ويزني بابنتيه ، وآخر يزني بكنته زوجة ابنه ، وآخر يزني بزوجة رجل من أصحابه ، وآخر يعبد الأصنام ، وآخر يزني بأخته ، وآخر يزني ابنه بزوجته ، وغير ذلك مما أشار إليه العهد القديم ، فقل لي بالله عليك ، ماذا بقي من عصمتهم ؟ وإذا اقترفوا هذه الفواحش والمنكرات فكيف يعتمد عليهم فيما يبلغونه عن الله جلَّ وعلا ؟ ثم هل يمكن لكتاب من عند الله أن يكون موسوعة في زنى المحارم ؟؟!!

الاختلاف والتناقض في العهد القديم

حوى العهد القديم كثيراً من الاختلاف والتناقض ، فمن ذلك:

١ـ الملوك الثاني ٨/٢٦: (وكان أخَزْيا ابن اثنتين وعشرين سنة حين مَلَكَ).

الأخبار الثاني ٢٢/٢: (وكان أخَزْيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك).

وهذا تناقض ظاهر ، الأول يقول: كان عمره اثنتين وعشرين سنة عندما تولى الملك ، بينما يقول الثاني: إن عمره كان اثنتين وأربعين سنة .

٢ـ الملوك الثاني ٢٤/٨: (وكان يهوياكين ابن ثماني عشرة سنة حين ملك، وملك ثلاثة أشهر) .

الأخبار الثاني ٣٦/٩: (وكان يهوياكين ابن ثماني سنين حين ملك ، وملك ثلاثة أشهر وعشرة أيام) .

وهذا تناقض واضح ؛ فالأول جعل عمره حين ملك ثماني عشرة سنة، والثاني جعل عمره ثماني سنوات ، والأول جعل مدة حكمه ثلاثة أشهر، والثاني جعلها ثلاثة أشهر وعشرة أيام ، فوضح التناقض بذلك .

٣ـ الملوك الأول ٤/ ٢٦: (وكان لسليمان أربعون ألف مذود ، واثنا عشر ألف فارس) .

الأخبار الثاني ٩/ ٢٥: (وكان لسليمان أربعة آلاف مذود ، واثنا عشر ألف فارس) .

وهذا تناقض ظاهر إذ الفرق بين الرقمين ستة وثلاثون ألفاً .

٤ـ الملوك الأول ٥/ ١٦: (عدد الوكلاء الذين وكلهم سليمان على العمل ثلاثة آلاف وثلاثمئة) .

الأخبار الثاني ٢/ ٢: (عدد الوكلاء الذين وكّلهم سليمان على العمل ثلاثة آلاف وستمئة) والفرق بين الرقمين ثلاثمئة .

٥ـ صموئيل الثاني ٢٤ /١: (وقال الرب لداود امض واحص بني إسرائيل).

الأخبار الأول ٢١/ ١: (يبين أن الشيطان هو الذي أغوى داود ليحصي عدد بني إسرائيل) . وهذا تناقض واضح وظاهر ومن أراد المزيد فعليه بكتاب إظهار الحق ، للشيخ الإمام رحمة الله الهندي فقد بين فيه الشيء الكثير ، بحيث بلغ عدد ما ذكره من الأغلاط والتحريفات والتناقضات المئات، وكلها مدعمة ومصدقة بأقوال وتصريحات مشاهير العلماء اللاهوتيين.

قلب حقائق التاريخ الثابتة المعروفة

ولم يقتصر ما في العهد القديم من أغلاط ومؤاخذات على التحريف وحده ، بل قلب الحقائق التاريخية الثابتة المعروفة ، ولو أن أحداً أمعن النظر في نصوص العهد القديم لرأى هذا التلاعب واضحاً ، وأذكر مثالين ليكون القارئ على بينة من ذلك:

١- (إن من الحقائق المُسلم بها في قصة ذبح إبراهيم عليه السلام لابنه، أن الذبيح هو إسماعيل ، ولكن اليهود والنصارى يقولون إنه إسحاق ، ويستدلون على ذلك بما ورد في سفر التكوين ٢/٢٢ قول الرب لإبراهيم: (خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق ...) يعني للذبح ، ولو دققنا في سفر التكوين وبالذات في الإصحاح ١٦ ، والإصحاح ٢١ ، والإصحاح ٢٢ ، لتبين لنا بوضوح أن الذبيح هو إسماعيل ، وأن اسم إسحق في العبارة: (خذ ابنك وحيدك إسحق ..) إنما هو مقحم في العبارة ، لأن التوراة تنص على أن إبراهيم عليه السلام كان عمره ستاً وثمانين سنة حين ولدَ له إسماعيل من هاجر ، وهذا ما نصت عليه الفقرة ١٦ ، الإصحاح ١٦ من سفر التكوين.

وولد إسحق من سارة عندما بلغ إبراهيم مئة سنة من العمر ، كما في سفر التكوين الإصحاح ٢١/ العدد ٥ ؛ أي إن إسماعيل كان في الرابعة عشرة من العمر حين ولد إسحق ، فقول الرب (خذ ابنك وحيدك ...) يراد به إسماعيل ، لأن إسحق لم يكن قد ولد بعد ؛ فإسماعيل بقي الابن الوحيد لإبراهيم على مدى أربع عشرة سنة ثم بعد ذلك ولد إسحق ، وإسحق ما كان في يوم من الأيام ابناً وحيداً لإبراهيم ، لوجود الابن البكر إسماعيل ، فلو كان الخطاب قد عنى إسحق ، فلا يكون إسحق حينئذ الابن الوحيد لإبراهيم ، لأن إبراهيم كما قلنا له ولد آخر هو البكر ، وهو إسماعيل .

وربما يقول قائل: إن المراد بالخطاب هو إسحق ، لأنه الابن الوحيد لإبراهيم من سارة .

والجواب عنه: إن النص لم يُخاطب إبراهيم على ابنه من سارة ، فلو قال له خذ ابنك وحيدك إسحق الذي لك من سارة ، ربما يكون مقبولاً نوعاً ما، أما والخطاب لم يحدد ، وإنما خاطب إبراهيم على ابنه الوحيد ، فلا يعتبر إسحق ابناً وحيداً بل الوحدانية كانت لإسماعيل فقط ، وعلى مدى أربع عشرة سنة كما تقدم بيانه .

فتبين بذلك أن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحق ، وأن اسم إسحق في

هذه العبارة مقحم ؛ وهذا من تحريفات اليهود والنصارى وقلبهم للحقائق ، حتى ينالوا شرف هذه المسألة ، باعتبار أن أباهم إسحق امتثل للذبح تنفيذاً لأمر الله ، في حين أن إسماعيل هو صاحب هذا الشرف العظيم .

٢- في سفر التكوين ٩/ ٢٠: (وابتدأ نوح يكون فلاحاً ، وغرس كرماً، وشرب الخمر ، فسكر وتعرّى ، داخل خبائه ، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه ، وأخبر أخويه ... فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل ابنه الصغير ، فقال: ملعون كنعان ، عبدالعبيد يكون لإخوته ، مبارك الرب إله سام ، وليكن كنعان عبداً لهم ، ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام ، وليكن كنعان عبداً لهم) .

نلاحظ في هذا النص يزعم أن حام بن نوح هو الذي رأى عورة أبيه بعدما شرب الخمر وتعرّى داخل خبائه ، ونلاحظ بعد ذلك قول نوح المزعوم؟ ملعون كنعان عبدالعبيد يكون ، وكرر هذه الكلمة ، علماً أن كنعان لم يَرَ عورة نوح كما يزعمون ، ولم يكن موجوداً في الحياة بعد عندما سكر نوح وانكشفت عورته، وإنما الذي رأى عورة نوح هو حام بن نوح كما يزعمون ، وليس كنعان حفيد نوح ، فلماذا يخصص كنعان باللعن وهو بريء ؟ ربما يقولون: لأنه ابن حام فهو يتحمل ذنب أبيه !! وقولهم هذا مردود ، لأن حام له أربعة أولاد ، هم على التوالي: كوش ، ومصرايم ، وفوط ، وكنعان ، وهذا مبين في الإصحاح العاشر من سفر التكوين ، أي في الصفحة التي تلي الصفحة التي ورد فيها عمل نوح وشربه للخمر ، فكنعان هو الابن الأصغر لحام ، فلماذا يُخصص باللعن دون إخوته الآخرين؟

السبب هو أن كنعان الذي ينحدر العرب من نسله ، أقحموا اسمه في العبارة وخصصوه باللعن وهو بريء من ذلك الفعل ، فأقحموا اسمه وألحقوه في تلك العبارة حتى يبقى الحقد على العرب والمسلمين ما بقي كتاب العهد القديم يُقرأ في الأرض .

إن حام هو الذي ارتكب ذلك الفعل بزعمهم ، وهو الذي كان يجب أن

يغضب عليه نوح ، ولكن اليهود حرفوا النص ، وأقحموا اسم كنعان وألحقوه بالنص، لأن كنعان أبو العرب ، فيبقى الحقد على العرب مدى الدهر ، وكرروا كلمة (عبدالعبيد يكون) ثلاث مرات ، وهذا عمل مقصود ، فانظر تحريفهم وتلاعبهم بكتابهم ، وطمسهم لهذه الحقائق .

الكتب المفقودة من العهد القديم

إن الكتب الموجودة اليوم من العهد القديم لا تشكل الأسفار كلها التي كتبت قبل المسيح عليه السلام ، إذ هناك كتب كثيرة مفقودة جاء التصريح بها ضمن أسفار العهد القديم الموجودة الآن ، وقد أشار إليها الشيخ الإمام رحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) المجلد الأول ، باب إثبات التحريف ، وقد أيّدَ كلامه باعترافات مشاهير العلماء اللاهوتيين ، وقد بلغ عدد هذه الكتب اثنين وعشرين كتاباً ، هذا بعضها:

١ـ سفر حروب الرب ، وقد جاء ذكره في سفر العدد ، إصحاح ٢١/عدد ١٤ .

٢ـ ثلاثة أسفار لسليمان هي:

أ- تاريخ المخلوقات .

ب - كتاب مزامير ، وفيه ألف وخمسة مزامير .

ج - كتاب أمثال ، وفيه ثلاثة آلاف مثل ، وقد جاء ذكرها في سفر الملوك الأول ٤/ ٣٢ ـ ٣٣ .

٣ـ سفر قوانين السلطنة لصموئيل ، جاء ذكره في سفر صموئيل الأول ١٠/ ٢٥ .

٤ـ تاريخ صموئيل ، وتاريخ ناثان النبي ، وتاريخ جد الرائي الغيب ؛ وقد جاء ذكرها في سفر الأخبار الأول ٢٩/ ٣٠ ، ونقل رحمة الله الهندي عن آدم كلارك قوله: (وهذه الكتب مفقودة) .

٥ـ كتاب شمعيا ، وكتاب عِدُّو ؛ وجاء ذكرهما في سفر الأخبار الثاني ١٢/ ١٥ .

٦ـ سفر العهد الذي كتبه موسى ؛ وجاء ذكره في سفر الخروج ٢٤/ ٧ .

٧ـ كتاب أعمال سليمان ؛ وجاء ذكره في سفر الملوك الأول ١١/ ٤١ .

ونقل الإمام رحمة الله الهندي في كتابه المتقدم ذكره عن المستر طامس أنكلس أنه قال: (اتفق العالم على أن الكتب المفقودة من الكتب المقدسة ليست بأقل من عشرين كتاباً) .

تنبيه مهم:

بينا في بداية هذا البحث أن التوراة الأصلية فقدت في حادثة بختنصر المعروف ، بنبوخذ نصر عام ٥٨٦ ق.م ، وبيّنا أن عزرا ونحميا قاما بكتابة التوراة مرة أخرى ، لكن هناك حدثاً مهماً هو دخول أنطيوكس مالك ملوك الإفرنج لأورشليم ، إذ أحرق هذا الملك جميع نسخ العهد القديم التي وقعت بيده ، وأعلن كذلك أن من تضبط بحوزته نسخة من نسخ العهد القديم أو يؤدي مراسم العبادة فإنه يقتل ، وكان تحقيق هذا الأمر يجري في كل شهر، وكان وقوع هذا الحادث قبل ميلاد المسيح عليه السلام بمئة وإحدى وستين سنة ، واستمر تطبيق هذا الأمر مدة ثلاث سنوات ونصف ، وهذا يفند قول من قال: إن النقول الصحيحة ظهرت بوساطة عزرا ، إذ لو صح ظهور النقول الصحيحة بوساطة عزرا فإن هذه النقول تكون قد تحطمت في هذه الحادثة ، وقد جاءت الإشارة إلى حادثة أنطيوكس هذا في الإصحاح الأول من سفر المكابيين الأول .

وأنقل الآن معلومات مهمة جاءت ضمن الكتاب المقدس في طبعته عام ١٩٨٦ م ، وقد أشرف على طباعته المطران اغناطيوس زيادة ، مطران بيروت، ولا أدري إن كانت هذه المعلومات من كلام المطران زيادة أم هي معلومات وتعليقات للمطبعة الكاثوليكية التي قامت بطباعة الكتاب ، أم هي لشخص آخر قام على طبع الكتاب المقدس قبل هذه الطبعات الأخيرة ،

فأبقوا كلامه وأغفلوا اسمه ، ولا يهمنا أياً كان كاتبها بقدر ما تهمنا المعلومات نفسها ، والمعلومات هذه تتعلق بأسفار العهد القديم ، وقد وضعها على شكل مقدمات للأسفار ، كل سفر له مقدمة تعرّف به . فعن سفر التثنية يقول في تقدمته له: (قد رأى مؤلفها كي يحفظ إيمان معاصريه ويحذرهم من تأثير الكنعانين المشؤوم أن يعتمد على تقاليد قديمة ، وعلى سلطة موسى ليعطي رسالته ، فوضع الكلام على لسان موسى لأنه امتداد لشريعته ، لكنه مطبق على الأيام الجديدة ، وذلك حسب عقلية العصر) .

وأما سفر يشوع فقد قال عنه في تقدمته له: (... لكن المؤلف المقدس نجهل اسمه وعصره) ، وفي تقدمته لسفر القضاة يشير ضمنياً إلى أن مؤلف هذا السفر أيضاً مجهول ، والشيء نفسه لمؤلف سفر الملوك فصرح بأنه مجهول ، ولم يكتف بذلك بل رد على من قال إن مؤلف سفر الملوك هو ارمياء ، فقال: إن هذا رأي صبياني ، وإنه من المحتمل أن يكون المؤلف أحد تلامذة أرمياء ، قلت: وهذا يؤكد أن مؤلف سفر الملوك أيضاً مجهول وإن قال: (يحتمل أن يكون المؤلف أحد تلاميذ أرمياء) فالاحتمال لا يرقى إلى مرتبة اليقين ، إنما هو ظن مجرد ، ومثله مؤلف سفر طوبيا ، فإنه هو الآخر لا يعرف ، ولا يعرف أيضاً متى وأين كتبه ، كما لا يعرف متى كتبت الأسفار التي تكلمنا عنها قبل سفر طوبيا ، ولا يعرف مكان كتابتها .

وفي تقدمته لسفر يهوديت يقول: هذا السفر حديث التاليف ، أما صفته التاريخية فإثباتها صعب جداً كان ما ورد فيه من الأخطاء التاريخية والوقائع البعيدة الاحتمال قد ضوعفت قصد الحؤول دون وقوع القارئ بهذا الخطأ...

ثم يقول: إن عمل يهوديت هذا لا ينسجم مع أخلاقنا المسيحية الرقيقة ، وقد ننفر منه على صواب ، لو رأينا فيه عملاً واقعياً ، وكذلك يقول عن سفر أيوب: إن كاتبه وزمان كتابته مجهولان ، وأما سفر الأمثال فقال عنه: إنه لا يسلم من العيب ، إذ لا يمكن أن يكون سليمان قد كتب السفر بكامله، وأما سفر الجامعة ، فقال عنه: إنه أشد أسفار الكتاب المقدس غموضاً ، وأجدرها في تضليل القارئ السطحي ، يبدأ الغموض بشخص

المؤلف نفسه الذي يدعي في الفصل الأول منه أنه ابن لداود وملك لأورشليم.

وقال: كان يجب أن لا تغش هذه التسمية الوهمية أحداً لأن المؤلف يتكنى في ذات الوقت باسم آخر ، اي (الجامعة) .

وقال: وفي نهاية السفر خلاصة كتبتها يد ثانية تضعه بين الحكماء ، الجزء الأكبر من هذا السفر يُشكل نوعاً من الفلسفة يُذهلنا ما نجد فيها من عدم تجانس وقلة سمو ، أقله في الظاهر ، ثم يتكلم عن محتواه فيقول: وتنتهي الحياة بالموت الذي لا ينيره قبس أمل بحياة أخرى ... هل يكون السفر مجرد عبارة متحسسة لمفكر متشائم ، هذا إن لم يكن كما اعتقده كثيرون خليطاً من تآليف مختلفة الأصل .

وأما نشيد الإنشاد فيقول عنه: إنه لا يعرف كاتبه ولا زمان كتابته ، أما سفر الحكمة فيقول عنه: إن هوية المؤلف مجهولة ، بل إن المؤلف انتحل شخص سليمان كما في فصل ٦ من السفر المذكور ، وأما سفر يشوع بن سيراخ فيقول عنه: إنه السفر الوحيد تقريباً الذي يمتاز بين أسفار العهد القديم بالارتقاء إلى مؤلف معين دون شك . قلت: لكن المطران أغناطيوس أو قائل هذا التعليق على أسفار العهد القديم نسي أن سفر يشوع بن سيراخ هذا هو احد الأسفار السبعة التي يقول عنها الأرثوذكس واليعقوبيون والسبتيون والبروتستانت إنها مزورة مزيفة .

أما سفر أشعياء فيقول عنه: إنه يتألف من تآليف عديدة ، حتى إن لجنة الكتاب المقدس البابوية ١٩٠٨ م قد اعتبرت أن البراهين القائلة بأن يُسند إلى أشعياء كل الكتاب الحامل اسمه غير كافية ، قلت: فانظر إلى قول لجنة الكتاب المقدس البابوية ماذا تستنج ؟ وكذلك مراثي أرمياء، يقول فيها: لقد أسندت الترجمة اليونانية القديمة هذا الكتاب إلى أرمياء، لكن هذا الإسناد لا يستطيع ان يُعرض بصورة جازمة ، فالمراثي في العبرية لا تحمل اسم أرمياء .

وأما سفر باروك فيقول عنه بعد كلام له:

يظهر أن سفر باروك ، ورسالة أرمياء، كأنهما من تأليف كتَّاب ملهمين لم يتركوا لنا أسماءهم ، وعن سفر أيوب قال: إن مؤلفه لم يترك لنا اسمه، وأما سفر المكابيين الأول وسفر المكابيين الثاني فلا يعرف مؤلفهما البتة .

وهكذا نرى أن أسفار العهد القديم لا يعرف مؤلفوها ولا زمان تأليفها ولا مكانه ، بل إن بعضها ملفق من عدة تآليف وبعضها الآخر يختلف أوله عن آخره ، وبعضها الآخر فيه أمور لا تنسجم مع الأخلاق كما في سفر يهوديت ، وبعضها الآخر يُضلل القارئ السطحي ، كما في سفر الجامعة ، وغير ذلك مما هو مبين أعلاه .

وكما رأيت ، فإن السفر الوحيد الذي يمكن أن يرقى إلى مؤلف معين هو سفر يشوع ، ومع ذلك فإن عدداً من الطوائف النصرانية تعتبره مزوراً مزيفاً مدسوساً استناداً إلى قرارات عدد من المجامع الكنسية التي حضرها أكابر العلماء اللاهوتيين ، فيقررون أن هذا السفر مدسوس ، فكيف يمكننا بعد ذلك أن نقول إن هذه الكتب إلهامية ، وإنها من عند الله ؟ فإذا كُنا لا نعرف شيئاً عن حياة مؤلفي هذه الكتب ، ولا نعرف من هم ، ولا متى كتبوا هذه الكتب ، ولا أين كتبوها ، سوى بعض الاحتمالات عن بعضهم؛ فكيف يُقال بعد ذلك إنها كتب إلهامية ، وإنها من عند الله ؟ !

إن أي كتاب كان ، إذا لم يعرف مؤلفه ولا زمان تأليفه ولا مكانه ، فإنه يفقد قيمته ، كما هو معلوم ، وبخاصة إذا قيل عنه إنه كتاب سماوي إلهامي يتخذ مرجعاً دينياً تشريعياً ، بل إن أعظم شيء في هذه النقول هو ما جاء في تقدمته لسفر التثنية ، كيف انتحل مؤلفه المجهول شخصية موسى فتكلم على لسانه ما تكلم ، والأغلبية الساحقة من النصارى لا يعرفون شيئاً عن هذه الأمور ، ولا يعرفون شيئاً عن حقيقة كتابهم المقدس !!!

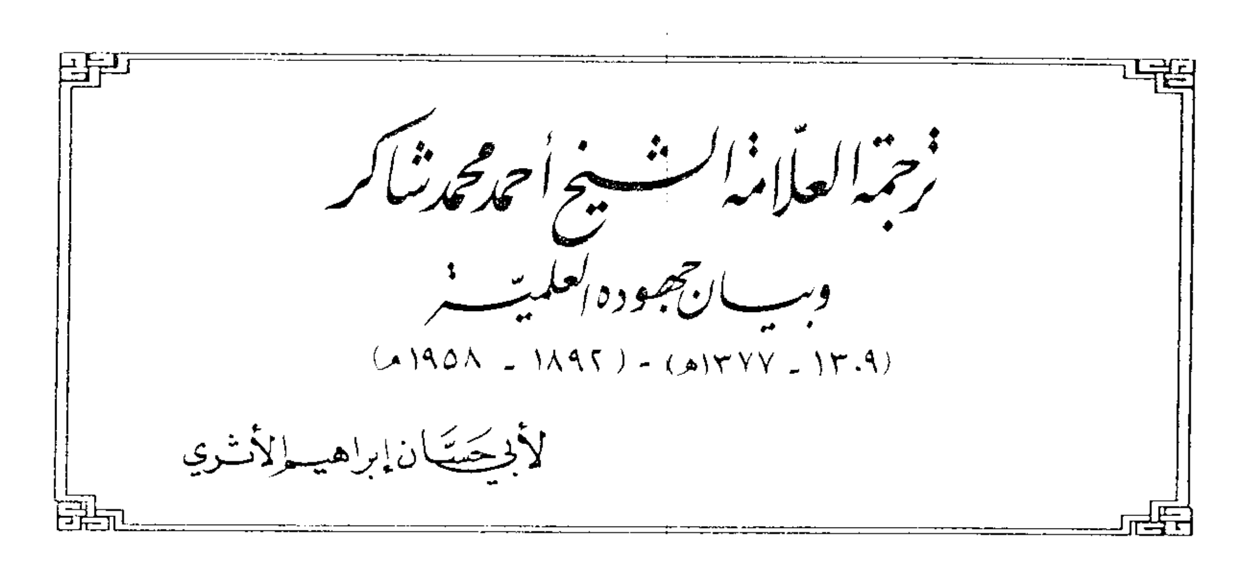
وحتى بالنسبة للأسفار الخمسة الأولى فإنه لم يثبت أن موسى كتبها كلها، كما تقدم بيانه ، ثم إن نسخ العهد القديم الأصلية ؛ وهي العبرانية ، والسامرية ، واليونانية ، هذه النسخ الثلاث يُفترض أن تكون متساوية ومتفقة فيما بينها ، ولكننا إذا قارنا هذه النسخ الثلاث مع بعضها لظهرت لنا

الاختلافات والتناقضات بينها ، وللاستزادة من المعلومات ، والاطلاع ، ننصح بمراجعة كتاب إظهار الحق الذي ألفه الشيخ الإمام رحمة الله الهندي ، فإنه أثبت الاختلاف والتحريف بين النسخ الثلاث ، ودعم قوله بتصريحات كبار المفسرين ؛ مثل هنري واسكات ، ونورتن ، وكني كات ، وغيرهم .

إن الاختلافات والتناقضات يمكن ملاحظتها أيضاً في نص النسخة الواحدة أيضاً ، وقد بينا شيئاً من ذلك فيما تقدم .

فهذا حال العهد القديم ، فهل يمكن بعد ذلك الاعتماد عليه ؟؟ إن ضياع بعض الكتب وفقدانها ، وبالذات كتاب العهد لموسى ، لأكبر دليل على أن هذه الكتب لم تحفظ ، وهذا رد على القس إسكندر جديد ، والقس الأستاذ الحداد ، وغيرهما ، في زعمهم أن الله تعالى صان هذه الكتب وحفظها من الضياع والعبث .





ترجمة العلّامة الشيخ أحمد محمد شاكر وبيان جهوده العلمية

(١٣٠٩ - ١٣٧٧هـ) - (١٨٩٢ - ١٩٥٨م)

لأبي حسان إبراهيم الأثري

من منّة الله وكرمه على عباده أن يستعملهم لطاعته ، ويجعلهم مناراً للهدى ، ويجعل منهم هداة ، كما قال رسول الله ﷺ: (إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله) رواه أحمد والحاكم وهو حديث صحيح ... وكلما زادت محبة الله للعبد ألقى على عاتقه أمانات الأمة ، وجعله من الهداة المهتدين، ويكون الأمر أعظم كلما كثرت الفتن ، وفترت الهمم ، وزهد الناس بالعلم، وظهر القصور في طلبه ، وفي مثل هذه الأزمات تحتاج الأمة إلى رجال أولي عزم وهمة فذة ، يعيدون الأمور إلى نصابها، ويقيمون ما أزور منها .

ولكن ينبغي أن تكون لهؤلاء مواصفات خاصة فيتحملون من الآلام والمصاعب ما لا يحمله غيرهم ، وأشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل . وكان لسقوط الدولة العثمانية ونهاية الخلافة الإسلامية في بداية هذا القرن الميلادي ، وسيطرة الدول الغربية على البلاد الإسلامية ، وظهور الأفكار العلمانية ، أثر واضح في تقهقر الأمة وابتعادها عن دينها ، وإن كنا نرى أن سقوط الدولة الإسلامية إنما هو القشة التي قصمت ظهر البعير ، وأنه النتيجة الحتمية وسنة الله الكونية ، فالأمة ضعفت علمياً واجتماعياً ، وكثر فيها الجهل والظلم ، وابتعدت عن أنوار دينها ، فكان لا بد من التغير

والاستبدال ؛ ولكن فضل الله عظيم ، ولولا تقييضه سبحانه للأمة من يعيدها من جديد ، ويردها إليه رداً جميلاً حسناً . لما قام لها قائم .

وأبناء هذا الجيل نشأوا في ظل أجواء خير من التي غبرت ، ومن العقوق أن ينسى أبناء هذه الأمة الرجال الذين عبروا بنا خضم تلك الأمواج العاتية ، وربما يحس المرء منا أحياناً بحلقة مفقودة بينه وبين الرعيل السابق ويتساءل عن الجهود التي نقلت الأمة من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام ، فكانت هذه العجالة ، وسطرتُ هذه المقالة ترجمة لأحد الأعلام في هذا العصر ، وهو الشيخ أحمد محمد شاكر ، مبيناً جهوده العلمية في عصرنا هذا .

اسمه ونسبه:

هو الشيخ أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبدالقادر من آل أبي علياء ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، لقبه أبوه: « أحمد شمس الأئمة أبو الأشبال »[1].

ولادته وأسرته:

ولد الشيخ يوم الجمعة ٢٩ من جمادى الآخرة عام ١٣٠٩ هـ وهذا يوافق عام ١٨٩٢ م في القاهرة .

ووالد الشيخ محمد شاكر كان من قضاة مصر ، ولد بجرجا في صعيد مصر ، تعلم بالأزهر وعيّن قاضي قضاة السودان مدة أربعة أعوام ، ثم شيخاً لعلماء الإسكندرية ، ثم وكيلاً للأزهر ، وكان من أعضاء هيئة كبار العلماء ، وله مؤلفات ومقالات في السياسة . وبعض مؤلفاته مطبوعة . ألف الشيخ أحمد رسالة في حياة والده مترجماً لوالده ، ورسالته بعنوان «محمد شاكر علم من أعلام العصر » توفي عام ١٣٥٨هـ الموافق ١٩٣٩م .

أما جده لأمه فهو الشيخ هارون بن عبدالرازق بن حسن بن أبي زيد ،

---

(١) قال خير الدين الزركلي في الأعلام: ٣٦٨/١٣: إنه من آل علياء ولقبه بشمس الدين، والصحيح ما أثبتناه . إلا أن الزركلي في ترجمة والده أثبته من آل علياء .

تعلم بالأزهر ، وكان شيخ رواة الصعايدة في الأزهر ، وكان بارعاً بالعربية، وله مصنفات مطبوعة بمصر ، توفي سنة ١٣٣٦هـ الموافق ١٩١٨ م.

حياته :

سبق أن ذكرنا أن والد الشيخ عين بمنصب قاضي القضاة في السودان سنة ١٣١٧هـ أي عام ١٩٠٠م ، وذلك بعد أن اخمد الإنجليز ثورة المهدي في السودان ، وألحق الشيخ ابنه أحمد بمدرسة (كلية جوردون) ، وبقي فيها حتى عودته إلى الإسكندرية عام ١٣٢١هـ الموافق ١٩٠٤م حيث عين والده بمنصب مشيخة علماء الإسكندرية . ودرس الشيخ في معهد الاسكندرية.

وكان توجه الشيخ في مقتبل عمره إلى الأدب واللغة والشعر ، وهذهِ هي عادة شباب الجيل آنذاك ، وكان لوجود عبدالسلام الفقي ، أحد أدباء مصر، أثر واضح في توجه الشيخ نحو اللغة والأدب ، إلا أن بروز علي شقيق الشيخ في مجال الأدب كان أظهر فقد انصرف الشيخ أبو الأشبال إلى الحديث، ففي عام ١٩٠٩م توجه الشيخ إلى علم الحديث قراءة ودراسة على مشايخ عدة إلى أن لاقى الله سبحانه ، إلا أن توجهه نحو الحديث لم يصرفه عن الأدب ، وهذا واضح في تحقيقاته لجمع من الكتب في مضمار اللغة كما سيمر بنا .

قرأ الشيخ على أبيه في الإسكندرية تفسير البغوي ، وتفسير النسفي ، وصحيح مسلم ، وسنن الترمذي والشمائل المحمدية للترمذي ، وجزءاً من صحيح البخاري . وقرأ عليه جمع الجوامع في أصول الفقه ، وشرح الأسنوي على المنهاج ، وكذا قرأ كتاب « الهداية » في فقه الحنفية ، إلا أن والد الشيخ كان حرّ التفكير مجانباً للتعصب المذهبي ، وعنه ورث الشيخ ذلك كما سنبينه .

ومن الذين درس عليهم الشيخ أحمد شاكر ، الشيخ محمود أبو دقيقة وخاصة في الفقه وأصوله وكان له على الشيخ أثر طيب .

رجع الشيخ محمد شاكر ، والد الشيخ أبو الأشبال ، إلى القاهرة وعين

وكيلاً لمشيخة الجامع الأزهر عام ١٣٢٧ هـ الموافق سنة ١٩٠٩ م فالتحق الشيخ أبو الأشبال وشقيقه الشيخ علي بالأزهر ، فاتصل بعلماء الأزهر من أهل مصر ، ومن الوافدين إلى الأزهر من بقية البلاد ؛ وكان الأزهر آنذاك محط أنظار أهل العلم .

والتقى بالشيخ أحمد بن الشمس الشنقيطي فأجازه بجميع علمه . وأخذ عن الشيخ عبدالله بن إدريس السنوسي (عالم المغرب ومحدثها) جل صحيح البخاري وأجازه برواية البخاري وبقية الكتب الستة .

والتقى بالشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي عندما زار مصر ولزمه ، وأخذ منه توجهه السلفي ونبذ التعصب ، وعلق الشيخ على رسالة القاسمي القيمة « المسح على الجوربين » .

ولقي بالقاهرة الشيخ طاهر الجزائري عالم الشام الرحالة . والتقى بالشيخ الإمام محمد رشيد رضا . وفي عام ١٩١٧ م حاز الشيخ أحمد محمد شاكر أبو الأشبال الشهادة العالمية ، وعين مدرساً في مدرسة (ماهر) ثم عين موظفاً قضائياً ، وظل في القضاء حتى عام ١٩٥١ م ، حيث أحيل على المعاش .

توفي الشيخ عام ١٣٧٧ هـ في العشرين من ذي القعدة الموافق ١٤ يونية سنة ١٩٥٨ م ، وفي وفاته كتب شقيقه الأستاذ محمود بن محمد شاكر كلمة قيمة ، وكانت حياته حافلة بالعلم والعمل للذود عن هذا الدين . ألف خلالها وحقق والتقى بأناس كثر كان للقائه بهم أكبر الأثر في حثهم نحو العقيدة السليمة وعلم الأثر . وكانت له علاقة حميمة بالشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله ، والشيخ محب الدين الخطيب ، ومع ابن خاله المحقق الهمام عبدالسلام هارون وغيرهم، وكان له أكبر الأثر في أخيه الأصغر محمود شاكر .

ثناء أهل العلم على الشيخ:

كان الشيخ أحمد محمد شاكر أحد العلماء الأفذاذ في بداية هذا القرن ، وما من محدث جاء بعده إلا وأثنى عليه ؛ كالعلامة الألباني ، وعلماء الهند، والشيخ الإمام عبدالعزيز بن باز ، والشيخ الهمام ابن عثيمين ، والشيخ محمد حامد الفقي ؛ وهم مجمعون على فضله في علم الحديث ، وأصول الفقه ، ونبذ التعصب . وكما أثنى عليه علماء الشريعة أثنى عليه علماء اللغة وأدباؤها . ومعاهد المخطوطات العربية والإسلامية تعرف للشيخ فضله في نشر المخطوطات النادرة ، وقدرته الفائقة على التحقيق ، ولا ينكر ذلك إلا من أعمى الله بصيرته .

جهود الشيخ العلمية

أولاً: جهود الشيخ في علم الحديث ومصطلحه

يُعدُّ الشيخ أبو الأشبال أحد مجددي هذا القرن في علم المصطلح ، وله نفس نقدي اجتهادي [1] وله كتابات تشعر بذلك نعد منها:

١ـ ألفية السيوطي في علم الحديث: السيوطي (٩١١ هـ) ، طبعت عدة مرات ، أقدمها بمطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٣٤ م .

٢ـ ألفية العراقي في مصطلح الحديث: العراقي (٨٠٦ هـ) ، طبعت عدة مرات ، أولها طبعة دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٢ م ـ ١٣٧٢ هـ .

٣ـ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: للحافظ ابن كثير (٧٧٤هـ)، صححه وعلق عليه . طبع عدة مرات ، وأول طبعة صدرت عن مكتبة محمد علي صبيح ، القاهرة ، ١٩٥١ م . وفي هذا الكتاب تتجلى قدرة الشيخ على نقد الآراء والترجيح بينها .

---

(١) وقد أشرنا إلى ذلك في مقالتنا « علم الحديث بين الاجتهاد والتقليد » .

٤- سنن الترمذي: الترمذي (٢٧٩ هـ) ، طبع منه جزءان فقط ولتعليقاته وشروحاته قيمة علمية قوية . وللشيخ مقدرة طيبة في المقارنة بين المخطوطات واستخراج النص . أكمل الكتاب الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي، وطبع عدة مرّات ، وصدرت الطبعة الأولى عن مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٧م .

٥- شرح « نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر »: ابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) ، طبع بدار المعارف ، القاهرة .

٦- مسند الإمام أحمد: أحمد بن حنبل (٢٤١ هـ) ، نشر منه خمسة عشر جزءاً في دار المعارف القاهرة (١٣٦٥ هـ - ١٣٧٨هـ) ، (١٩٤٦م - ١٩٥٧ م) وللشيخ اهتمام بالمسند منذ أن كان في السابعة عشرة من عمره ، فقام بدراسته وتصحيح مخطوطاته وترقيمه . وهو يعد أجل أعماله في الحديث وأوسعها ملأ حاشيته تخريجاً وفوائد وبحوثاً فقهية.

٧- تفسير الطبري: لابن جرير (٣١٠) ، وأدرجناه في الحديث ، لأنه قام بتخريج تسعة أجزاء منه ، وعلق على أربعة أجزاء أخرى ، ولكنه وافته المنية ، وكان هذا العمل بالمشاركة مع أخيه الصغير محمود محمد شاكر. دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٦م - ١٩٥٨ م .

٨- صحيح ابن حبان بترتيب الفاسي (٧٣٩ هـ): وصدر في دار المعارف بالقاهرة الجزء الأول فقط .

٩- مختصر سنن أبي داود: المختصر للمنذري ، ومعه معالم السنن للخطابي، مع تهذيب الإمام ابن قيم الجوزية (٧٥١ هـ) . تحقيق بالاشتراك مع الشيخ محمد حامد الفقي ، مطبعة أنصار السنة المحمدية ، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .

ثانياً: جهود الشيخ في الفقه وأصوله:

الشيخ أبو الأشبال من العلماء الذين أسهموا بشكل فعال في نشر علم الكتاب والسنة ، ونبذ التعصب المذهبي ، وقدرته الأصولية والفقهية تنم عن معرفته ودرايته بهذا العلم ، وسنعرض لأهم جهوده في مجال الفقه وأصوله.

١- الإحكام في أصول الأحكام: لابن حزم الظاهري (٤٥٦ هـ) ، طبع مرات عدّة ، أولاها في القاهرة ، بمطبعة السعادة ١٣٤٥ هـ - ١٣٤٨هـ.

٢- الرسالة للشافعي (٢٠٤ هـ): طبع مرات أولاها في مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٤٠ م . ويعد عمله هذا من أجل أعماله العلمية وذلك لأمرين:

أولهما: قيمة الكتاب واعتماده على أصل نفيس كتب في حياة الإمام الشافعي .

وثانيهما: قدرة الشيخ ومعرفته للأصول ، وسعة علمه ، وحرية فكره، ونبذه للتعصب .

٣- قواعد الأصول ومعاقد الفصول: وهو مختصر تحقيق الأمل في علمي الأصول والجدل ، لصفي الدين أبي الفضائل عبدالمؤمن البغدادي الحنبلي (٧٣٩ هـ) . طبع في دار المعارف ، القاهرة .

٤- العمدة في الأحكام ، لعبد الغني الجماعيلي المقدسي (٦٠٠هـ) ، طبع بدار المعارف ، القاهرة ١٣٧٢ هـ .

٥- الروض المربع بشرح زاد المستقنع: منصور بن يونس بن صلاح الدين (١٠٥١هـ) ، طبع بدار المعارف ، القاهرة .

٦- الروضة الندية شرح الدرر البهيّة: صديق حسن خان (١٣٠٧هـ) ، مكتبة التراث ، القاهرة .

٧- الخراج: ليحيى بن آدم القرشي الأموي (٢٠٣ هـ) ، صححه وفهرسه وله عليه شروحات ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٧هـ .

٨- مراجعة وتقديم لكتاب المسح على الجوربين للقاسمي (١٣٣٢هـ) المكتب

الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩م .

٩- فتوى في إبطال وقف الجنف والاثم: للشيخ الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب (١٢٠٦هـ) طبع في دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ ، ١٩٥٣ م .

١٠- مذكرة في قضية المحرومين وإبطال شروط الواقفين: وهذا من تأليفه ، طبع مع الكتاب السابق .

١١- نظام الطلاق في الإسلام: وهو من تآليفه البديعة ، وفيه أظهر الشيخ قدرته في الأصول واجتهاده الفقهي الرصين ، وكان لظهوره في ذاك الوقت ونصرته لآراء ابن تيمية وابن القيم أثر فاعل في المكتبة الإسلامية، في زمان ورث التعصب والجهل أهله . طبع في مطبعة النهضة ، القاهرة، ١٣٥٤ هـ .

١٢- كلمة الفصل في قتل مدمني الخمر: وهو بحث فقهي حر في هذه المسألة ، طبع في دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٧٠هـ .

١٣- المحلى ، لابن حزم الظاهري (٤٥٦هـ): تحقيق وتعليق على الأجزاء الستة الأولى ، المطبعة المنيرية ، ١٩٢٩م .

ثالثاً: جهوده في اللغة والأدب:

كان اهتمام الشيخ العلامة باللغة واسعاً ، وقد أسهم في طبع وتحقيق عدد من أمهات كتب اللغة منها:

١- إصلاح المنطق لابن السكيت (٢٤٤هـ): حققه بالاشتراك مع عبدالسلام هارون ، طبع في دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٩ م .

٢- الأصمعيات للأصمعي: حققه بالاشتراك مع عبدالسلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

٣- الشعر والشعراء لابن قتية (٢٧٦ هـ) .

٤- الكامل في الأدب: للمبرد (٢٨٥هـ) ، الجزءان الثاني والثالث فقط .

نشرته مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .

٥- لباب الآداب: لأسامة بن منقذ ، مكتبة سركيس ، القاهرة ، ١٩٥٣م .

٦- المفضليات للضبي: تحقيق بالاشتراك مع عبدالسلام هارون . نشرته دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٢ م .

٧- الشرع واللغة: وهذا من تآليفه الرائعة ، على صغره ، هاجم فيه دعاة العامية ، وبين فيه أن المحافظة على اللغة مسؤولية إسلامية دينية . نشرته مطبعة المعارف ومكتبتها ، القاهرة ، ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤ م.

٨- أوائل الشهور العربية: نشره مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٣٩م ، القاهرة.

رابعاً: جهوده في العقيدة:

أسهم الشيخ في إحياء العقيدة الصحيحة وكتبها ، ومن جهوده في هذا العلم .

١- تصحيح وتحقيق كتاب التوحيد: للشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب (١٢٠٦ هـ) . نشرته دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٦م .

٢- الأصول الثلاثة: للشيخ محمد بن عبدالوهاب (١٢٠٦هـ) ، بالاشتراك مع أخيه علي ، دار المعارف ، القاهرة .

٣- شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز الحنفي (٧٩٢ هـ) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .

٤- الرسالة التدمرية: لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨ هـ) .

٥- الفتوى الحموية الكبرى: لابن تيمية، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ.

خامساً: جهوده في التفسير والقراءات:

١- تفسير الجلالين: بالاشتراك مع أخيه علي ، دار المعارف ، القاهرة .

٢- عمدة التفسير اختصار تفسير ابن كثير عن الحافظ ابن كثير (٧٧٤ هـ) ، صدر منه خمسة أجزاء فقط عن دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٧٧ هـ ،

١٩٥٦ـ ١٩٥٨ م .

٣ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين: لابن الجزري (٨٣٣ هـ) ، صدر عن مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٩٣١ م .

وقد أشرنا إلى جهوده في تفسير ابن جرير الطبري .

سادساً: جهوده في التراجم والسير:

١ـ ترجمة الإمام أحمد بن حنبل: للذهبي (٧٤٨ هـ) ، استهلها في تاريخ الإسلام للذهبي ، وطبعت مع مسند الإمام أحمد في الجزء الأول.

٢ـ جوامع السيرة: لابن حزم ، تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد ، راجعه الشيخ أبو الأشبال ، باكستان ، إدارة إحياء السنة .

٣ـ محمد شاكر من أعلام العصر: وهي رسالة في ترجمة والده ، صدرت عن دار المعارف ، ١٩٥٣م .

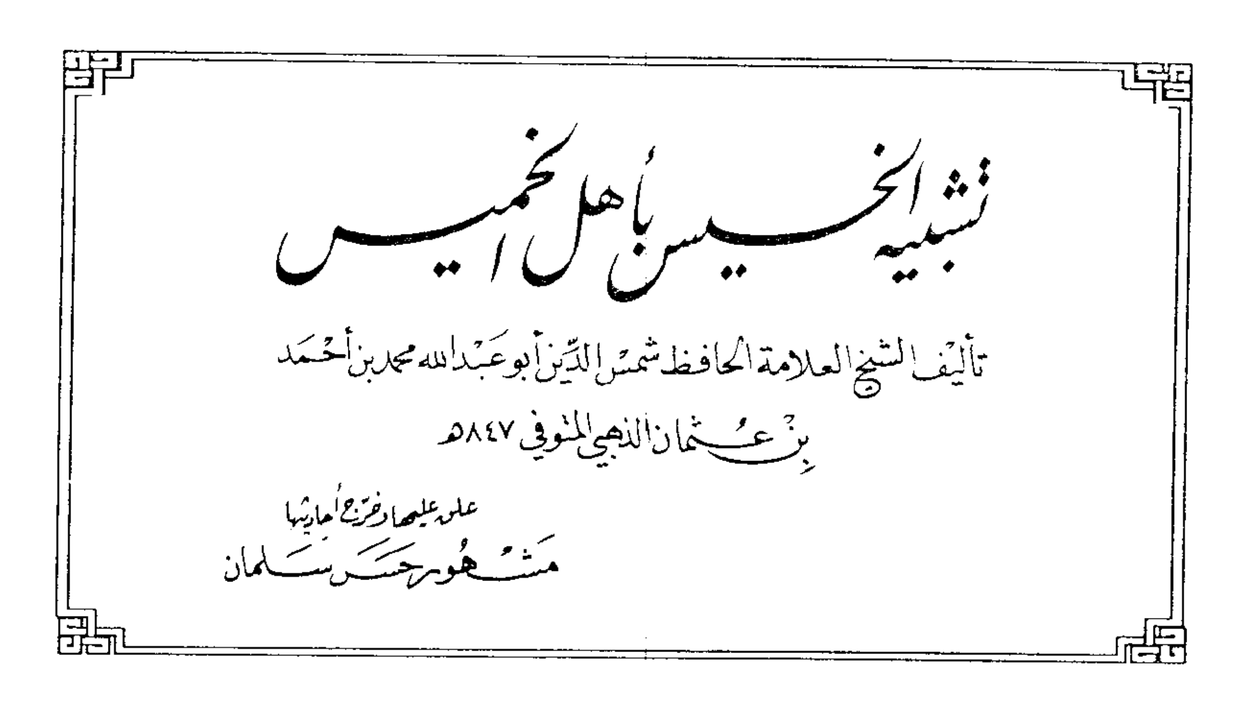
سابعاً: موضوعات متفرقة:

١ـ تحقيق جماع العلم: للشافعي (٢٠٤هـ) ، صدر عن مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٤٠م .

٢ـ بيني وبين الشيخ حامد الفقي: من تاليفه ، صدر عن دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، وهو دفاع عن شيخ الإسلام ابن تيمية .

٣ـ خصائص مسند الإمام أحمد: لأبي يوسف (المديني ٥٨١ هـ) ، طبع مع الجزء الأول في مسند أحمد .

٤ـ المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد: لابن الجزري (٨٣٣هـ) ، طبع مع الجزء الأول من مسند أحمد .



إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد :

فهذه رسالة ماتعة للحافظ الإمام الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ ، حذر فيها من التشبه بالنصارى ، ولا سيما في أعيادهم . وذلك لما رأى عوامَّ المسلمين يضارعون الكافرين ويتبعون سننهم فيها ، فكتب هذه الرسالة محذِّراً إياهم مما هم فيه ، مبيّناً لهم واجبهم الإيجابي، ولا سيما الآباء والمربين منهم.

واعلم ـ أخي القارئ ـ أن الأعياد « من الشرائع والعبادات ، وهي توقيفية » ، فلا يجوز لأحد من الناس أن يضع للأمة عيداً مهما كانت مناسبته ، فإنّ هذا من التشريع بغير ما شرعه الله ، مثله مثل إلغاء عيد من الأعياد التي شرعها الله عز وجل ، ولذلك منع رسول الله ﷺ أهل المدينة من إحياء بعض أعيادهم ، وأيامهم القديمة .

أخرج أبو داود في « سننه » (١١٣٤) وغيره بسند صحيح على شرط مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ، ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال: ما هذان اليومان ؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية . فقال رسول الله ﷺ: (إن الله قد أبدلكم خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر) .

وكان عمر بن الخطاب يقول - فيما أخرج البيهقي في « الكبرى » (٩/ ٢٣٤) - « اجتنبوا أعداء الله في أعيادهم » .

ويدخل في الأعياد كل مناسبة تأخذ اهتماماً من المسلمين في زمن دوري، كأن يكون كل شهر أو كل سنة ، أو كل أسبوع ، أو غير ذلك ؛ بحيث تكون هذه المناسبة تلتزم بها الأمة في زمن معين ، وعلى هيئة معينة ، فإنها تكون عيداً ، ومن ذلك: الأعياد الوطنية ، وأعياد الفصول ، وأعياد الانتصارات والفتوحات ، وأعياد العروش ، وأعياد رأس السنة [1] .

ومن بين ذلك الأعياد الخاصة بالنصارى . وهو الموضوع الذي عالجه المصنّف في رسالته هذه .

وصف النسختين المعتمدتين في التحقيق

اعتمدتُ في تحقيق هذه الرسالة على نسختين خطيتين:

الأولى: من محفوظات المكتبة الظاهرية . وهي في مجموع رقم ٤٦٦٩، وكتب هذا المجموع سنة (٨٧٨ هـ) ، ويحتوي على الرسائل التالية:

- التشبيه الخسيس بأهل الخميس / (رسالتنا هذه)
- الكبائر / للمصنف
- رسالة للسخاوي في حديث « لحوم البقر داء وفي سمنها ولبنها دواء».

(١) انظر رسالة « من تشبه بقوم فهو منهم » (٤٦ - ٤٨) ورسالة « لا تشاركوا النصارى في أعيادهم » للشيخ ناصر الغامدي ، وكتاب شيخ الإسلام النافع « اقتضاء الصراط المستقيم » ففيه تقعيد وتأصيل لبدعة الأعياد . و « الإيضاح والتبيين » للشيخ حمود التويجري - رحمه الله تعالى - .

ـ رسالة لتقي الدين السبكي بعنوان « النّور في الدّور » .

وخط هذا المجموع نَسْخ مقروء ، وفي كل صفحة (١٩) سطراً .

وأطلقت على هذه النسخة: نسخة (أ) .

الثانية: من مخطوطات دار الكتب المصرية، وهي في خمس ورقات ، ومنسوخة في نحو القرن العاشر ، وهي في مجموع فيه نيف وثلاثون رسالة، ورسالتنا هذه في أوّله ، وفي هذه النسخة تصحيف شنيع في بعض المواطن .

واطلقت على هذه النسخة: نسخة (ب) .

وقد طبع أخونا الفاضل علي حسن عبدالحميد هذه الرسالة معتمداً على النسخة الثانية فقط ، ولما علمتُ بعمله أرسلتُ له النسخة الأولى ، وهي أضبط وأحسن من الثانية ؛ قليلة التصحيف ، وفيها زيادة على الثانية كلمات أحياناً ، وجملاً أحياناً أخرى ، ولكنه لم يتيسّر له الاستفادة منها ، فذكر في (ص١٢ ـ الهامش ٢) ما نصُّه:

« ثم وقفتُ ـ بعد الفراغ من تحقيق الرسالة وتنضيدها وتهيئتها للطبع ـ على نسخة أخرى منها من مخطوطات ظاهرية دمشق ، وبينهما فروق عدة ، وسأقابلها عليها ـ إن شاء الله ـ في الطبعة الثانية بحول الله وطوله » انتهى .

وكان ذلك قبل نحو ست سنوات ، إذ طبعت الرسالة عن دار عمار سنة ١٤٠٨هـ ، ونفدت ، فلم يقف عليها كثير من طلبة العلم من جهة ، ومن وقف عليها وتأمّلها وجد أنَّ خللاً وقع في نصّها . ولذا شرح الله صدري لتحقيق هذه الرسالة ، والله الموفّق والهادي .

نسبة الرسالة لمؤلفها وتحقيق اسمها

نسب هذه الرسالة للذهبي إسماعيل باشا البغدادي في « إيضاح المكنون » (١/ ٢٨٩) « و« هدية العارفين » (٢/ ١٥٤) ، وعنه بشار عواد في كتابه «الذهبي ومنهجه في كتابة تاريخ الإسلام » (١٥٢) .

وهي رسالة صغيرة لم يعتن بها مترجمو الذهبي ، ولذا لم يذكروها في (ثبت) مؤلفاته ، والرسالة للذهبي على وجه اليقين ، فاسمه على طرتها في النسختين الخطيتين المعتمدتين في التحقيق ، ونَفَسه فيها ظاهر جليٌ.

وسمّاها البغدادي - وتبعه الدكتور بشار -: « تشبيه الخسيس بأهل الخميس » ، وهي كذلك في النسختين الخطيتين .

عملي في التحقيق

قمت بالمقابلة بين النسختين ، وأثبت الفروق في الهامش ، وحاولت استخلاص الصواب في المتن ، واجتهدت في إثباته تاماً كاملاً من النسختين معاً، وشرحت الألفاظ الغريبة ، وذكرت تعليقات لبعض العلماء في المسألة نفسها ، وخرجتُ الأحاديث والآثار . فعزوتها لمظانها من دواوين السنة ، وحكمتُ عليها ، وفقاً للقواعد المقررة في علم المصطلح .

وأخيراً . . . الله تعالى أسأل ، وبأسمائه وصفاته أتوسل ، أن يرزقنا العلم النافع ، والعمل الصالح ، وأن يرزقنا فهماً في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تشبيه الخسيس بأهل الخميس

تأليف

الشيخ الإمام العلامة الحافظ شمس الدين أبو عبدالله

محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

(ت ٧٤٨ هـ)

[بسم الله الرحمن الرحيم]

الحمدلله الذي مَنَّ علينا بالإسلام ، وبصَّرَنا من الغي [١] ، وهدانا من الضلال ، ووفَّقنا لاتِّباع الملة الحنيفيّة .

وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث رحمةً للعالمين ، وإماماً للمتقين ، وشافعاً [٢] للمذنبين ، ومحذِّراً من التشبه باليهود والنصارى والصَّابئين [٣] ، وداعياً إلى الله على بصيرة ، بأوضح تبيين .

وعلى آله وصحبه أجمعين .

من الأسف على العوام [٤] الجاهلين اضمحلالُ كثيرٍ مما [٥] كان عليه السَّلفُ من الصَّالحين ، مِنْ تَمَسُّكهم بالصراط المستقيم ، ومجانبتهم للبدع ، وشعارِ أهل الجحيم ، وقيام جَهَلة الخَلفِ بموافقة كلِّ ضالٍّ أثيم .

---

(١) في نسخة (ب): « العمى » .

(٢) اي شفيعاً لهم . كما جاءت بذلك الأحاديث المستفيضة الشهيرة .

(٣) هم قوم يعبدون الملائكة والنجوم . انظر: « تفسير ابن كثير »: ١/ ١٠٤ .

(٤) في نسخة (ب): « الأعوام » !!

(٥) في نسخة (ب): « اضمحلالاً كثيراً ، فيما ... » .

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، إذ وقع ما هَدَّدَنا بوجوده [١] الرسولُ الكريم ، حيث يقولُ: « لتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كان قبلكم حذو القُذَّة بالقُذَّةِ ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ لدَخلتمموه » ، قيل: يا رسول الله ! اليهود والنصارى ؟ !قال: [« فمن » ؟!][٢] أي فمنْ أعْني غيرهم !

وقال النبي ﷺ: (مَن تَشَبَّهَ بقوم فهوَ منهم)[٣] . [قلت: رواه أبو داود من حديث ابن عمر][٤].

وقال النبي ﷺ: (اليهود مغضوبٌ عليهم ، والنَّصارى ضالون) [٥].

وقد أوجب [الله][٦] عليك يا هذا [المسلم] [٧] - أن تدعُوَ الله

---

(١) كذا في نسخة (ب) ، وفي نسخة (أ): « بجودة » وفي الهامش: « لعله بوجوده » .

(٢) ما بين المعقوفتين سقط في نسخة (أ) ؛ والحديث اخرجه البخاري في « صحيحه »: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب قول النبي ﷺ: (لتتبعن سنن من كان قبلكم): ٣٠٠/١٣ ، ومسلم في « صحيحه »: كتاب العلم . باب اتباع سنن اليهود والنصارى: ٢٠٥٤/٤ ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣) اخرجه احمد في « المسند »: ٢/ ٥٠ ، ٩٢ ، وابو داود في « السنن »: كتاب اللباس: باب في لبس الشهرة: ٤٤/٤ ، رقم ٤٠٣١ ، والطحاوي في « مشكل الآثار »: ٨٨/١ ، وابن الأعرابي في المعجم: « ٢/١١٠ »، والهروي في « ذم الكلام» ٥٤/٢ ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق »: ١/٦٩/١٩ والقضاعي في «مسند الشهاب »: ٢٤٤/١ ، رقم: ٣٩٠ . وهو صحيح . صححه الزيلعي في « نصب الراية »: ٣٤٧/٤ ، والعراقي في « تخريج احاديث الإحياء »: ٣٤٢/١ ، والألباني في « الإرواء »: ١٠٩/٥ .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (ب) .

(٥) أخرجه الترمذي في «الجامع»: أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الفاتحة: ٢٠٤/٥ رقم: ٢٩٥٤ ، وأحمد في « المسند »: ٣٧٨/٤ ، وابن حبان في « الصحيح» رقم: ١٧١٥ ، ٢٢٧٩ ، من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه وفي سنده عباد بن حبيش . وثقه ابن حبان ؛ ولم يرو عنه إلا واحد . وقال ابن حجر: مقبول . أي: إذا توبع . وله شواهد أوردها السيوطي في « الدر المنثور »: ٤٢/١ . فهو بها حسن إن شاء الله تعالى .

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ) .

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ) .

[تعالى] [١] كل يوم وليلة [٢] سبع عشرة مَرَّةً بالهداية إلى الصراط المستقيم ، [صراط] [٣] الذين أنعمت [٤] عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضَّالين فكيف تَطيبُ نفسُك بالتشبه بقوم هذه صفتهم ، وهم حصب [٥] جهنَّم ؟!

ولو قيل لك تشبّه بنشاري أو مسخرة لأنفت من ذلك وغضبت !! وأنت تَشبَّه بأقْلف [٦] ، عابد صليب في عيدِهِ، وتكسو صغارك وتفرّحهم ، تَصبُغُ لهم البيض [٧] ، وتشتري البخور، وتحتفلُ لعيد عَدُوِّكَ كاحتفالك لعيد نبِّيك ﷺ [٨] !

فأين يُذهبُ بك إنْ فعلت ذلك ؟ [٩] إلى مقتِ الله وَسَخَطِهِ إن لم يغفر الله لك ، أما [١٠] علمت أنَّ نبيك [محمداً] [١١] ﷺ كان يحُض [١٢] على مخالفة أهل الكتاب في كل ما اختصُّوا [به] [١٣] ، حتى إنَّ الشيب الذي

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ) .

(٢) في الصلوات الخمس المفروضات .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (ب) .

(٤) في نسخة (ب): « أنعم الله » .

(٥) في نسخة (ب): « حطب » .

(٦) هو الذي لم يختتن ، ويريد المصنف بذلك النصارى .

(٧) الف علي القاريُ رسالة في رفض ما اعتاده النصارى بمناسبة ميلاد عيسى عليه السلام من تعاطي البيض ، وما إلى ذلك من عادات ، كما يفعله بعض عوام ديارنا ، أسماها بـ « الأجوبة المحررة في البيضة الخبيثة المنكرة » . منه نسخ خطية عديدة . راجع « الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث » (١٢٠) .

(٨) هما عيد الفطر والأضحى ، وهما العيدان المشروعان . وهناك أعياد بدعيّة كثيرة ، في كثير من البلدان ، ما أنزل الله بها من سلطان ! فإلى الله المشتكى من غربة الإسلام.

(٩) في نسخة (ب): « إلا إلى ».

(١٠) في نسخة (ب): « إنْ » .

(١١) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ).

(١٢) في نسخة (ب): « يحظ » !!

(١٣) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (ب) .

هو نور المسلم[1] [الذي][2] قال فيه النبي[3] ﷺ: (من شاب شيبة في الإسلام ، كانت له نوراً[4] يوم القيامة)[5] . قد أمرنا نبيُّنا ﷺ فيه بالخضاب[6] لأجل مُخالفتهم ، فقال ﷺ: (إنَّ اليهود لا يخضبون فخالفوهم)[7] .

ففرض علينا مجانبة[8] ما اختصُّوا به في صُور كثيرة:

قلت منها[9]: قول النبي ﷺ: (إذا كان لأحدكم ثوْبان فليُصلِّ فيهما ، فإن لم يكن له ثوب فليتَّزر به ولا يشتمل اشتمال اليهود)[10] . رواه أبو داود [من رواية ابن عمر][11] .

ومنها:

قول النبي[12] ﷺ: (خالفوا اليهود [وصَلوا في نعالكم][13] ، فإنهم لا

---

(١) في نسخة (ب): « الإسلام » !!

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (ب) .

(٣) في نسخة (ب): « رسول الله » .

(٤) في نسخة (أ): « كان نوراً » .

(٥) الحديث صحيح ، ورد عن جمع من الصحابة رضوان الله عليهم ، كما بيَّناه في تحقيقنا لـ« التذكرة » للإمام القرطبي: يسر الله إتمامه ونشره .

(٦) في نسخة (ب): « قد أمرنا فيه نبينا بالخضاب ... » .

(٧) أخرجه البخاري في « الصحيح » كتاب اللباس: باب الخضاب: ١٠/ ٣٥٤ رقم: ٨٩٩، ومسلم في « صحيحه »: كتاب اللباس والزينة: باب في مخالفة اليهود في الصبغ: ٣/ ١٦٦٣ رقم: ٢١٠٣ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٨) في نسخة (ب): « مخالفة» .

(٩) في نسخة (ب): « فمنها » .

(١٠) أخرجه أحمد في « المسند »: ٢/ ١٤٨ ، وأبو داود في « السنن »: رقم: ٦٣٥ بإسناد حسن ، وانظر معنى (الاشتمال) في كتابنا « القول المبين في أخطاء المصلين»: ٤١ـ٤٢ .

(١١) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (ب) .

(١٢) في نسخة (ب): « قوله » .

(١٣) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ) .

يصلّون في نعالهم ولا خفافهم)[1] . هو من رواية شداد[2] بن أوس .

[وقال مالك بن دينار: أوحى الله تعالى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك: لا يدخلوا مداخل أعدائي ، ولا يلبسوا ملابس أعدائي ولا يركبوا مراكب أعدائي ولا يطعموا مطاعم أعدائي ، فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي][3] .

وأيضاً ألا ترى أن العمامة الزرقاء والصفراء كان لبسُهما لنا حلالاً[4] قبل اليوم ؟! [وفي عام سبع مئة][5] [فلما][6] الزمهم السلطان [الملك الناصر][7] ، حرُمت علينا ![8]

أفيطيبُ قلبك[9] [أيها المسلم][10] أن تلبس اليوم[11] عمامة صفراء أو زرقاء ؟!

---

(١) اخرجه أبو داود في « السنن »: رقم: ٦٨٣ ، والحاكم في « المستدرك »: ١/ ٢٦٠ ، والطبراني في « المعجم الكبير »: رقم: ٧١٦٤ ، ٧١٦٥ ، من حديث شداد بن أوس، وإسناده حسن .

(٢) في نسخة (ب): « رواه شداد ...» .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (ب) .

(٤) في نسخة (أ): « كانت حلالاً لنا » .

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ) .

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (ب) .

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ) . وهو السلطان محمد بن قلاوون . المتوفى سنة ٧٤١ هـ ، له ترجمة في « الدرر الكامنة »: ٤/ ١٤٤ .

(٨) ذكر ابن كثير في أحداث سنة ٧٠٠ هـ: ١٤/ ١٦ ما نصه: « وفي يوم الإثنين قرئت شروط الذمّة على أهل الذمّة ، والزموا بها ، واتفقت الكلمة على عزلهم عن الجهات، واخذوا بالصَّغار ، ونودي بذلك في البلد ، والزم النصارى بالعمائم الزرق ، واليهود بالصُفر ، والسامرة بالحمر ، فحصل بذلك خيرٌ كثير ، وتميَّزوا عن المسلمين» .

(٩) في نسخة (ب): « نفسك » .

(١٠) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ) .

(١١) في نسخة (ب): « اليوم أن تلبس »

وإنما[1] أنت في سكرة وغفلة[2] ، ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمَّة [وإنا على آثارهم مقتدون][3]﴾[4] .

وقد قال النبي ﷺ : (خالفوا المشركين . . .)[5] .

وقال عليه الصلاة والسلام[6] : (فرقٌ [ما][7] بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكْلةُ السحَر)[8] .

وقد جاء عن جماعةٍ من السلف كمُجاهد وغيره في قولهِ تعالى[9] ﴿والذين لا يشهدون الزُّور ﴾[10] قال: الزُّور: أعيادُ المشركين[11] .

---

(١) في نسخة (ب): « إنما » .

(٢) في نسخة (ب): « سَكرةِ غفْلةٍ » .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (ب) .

(٤) الزخرف: ٣٢

(٥) وتتمته: (أحفوا الشوارب ، واعفوا اللحى) أخرجه البخاري في « الصحيح »: كتاب اللباس: باب تقليم الأظافر: ١٠/٤٣٩ رقم: ٥٨٩٢ ، وباب إعفاء اللحى: ١٠/٣٥١، رقم: ٥٨٩٣ ، ومسلم في « الصحيح »: كتاب الطهارة: باب خصال الفطرة: ١/٢٢٢ رقم: ٢٥٩ من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .

(٦) في نسخة (ب) « النبي ﷺ » .

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ) .

(٨) اخرجه مسلم في « صحيحه » كتاب الصيام: باب فضل السحور: ٢/٧٧٠ـ ٧٧١ رقم: ١٠٩٦ ، وأحمد في « المسند »: ٤/١٩٧، ٢٠٢ ، وغيرهم من حديث عمرو ابن العاص رضي الله عنه .

(٩) في نسخة (ب): « قول الله تعالى » .

(١٠) سورة الفرقان: ٧٢ .

(١١) قال مجاهد والضحاك والربيع بن أنس في تفسير الآية المذكورة: « هو أعياد المشركين» أخرجه أبو بكر الخلال في « جامعه » وأبو الشيخ في « شروط أهل الذمة » . قاله ابن تيمية في « اقتضاء الصراط المستقيم » : ١٨١ ـ ١٨٢ ، وقال ابن سيرين في تفسير الآية: « هو الشعانين » ، أخرجه الخلال في « جامعه » ، كذا في « اقتضاء الصراط المستقيم» : ١٨١ ، وانظر: « الأمر بالاتباع » : ١٥١ ـ بتحقيقي ، و« الدر المنثور»: ٦/٢٨٢ فذكره عن ابن عباس أيضاً ، وعزاه للخطيب .

وقال النبي [1] : (إنَّ لكلِّ قوم عيداً ، وإنَّ عيدنا هذا اليوم) [2] .

فهذا القول منه عليه الصلاةُ والسلام [3] يوجبُ اختصاص كل قوم بعيدهم، كما قال تعالى ﴿ لكُلٍّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ﴾[4].

فإذا كان للنصارى عيدٌ ، ولليهود عيد ، [كانوا][5] مختصين به [6] فلا يشركُهم فيه مُسلم ، كما لا يُشاركهم في شرْعتهم [7]، ولا في قبْلتِهم .

ومن المعلوم أن في شروط عُمَرَ رضي الله عنه ، أن أهلَ الذِّمَّة لا يظهرُون أعيادَهم [8] .

واتفَقَ المسلمون على ذلك . فكيف يسوغُ لمسلم إظهارُ شعارهم [9] الملعون من خضاب الأولاد ، وصباغ البيض ، وشراء الأوراق المصَوَّرة المصبغة[10] والبخُور الذي دُقَّ عليه بالطاسات تنفيراً للملائكة ، وطلباً لحضور الشياطين ، وتقريراً لإظهار شعار الملاعين [المبتدعين][11] ،[المتعدِّين] [12]

---

(١) في نسخة (ب) : « رسول الله » .

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » ، كتاب العيدين: باب سنّة العيدين لأهل الإسلام: ٢/٥٤٤ ، رقم: ٩٥١ ، ومسلم في « صحيحه » : كتاب صلاة العيدين: باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد: ٢/٦٠٧ ـ ٦٠٨ رقم: ٨٩٢ من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) في نسخة (ب) « ﷺ » .

(٤) المائدة: ٤٨

(٥) ما بين المعقوفتين سقط في نسخة (ب) .

(٦) في نسخة (ب): « بذلك » .

(٧) في نسخة (ب): « شرعيتهم » !!

(٨) انظر أحكام أهل الذمة: ٢/٦٥٩ـ ٧٧٨ للعلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى . وقد شرح في كتابه هذا الشروط العمرية شرحاً مستوفى مفيداً . مطبوع بتحقيق الدكتور صبحي الصالح رحمة الله عليه .

(٩) في نسخة (ب): « شعائرهم » !

(١٠) في نسخة (ب): « المصبوغة» !

(١١) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (ب) .

(١٢) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ) .

ونواقيسهم في الأسواق ، وتَرْك الرجال الصبيانَ يتقامرون بالبيض [والله ما يستحل فعل هذا ولا يرضى به مسلم][1] . [فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم][2] .

وقد قال النبي[3] ﷺ : (إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يُغيِّروه ، أوشك أن يعُمَّهمُ الله بعقاب [من عنده][4])[5] .

وقال [رسول الله ﷺ][6] : (ما من قوم يُعْملُ فيهم بالمعاصي هم أعزُّ وأمْنَعُ مِمن يعملها ، ثم لا يُغيِّرون ذلك ، إلا عَمّهُم الله بعقاب منه)[7] .

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (ب) .

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ)

(٣) في نسخة (ب): « رسول الله » .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ) .

(٥) أخرجه أحمد في « المسند » ٢/١، ٥، ٧، ٢٩ ، ٣٠ ، والحميدي في « المسند »: رقم: ٣ ، والنسائي في « الكبرى » - كما في « تحفة الأشراف» ٣٠٣/٥ ، والترمذي في «الجامع »: أبواب الفتن: باب ما جاء في نزول العذاب: ٤٦٧/٤ ، رقم: ٢١٦٨ وابن ماجه في « السنن »: كتاب الفتن: باب الأمر بالمعروف:١٣٢٧/٢ ، رقم: ٤٠٠٥ وأبو داود في « السنن »: كتاب الملاحم: باب الأمر والنهي: ١٢٢/٤ ، رقم: ٤٣٣٨، والبيهقي في السنن الكبرى: ٩١/١٠ ، وابن جرير في « التفسير » رقم: ١٢٨٧٦ - ١٢٨٧٨ والمروزي في « مسند أبي بكر » رقم: ٨٦ - ٨٩ وابن حبان في « الصحيح» رقم: ١٨٣٧ من حديث أبي بكر ، وإسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ) .

(٧) أخرجه أبو داود في « السنن »: كتاب الملاحم: باب الأمر والنهي: ١٢٢/٤-١٢٣ رقم: ٤٣٣٩ والطبراني في «الكبير »: رقم: ٢٣٨٢ من طريق مسدد.
وأخرجه ابن حبان في « الصحيح » ٥٣٦/١ رقم:٣٠٠ - الإحسان ، والطبراني في «الكبير »: رقم: ٢٣٨٢ من طريق أبي الوليد الطيالسي كلاهما عن أبي الأحوص عن أبي إسحاق عن عبيدالله بن جرير عن أبيه به .
وتابع أبا الأحوص: شعبة عند أحمد في « المسند »: ٣٦٤/٤ ، ومن طريقه الطبراني في « الكبير » رقم: ٢٣٨١ ، ومعمر عند عبدالرزاق في « المصنف »: رقم: ٢٠٧٢٣، ومن طريقه أحمد في المسند: ٣٦٦/٤ والطبراني في « الكبير » رقم: ٢٣٨٠ وأبو يعلى في « المسند »: ٤٩٧/١٣ رقم: ٧٥٠٨ ، وإسرائيل عند: أحمد في « المسند »: ٣٦٦/٤ ، وابن ماجه في « السنن » كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ١٣٢٩/٢ رقم: ٤٠٠٩ وهؤلاء - أعني شعبة وأبا الأحوص وإسرائيل - ممن سمعوا من أبي إسحاق قديماً ، قبل اختلاطه ، فإسناده جيد .
وعبيد الله بن جرير . ممن ترجم له البخاري وابن أبي حاتم ، وسكتوا عنه ، ووثقهُ

=

ومن أقبح القبائح ، وأعظم المصائب ؛ أنك ترى أخاك الجاهل يشتري البخُور ، والورق المصبَّغ [1] لزوجته [الحمقى] [2][الجاهلة] [3] فتضعهُ تحت السماء !! تزعمُ أن مريم تَجرُّ ذيلها عليه !

ومريم [عليها السلام] [4] قد ماتت ، وهي [5] تحت الأرض من نحو ألف وثلاث مئةِ سنة !![6]

وتَعْملُ بالقطرانِ صليباً على بابِك طرْداً للسِّحر!! وتُلصِقُ التَّصاوير في الحيطان تهريباً [7] للحيَّات [والهوام] [8] .

وإنما تهربُ الملائكة [الكرام] [9] بذلك [10] .

فوالله ما [أدري] [11] ما تَركْتَ من تعظيم النَّصرانية !! ووالله إنّك إذا لم

= ابن حبان ، وروى عنه جماعة ، وقال الذهبي في كاشفه »: « وثق » .
وأخرجه من طريق أخرى عن أبي إسحاق به - وفي بعضها ضعف: أحمد في «المسند»: ٣٦١/٤ ، ٣٦٣ ، ٤٦٦ ، والطبراني في « الكبير » رقم: ٢٣٨٣ ، ٢٣٨٤، ٢٣٨٥ .
وفي الباب عن أبي بكر الصديق ، ويشهد له غير حديث أيضاً.

(١) في نسخة (ب): « المصبوغ » .

(٢) ما بين المعقوفتين سقط في نسخة (ب) .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط في نسخة (أ) .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط في نسخة (أ) .

(٥) في نسخة (ب) ! « ودُفِنَت » .

(٦) قال السيوطي رحمه الله في « الأمر بالاتباع »: (١٤١- بتحقيقي) في بدع الناس ومنكراتهم: « يخرجون ثيابهم ليلة الخميس يضعونها تحت السماء ، يزعمون أن مريم - عليها السلام - تخرج من قبرها ، تمر على تلك الثياب المنشورة ، فيصيبها من بركتها ، وذلك باطل لا أصل له » .

(٧) في نسخة (أ): « تقريباً » !!

(٨) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ) .

(٩) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ) .

(١٠) في نسخة (ب): « بذلك الملائكة » ، قال السيوطي في « الأمر بالاتباع » : (١٤١) : « فطائفة يجعلون على أبواب بيوتهم ودورهم صور الحيات والعقارب والصلبان يزعمون أنها تطرد الهوام عنهم ، وإنما تطرد الملائكة » .

(١١) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ) .

تنكر هذا [فلا شك أنك][1] لراضٍ به وأنت جاهلٌ[2] .

نعوذُ بالله من الجهْل!

وقد قال رسول الله ﷺ: (من تَشبَّهَ بقوم فهو منهم)[3] .

فإنْ قال قائلٌ: إنَّا لا نقصد التَّشبُّه بهم ؟ فيقالُ له: نفس الموافقة والمشاركة لهم في أعيادهم ومواسمهم حرامٌ ، بدليل ما ثبت في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه (نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غُروبها)[4] ، وقال: (إنَّها تَطلعُ بين قرني شيطان ، وحينئذ يسجُد لها الكُفارُ)[5] ، والمصلي لا يقصدُ ذلك ، إذ لو قصده كفر ، لكنَّ نفس الموافقة والمشاركة لهم في ذلك حرامٌ .

وفي مُشابهتهم من المفاسد أيضاً:

انَّ أولاد المسلمين تنشأ على حُب هذه الأعيادِ الكُفريَّة لما يُصنعُ لهم فيها من الرَّاحات[6] والكسوةِ والأطعمةِ ، وخُبزِ الأقراص ، وغير ذلك !

فبئس المربِّي أنت أيُّها المسلم - إذا لم تَنه أهلك وأولادَك عن ذلك ، وتعرفهم أنَّ ذلك عند النَّصارى ، لا يحل لنا أن نشاركَهم ونشابهَهُم فيها .

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ) .

(٢) في نسخة (ب) : « به راض أو جاهل » .

(٣) مضى تخريجه .

(٤) أخرج البخاري في « الصحيح »: كتاب مواقيت الصلاة: باب الصلاة بعد الفجر حتى ترتفع الشمس: ٥٨/٢ ، رقم: ٥٨١ ، عن ابن عباس قال شهد عندي رجال مرضيون وارضاهم عندي عمر ، أن النبي ﷺ نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس وبعد العصر حتى تغرب .

(٥) اخرجه مسلم في « الصحيح » ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب إسلام عمرو بن عبسه: ٥٦٩/١ - ٥٧١ ، رقم: ٨٣٢ ، بعد: ٢٩٤ . والمذكور جزء من الحديث.

(٦) في « تكملة المعاجم العربية » لدوزي: ٢٣٧/٥: « راحة: تسلية ، لهو ، انشراح ، استجمام ، فترة استراحة » . ونقل عن بعض المصادر « الراحات ، المسارعة لقضاء لذاته والانتهاك في طلب راحته » وقال: « وفي « كتاب ابن صاحب الصلاة ، (ص ٢٠ ق): الراحات والبطالات: ويقال: صاحب الراحة: أي رجل لذات . ابن بطوطه: ٧٦/٣ » انتهى .

وقد زَيَّن الشيطانُ ذلك لكثير من الجهلة ، والعلماء الغافلين ـ ولو كان منسوباً للعلم ، فإنَّ علمهُ وبالٌ [1] عليه ، كما قال ﷺ: (أشدُّ النَّاس عذاباً يوم القيامةِ عالمٌ لم ينفعه الله بعلمه) [2].

[وكلُّ مَن علم شيئاً وعمل بخلافهِ عاقبهُ اللهُ يومَ القيامة] [3].

والله لا يسع [4] وليٌّ [السكوت عن هذا ، بل يجب على محتسب البلد][5] القيامُ في ترك هذا بكلِّ ممكن ، فإنَّ في بقائه تجرِّياً لأهل الصليب على إظهار شعارهم .

وقد رُوي عن عمر [بن الخطاب][6] رضي الله عنه ، قال: « لا

(١) في الأصل (وبالاً) وما أثبتناه هو الصواب .

(٢) أخرجه الطبراني في « الصغير » : ١/١٨٣ والبيهقي في « شعب الإيمان »: ٢/٢٨٤ ـ ٢٨٥ ، رقم: ١٧٧٨ ، والآجري في « أخلاق العلماء »: ١٢٨ ، وابن عدي في «الكامل »: ٥/١٨٠٧ ، والخطيب في « الكفاية »: ٦ـ٧ ، وابن عبد البر في «الجامع»: ١/١٦٥ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ـ كما في « الكنز »: رقم: ٢٩٠٩٩ ـ و« ذم من لا يعمل بعلمه: ٣٣ ، من طريق عثمان بن مقسم البُرّي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً وقال الطبراني عقبه: « لم يروه عن المقبري إلا عثمان البُرّي » ، وإسناده ضعيف جداً ، فيه عثمان البُري ، قال ابن معين: ليس بشيء ، هو من المعروفين بالكذب ووضع الحديث » قال الهيثمي في « المجمع » : ١/١٨٥ ، رواه الطبراني في « الصغير » وفيه عثمان البُرّي ، قال الفلاس: صدق لكنه كثير الغلط صاحب بدعة، ضعفه أحمد والنسائي والدارقطني » . وضعفه العراقي في أول تخريجه لـ« الأحياء »: ١/٣، ٣/٣٧٧ وكذا المنذري في «الترغيب »: ١/٧٨، والزبيدي في « شرح الأحياء »: ١/٥٧ .
وقال ابن حجر ـ كما في: « فيض القدير » « غريب الإسناد والمتن » ، ثم قال المناوي « لكن للحديث أصل أصيل » وساق: « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً، أو قتله نبي ، أو قتل أحد والديه ، والمصورون ، وعالم لم ينتفع بعلمه » قلت: هو حديث ضعيف جداً ، راجع « السلسلة الضعيفة »: ١٦١٧ ، نعم ثبت موقوفاً على أبي الدرداء ، أخرجه عنه: ابن المبارك في « الزهد »: ٤٠ ، والدارمي في « المسند »: ١/٨٢ وأبو نعيم في « الحلية »: ١/٢٢٣ وابن عبد البر في « الجامع »: ١/١٦٥، بإسناد صحيح ، وانظر ـ غير مأمور ـ « السلسلة الضعيفة » رقم: ١٦٣٤.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ) .

(٤) في نسخة (ب): « ويجب على ولي الأمر » .

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (ب) .

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ) .

تتعلموا رَطانةَ الأعاجم ، ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم، فإنَّ السَّخط ينزل عليهم »[1].

فينبغي لكلِّ مسلم أن يجتنب أعيادهم ، ويصون نفسه وحريمهُ ، وأولاده عن ذلك ، إنْ كـان يؤمنُ بالله واليـوم الآخـر ، ولا نقُولُ كـمـا قـال بعضُ المعاندِين إذا نُهي عن ذلك:

ماذا علينا منهم؟ ! فقد قال السّيد الجليل الفضيل بن عياض: « يا أخي! عليك بطُرق الهـدى وإن قلَّ السَّالكـون ، واجـتـنب طرُق الرَّدى وإن كـثُر الهالكون »[2].

وقد زيَّن الشيطانُ لكثير من الفـاسقين الضالين من يسافرُ من بلد إلى بلد، أو يرحل[3] من قـريته للفُرجـةِ على الفـاسقين الضَّالين ، وتكثـير سـوادهم[4] وفي الحديث: (من كثر سواد قوم حشر معهم)[5].

وقـال الله عز وجل: ﴿ يا أيُّهـا الذين آمنوا لا تـتـخذوا اليـهود والنصـارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتـولهم منكم فإنه منهم إنَّ الله لا يهدي القوم

---

(١) اخرجه عبدالرزاق في « المصنف »: ١/ ٤١١ ، رقم: ١٦٠٩ ، والبيـهقي في « السنن الكبرى » ٩/ ٢٣٤ ، وابو الشيخ ـ كما قال ابن تيمية في « اقتضاء الصراط المستقيم »: ١/ ٤٥٥ ـ بإسناد صحيح ، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

(٢) ذكره عنه الشاطبي في « الاعتـصام »: ١/ ٨٣ ، والنووي في « المجموع »: ٨/ ٢٧٥ ، والسيوطي في « الأمر بالاتباع » (١٥٢ ـ بتحقيقي) .

(٣) في الأصل « يدخل » وهو خطأ ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٤) ماذا يقول المصنف ـ لو كان حياً بين اظهرنا ـ ورأى المترفين من أبناء المسلمين يتنقلون إلى الكفر في أعياد الميلاد ! اللهم لطفك وحنانيك .

(٥) اخرجه الديلمي في « الفردوس »: رقم: ٥٦٢١ ، وابـو يعلى في « مسنده » ـ كـما في « فتح البـاري »: ١٣/ ٣٧ ـ ٣٨ .وعلي بن معبد في « الطاعـة والمعصية » ـ كـما في « نصب الراية »: ٤/ ٣٤٦ و« شرح الإحياء » للزبيدي: ٦/ ١٢٨ ـ من طريق ابن وهب اخبرني بكر بن مضر عن عمرو بن الحـارث ان رجلاً دعا عبدالله بن مسعود ، وذكره ، وفيه قصة .
ورجالـه ثقات ـ غـير أن فـيه انقطاعـاً ، فعـمرو لم يسـمع ابن مسـعود .والأظهـر ان المذكـور من قول ابي ذر ، كـمـا عند: ابن المبارك في « الـزهد » ، وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي . وهو ضعيف .

الظالمين ﴾[1] .

قال العلماءُ: ومن موالاتهم [2] التشبُّهُ بهم ، وإظهارُ أعيادهم ، وهم مأمورون بإخفائها في بلاد المسلمين ، فإذا فعلها المسلمُ معهم ، فقد أعانهم على إظهارها .

وهذا منكرٌ وبدعةٌ في دين الإسلام ، ولا يفعلُ ذلك إلا كُلُّ قليل الدين والإيمان ، ويدخُل في قول النبي ﷺ: (منْ تشبَّه بقوم فهو منهم)[3] .

وقد مدح اللهُ مَنْ لا يشهدُ أعياد الكافرين ، ولا يحضرُها [4] ، قال تعالى: ﴿ والذين لا يشهدون الزُّور ... ﴾[5] فمفهومُه أنَّ من يشهدُها ويَحضرُها يكون مذموماً ممقوتاً ، لأنه يشهد المنكر ولا يُمكنهُ أن يُنكره ، وقد قال النبي ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيرهْ بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإنْ لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعفُ الإيمان)[6] .

وأيُّ منكر أعظم من مشاركةِ اليهود والنصارى في أعيادهم ومواسمهم ، ويصنعُ كما يصنعون من خبز الأقراص ، وشراء البخور ، وخضاب النساء والأولاد ، وصبْغ البيض ، وتجديد الكسوة ، والخروج إلى ظاهر البلد بزيٍّ

---

(١) سورة المائدة: ٥ .

(٢) في نسخة (ب): « موالتهم » !!

(٣) مضى تخريجه .

(٤) في نسخة (ب) ، « يحصرها » !!

(٥) سورة الفرقان: ٧٢ . قال مجاهد والضحاك والربيع بن أنس في تفسير (الزور) الوارد ذكره في الآية: « هو أعياد المشركين » . أخرجه أبو بكر الخلال في « جامعه» وأبو الشيخ في « شروط أهل الذمة » قاله ابن تيمية في « اقتضاء الصراط المستقيم » (١٨١ ـ ١٨٢) ، وقال ابن سيرين: هو الشعانين ، أخرجه أبو بكر الخلال في «جامعه» كما في « اقتضاء الصراط المستقيم »: ١٨١ ، وانظر: « الأمر بالاتباع » : ١٥١ .

(٦) أخرجه مسلم في « الصحيح » رقم: ٧٨ ، والترمذي في « الجامع » رقم: ٢١٧٣ والنسائي في « المجتبى »: ٨/١١ ، وأحمد في « المسند » : ٢/٤٩ ، ٣/١٠ ، ٢٠ ، ٥٢ ، ٩٢ ، وأبو داود في « السنن » رقم: ١١٤٠ ، ٤٣٤٠ ، وابن ماجه في «السنن » : رقم: ١٢٧٥ ، ٤٠١٣ ، وعبدالغني المقدسي في « الأمر بالمعروف » رقم: ١ـ٣ بتحقيقنا) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

التَّبهرج ، وشُطوط الأنهار .

وهم أذلة تحت أيدينا ، ولا يُشاركون ، ولا يُشابهوننا[1] في أعيادنا ، ولا يفعلون كما نفعلُ ! فبأي وجه تلقى وجهَ نبيك غداً يوم القيامة ؟! وقد خالفتَ سنته . وفعلت فعْل القوم الكافرين الضالين أعداء الدِّين!

فإنْ قال قائل: إنما نفعلُ ذلك لأجل الأولاد الصِّغار والنساء ؟

فيُقال له: أسْوأ النَّاس حالاً من أرضى أهله وأولاده بما يُسخط الله عليه ، وقد قال الحسنُ البصري رحمه الله: « ما أصبح رَجلٌ يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبَّه الله في النار ، فالله سبحانه وتعالى قد قال في كتابه العزيز: ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً . . . ﴾[2] .

ومعناه: علموهم ، وأدبوهُم ، وأمروهم بالمعروف ، وانهوْهم عن المنكر، لتتقوا النار التي من صفتها أنها توقدُ بالناس والحجارة ، قيل: حجارة الكبريت. أجارنا الله منها »][3] .

وعن عبدالله بن عمرو[4] رضي الله عنهما أنَّه قال: « مَنْ صنَعَ نيروزهم، ومهرجانهم ، وتشبَّه بهم ، حتى يموت وهو كذلك ، [ولم يتب][5] حشر معهم يوم القيامة »[6] رواه عوفٌ [الأعرابي][7] عن [أبي][8] المغيرة عن عبدالله .

وهذا القول منه يقتضي أنَّ فعْل ذلك من الكبائر ، وفعل اليسير من ذلك يجُرُّ إلى الكثير .

---

(١) في نسخة (ب): « يشابهونا » .

(٢) سورة التحريم: ٦ .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(٤) في الأصلين: (عُمر) بضم العين: والصواب بفتحها .

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(٦) أخرجه البيهقي في « السنن الكبرى »: ٩/٢٣٤ ، وصحَّح إسناده ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم »: ١/٤٥٧ .

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (ب) .

(٨) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (ب) .

فينبغي للمسلم أن يسُدَّ هذا الباب أصلاً ورأساً ، وينفِّر أهلهُ وصغاره[1] منْ فعلهِ[2] ، فإن الخير عادةٌ ، وتجنُّب البدع عبادةٌ .

ولا يقولنَّ جاهلٌ ، أفرِّح أطفالي !! [ويقول: أخاف أن يأتيهم الموتُ ، فيحول بينهم وبين ذلك ، وتبقى غصَّة ذلك تجول في قلبي ! أنا أصبغ لهم البيض ، وأخضبهم بالحناء وأشري لهم الأوراق التي في الصور ، وأفرحهم حتى لا يبقى في خاطرهم !!][3] .

أفما وَجدْت [يا مسلم][4] ما تُفرِّحهم به إلا بما يُسخِط الرحمن ، ويرضي الشيطان ، وهو [شعارُ][5] أهل الكفر والطغيان ؟!

فبئس المربي أنت !! ولكنْ كذا[6] ترَبيت !

[يا أخي][7] ما أقواكَ إنْ خالفت هواك ! وما[8] أغواك إنْ وافقت هواك ! ولا يعني التوبيخ سواك ، ما[9] أسقمك وأنت لا تشرب دواك ! ما[10] أكرمك[11] إن كانت الجنان مأواك ! ما أفظع[12] ديناً شرعةُ العامة والرهبانُ! ما[13] أرقع جاهلاً يدرأ عن داره السحر بصلبان القطران! ما[14] أشدَّ

---

(1) في نسخة (ب): « وأولاده » .

(2) في نسخة (ب) : « من فعل الشيء من ذلك » !!

(3) ما بين المعقوفتين من هامش نسخة (أ) ، وسقط من نسخة (ب) .

(4) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(5) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (ب) .

(6) في نسخة (ب) : « هكذا » .

(7) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(8) في نسخة (أ): « ما » .

(9) في نسخة (ب) : « وما » .

(10) في نسخة (ب): « وما » .

(11) في نسخة (ب): « أسعدك » .

(12) في نسخة (ب): « وما أفضح » !!

(13) في نسخة (ب): « وما » .

(14) في نسخة (ب): « وما » ؟

خذلان من مكّن من القمارِ الصبيان! ما[1] أشنع رائحة اللاذن[2] والأظفار[3] وحصا اللبان ! [إلى][4] أين تذهبين يا عجوز السوء ؟ إلى القبور ؟؟

إلى كم تضرَبُ نواقيسُ النُّحاس ، ويتلى عليها كلمات الباطل والفجور[5] ؟ ؟

ذلك وَمن يعظمُ حُرُماتِ الخميس الحقير[6] لا الكبير فإنها من أعظم الشُّرور ، ومن يتق الله ويعظمُ حرمات الله[7] ، فإنّها من تقوى القلوب[8] .

يا مُصرِّف القلوب الهمنا [اتباع][9] سنة نبيك ، وجنبنا الابتداع والتشبّه بالكُفّارِ .

قال النبي ﷺ : (مَن عَمِل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌ)[10]

---

(1) في نسخة (ب): « وما » ؟

(2) في القاموس: ١٥٨٧ : « اللاذِن: رطوبة تعلق بشعر المِعزَى ولحاها ، إذا رعت نباتاً يعرف بـ « قلسوس » أو « قستوس » وما علق بشعرها جيد مُسَخن مليِّن مُفتِّحٌ للسُّدد وافواه العروق ، مدر نافع للنزلات ، والسُّعال ، ووجع الأذن ، وما علق بأظلافها رَديء » انتهى . وهو أيضاً صمغ يُستخرج من بعض الأشجار يستعمل عطراً ودواء ، ويُعلك .

(3) في نسخة (ب): « الأضفار » .

(4) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ) .

(5) في نسخة (ب): « كلام الفجور والباطل » .

(6) في نسخة (ب): « الخفير » .

(7) في نسخة (ب) حرواته » .

(8) انظر ما رقمناه في تقدمنا لهذه الرسالة .

(9) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (ب) .

(10) أخرجه البخاري ـ تعليقاً ـ في « صحيحه » كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب إذا اجتهد العامل: ٣١٧/١٣ ، ووصله مسلم في « صحيحه » كتاب الأقضية: باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور: ١٣٤٣/٣ ـ ١٣٤٤ ، وجماعة . انظر « فتح الباري »: ٣٠٢/٥ ، و« تغليق التعليق »: ٣٩٦/٣ ـ ٣٢٦/٥ .

وفي لفظ الصحيحين: قال: (من أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رد)[1] أي مردود .

وقال النبي ﷺ[2]: (خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هديُ محمد [ﷺ][3] ، وشر الأمورِ محدثاتها ، [وكل محدثة بدعة][4] ، وكل بدعة ضلالةٌ)[5] .

وقال [رسول الله][6] ﷺ: (لا يؤمن أحدكُم حتى يكون هواهُ تبعاً لما جئتُ به)[7] .

وقال: [ﷺ][8]: « تركتكم على البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ

---

(١) أخرجه البخاري في « الصحيح » كتاب الصلح: باب إذا اصطلحوا على صُلح جورٍ ، فالصلح مردود: ٥/٣٠١ ، رقم: ٢٦٩٧ ، ومسلم في « الصحيح » كتاب الأقضية: باب نقض الأحكام الباطلة: ٣/١٣٤٣ ، رقم: ١٧١٨ .

(٢) في نسخة (أ): « وقال عليه السلام » .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(٥) أخرجه مسلم في « صحيحه كتاب الجمعة: باب تحقيق الصلاة والخطبة: ٢/٥٩٢ ، رقم: ٨٦٧ وغيره من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه .

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(٧) أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة: ١٥ ، والبيهقي في « المدخل »: ٢٠٩ ، والخطيب في « تاريخ بغداد »: ٤/٣٦٩ ، والديلمي في « الفردوس » ٥/١٥٣ ، رقم: ٧٧٩١ والبغوي في « شرح السنة »: ١/٢/٢ ـ ٣/٢ وابن الجوزي في « ذم الهوى »: ١٨ ، من طريق عقبة بن أوس عن عبدالله بن عمرو به .
قال النووي في « أربعينه » حديث رقم: ٤٠: « حديث صحيح ، رويناه في كتاب « الحجة » بإسناد صحيح » . وصحح المصنف إسناده في كتابه « الكبائر » : ٢١٠ / ٢١١ / بتحقيقنا ، وتعقَّب ابن رجب في « جامع العلوم والحكم »: ٣٦٤ من صحَّح هذا الحديث ، فضعّفه لثلاث علل فيه:
الأولى: ضعف نعيم بن حماد ، ومدار الحديث عليه .
الثانية: الاضطراب في رواية الحديث عنه .
الثالثة: الانقطاع بين عقبة بن أوس وعبدالله بن عمرو . وواحدة من هذه العلل تكفي لتضعيف الحديث ، فما بالك بها مجتمعة ؟!

(٨) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

عنها بعدي إلا هالك » [١] .

وقال [ﷺ] [٢] : (من يعش منكم [بعدي] [٣] فسيرى اختلافاً كثيراً [٤] فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة) [٥] .

---

(١) اخرجه احمد في « المسند »: ٤/١٢٦ ، وابن ماجه في « السنن »: المقدمة: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين: ١/١٦ ، رقم: ٤٣ ، والحاكم في « المستدرك »: ١/٩٦ ، من طريق عبدالرحمن بن عمرو السلمي انه سمع العرباض بن سارية به . وإسناده صحيح رجاله ثقات ، غير عبدالرحمن ، ذكره ابن حبان في « ثقاته » وروى عنه جماعة ، وصحح له ابن حبان والترمذي والحاكم ، كما في « التهذيب » وانظر الحديث الآتي وتعليقنا عليه و« السلسلة الصحيحة » رقم: ٩٣٧ .

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(٤) في نسخة (ب): « كثير » !!

(٥) اخرجه احمد في « المسند »: ٤/١٢٦ - ١٢٧ ، وأبو داود في « السنن » كتاب السنة: باب في لزوم السنة: ٤/٢٠٠ - ٢٠١ رقم: ٤٦٠٧ ، وابن حبان في «الصحيح»: ١/١٧٨ - ١٧٩ ، رقم: ٥ - الإحسان ، وابن أبي عاصم في « السنة»: رقم: ٣٢ ، ٥٧ والآجرّي في « الشريعة »: ٤٦ من طريق ثور بن يزيد حدثني خالد بن معدان حدثني عبدالرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر الكلاعي قالا: أتينا العرباض بن سارية به ، وفيه لفظ الحديث السابق . وحجر وثقه ابن حبان أيضاً . واخرجه أيضاً الترمذي في « الجامع » أبواب العلم: باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع: ٥/٤٤: رقم: ٢٦٧٦ ، وابن ماجه في « السنن » المقدمة: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين: ١/١٥-١٧ رقم: ٤٢ ، ٤٤ ، والدارمي في « السنن»: ١/٤٤ ، ومحمد بن نصر في« السنة »: ٢١/٢٢ ، وابن جرير في « التفسير »: ١٠/٢١٢ ، وابن أبي عاصم في « السنة » رقم: ٥٤ ، والآجرّي في « الشريعة »: ٤٧ ، والطبراني في « الكبير »: ١٨/٢٤٥ - ٢٤٩ / ٢٥٧ و« الأوسط » رقم: ٦٦ ، وابن عبدالبر في « جامع بيان العلم »: ٢/٢٢٢ / ٢٢٤ ، والحاكم في المستدرك: ١/٩٥ - ٩٧ ، و« المدخل إلى الصحيح »: ١/١ ، وابن وضاح في « البدع »: ٢٣/٢٤ ، والخطيب في « الموضح » ٢/٤٢٣ و« الفقيه والمتفقه »: ١/١٧٦ - ١٧٧ ، والبيهقي في « مناقب الشافعي »: ١/١٠-١١ ، و« الاعتقاد »: ١١٣ و« دلائل النبوة»: ٦/٥٤١ - ٥٤٢ ، و« المدخل إلى السنن الكبرى »: رقم: ٥٠ ، ٥١ ، و« السنن الكبرى »: ١٠/١١٤ ، والطحاوي في « المشكل »: ٢/٦٩ ، وأبو نعيم في «الحلية »: ٥/٢٢٠ ، ٢٢١ و ١٠/١١٤ ، ١١٥ ، واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة »: ١/٧٤ ، ٧٥ ، والهروي في « ذم الكلام »: ٦٩/١-٢ ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق »: ١١/٢٦٥/١ ، والحارث بن أبي أسامة في « المسند »: ق ١٩ - بغية الباحث ،واحمد بن منيع في « المسند » - كما في « المطالب العالية »:
=

[وقال ﷺ: (إن الله عزَّ وجلَّ إذا علم من عبد أنهُ يبغض صاحب بدعةٍ غفر الله له وإنْ قلَّ عملهُ)[1].

وروي عن النبي ﷺ: أنه قال: (من انتهر[2] صاحب بدعةٍ ملأ الله قلبه إيماناً وأمناً)[3].

وعن النبي ﷺ: (من أهان صاحب بدعةٍ آمنه الله من الفزع الأكبر)[4]][5].

وهذه آثار مشهورة[6].

= ٣/٨٩ ـ من طرق كثيرة عن العرباض بن سارية .
قال الترمذي: « حديث حسن صحيح » ، وقال الهروي: « وهذا من أجود حديث أهل الشام » ، وقال البزار: « حديث ثابت صحيح » ، وقال البغوي: « حديث حسن » ، وقال ابن عبدالبر: « حديث ثابت » ، وقال الحاكم: « صحيح ليس له علة » ووافقه الذهبي .
وقال أبو نعيم: « هو حديث جيد من صحيح حديث الشاميين » .
وقال ابن كثير في « تحفة الطالب » رقم: ٣٦: « صححه الحاكم ، وقال: ولا أعلم له علة . وصححه أيضاً الحافظ أبو نعيم الأصبهاني والدغولي . وقال شيخ الإسلام الأنصاري: هو أجود حديث في أهل الشام وأحسنه » .
وانظر: « الإرواء »: ١٠٧/٨ رقم: ٢٤٥٥ ، و« جامع العلوم والحكم »: ١٨٧ و« المعتبر » للزركشي: (ص ٧٦) و« موافقة الخبر الخبر »: ١٣٦/١ .

(١) ليس هو من المرفوع للنبي ﷺ ، والصحيح أنه من أقوال بعض الصحابة أو من دونهم والله أعلم .

(٢) في نسخة (ب): « اشهر » !!

(٣) هو جزء من الحديث الذي يليه .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية »: ٢٠٠/٨ ، والهروي في « ذم الكلام » ـ كما في « تخريج الإحياء »: ١٦٧/٢ عن ابن عمر ، وإسناده ضعيف ، قاله العراقي . وقال أبو نعيم: « غريب من حديث عبدالعزيز [بن أبي رواد] ولم يتابع عليه من حديث نافع » وعزاه الزبيدي في « شرح الإحياء »: ١٣٥/٦ لابن عساكر ، وانظر أيضاً منه: ١٩٦/٦ ، ٢٦٤/١٠ وحكم عليه العلامة عليّ القاري بالوضع في « الأسرار المرفوعة »: رقم: ٤٦٩ ، وانظر: « الخلاصة » للطيبي: ٨٣ ، و« كشف الخفاء »: ٢٣٥/٢ ، و« اللآليء المصنوعة »: ١٣١/١ .

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(٦) نعم ، عدا الثلاثة الأخيرة منها ، فغريبة وضعيفة .

ومِن التَّشبُّهِ بالنصارى ما يفعله جهلة أهل بعلبك والبقاع من[1] إيقاد النيران ليلة عيد الصَّليب في الكروم . وهذا أيضاً من إظهار شعار[2] النَّصارى ، قُبحاً لفاعلِهِ .

ومن ذلك: إيقادُ النيران [والقناديل] [3] ليلة الميلاد ، وشراءُ الشمع[4] والتوسعة [والتلذذ] [5] بالحلوى والقطايف ، وإظهارُ السرور والرّهج[6] وإعطاء المدحْرجين[7] .

فإنَّ في هذا إحياء لدين الصليب وإحداث عيد[8] ومشاركة المشركين ، وتشبهاً بالضالين ! وقد قال النبي [9] ﷺ: (من تشبه بقوم فهو منهم)[10].

فيا مسكينُ: أين تذهب بعقلك ؟! .

إلى كم تهربُ من متابعة [سنّة] [11] نبيك محمد ﷺ إلى [متابعة] [12] شعار أعدائك ؟! إلى كم هذه التفرقة والتململ [13] من سُلوكِ الصِّراط

---

(١) في نسخة (أ): « في » .

(٢) في نسخة (ب): « الجهاد بشعار » .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (ب) .

(٤) في نسخة (ب): « الشموع » .

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(٦) في (ب): « الهرج » وما أثبتناه هو الصواب ، والرّهج الرقص ، واطلق عليه هذا المعنى في « رحلة ابن بطوطة »: ٣٤/٢ ، وغيره ، وانظر: « تكملة المعاجم العربية»: ٢٢٦/٥ .

(٧) في « تكملة المعاجم العربية »: ٢٩٧/٤: دحريجة: لعبة من لعاب القمار » وتصحفت في نسخة (ب) تصحيفاً شنيعاً ، فوقعت فيها هكذا « المصحلحين » .

(٨) في نسخة (ب) « عيدهم » ؟

(٩) في نسخة (ب): « رسول الله » .

(١٠) مضى تخريجه .

(١١) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(١٢) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (ب) .

(١٣) في نسخة (ب): « هذه النفْرة » .

المستقيم إلى سبيل الشياطين [الضالين][1] ؟! إنْ تعبدت سردْت [2] في العبادة ، أو[3] تسللت لواذاً يميناً وشمالاً [4] . وإنْ سلكت في [طريق][5] العلم دَخلت في الحيل والرُّخص وقلت: أنا مُقلدُ الأئمَّة[6] !

وإنْ دخلت في التجارة والبيع احتلت في المعاملة الرَّبوية بكل طريق ، وأكثرت الحلف الذي يحرم على التاجر [فعله] [7] ، ونهى [8] عنه الرسول ﷺ حيث يقول: ([إيَّاكم] [9] وكثرة الحلف عند البيع ، فإنَّهُ يُنفق ثم يَمحقُ] [10] [وفي لفظ آخر: (فإنها منفقة للسلعة ، ممحقة للبركة)[11][12]] . وقال رسول الله ﷺ [13] في المتبايعَين: (إنْ صدقا وبيَّنا بورك لهما [في بيعهما] [14] ، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما)[15] .

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ) .

(٢) كذا في نسخة (أ) ، وفي (ب): « شردت » بالشين المعجمة !!

(٣) في نسخة (ب): « و » .

(٤) في نسخة (ب): « ويساراً » .

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (ب) .

(٦) وللمصنف رسالة ماتعة لطيفة في مزالق طلبة العلوم الشرعية على اختلاف أنواعها ، وهي مطبوعة وعنوانها « زُغل العلم » وفيها (ص ٣٤) التحذير من الحيل و (ص ٣٣ ، ٣٥ ، التحذير من التقليد ، وكذا في « السير »: ٨/ ٩٠ ، فانظره فإنه مفيد.

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (أ) .

(٨) في نسخة (ب): « كما نهى » .

(٩) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (ب) .

(١٠) اخرجه مسلم في «صحيحه » كتاب المساقاة: باب النهي عن الحلف في البيع: ٣/ ١٢٢٨ رقم: ١٦٠٧ من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه .

(١١) اخرجهُ البخاري في « الصحيح » كتاب البيوع: باب يمحق الله الربا ...»: ٤/ ٣١٥، رقم: ٢٠٨٧ ، ومسلم في « صحيحه » كتاب المساقاة: باب النهي عن الحلف في البيع: ٣/ ١٢٢٨ ، رقم: ١٦٠٦ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(١٢) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(١٣) في نسخة (أ): « وقال عليه السلام » .

(١٤) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (ب) .

(١٥) اخرجه البخاري في « الصحيح » كتاب البيوع: باب إذا كان البائع بالخيار ، هل يجوز البيع ؟: ٤/ ٣٣٤ رقم: ٢١١٤ ، ومسلم في « الصحيح »: كتاب البيوع: باب الصدق في البيع والبيان: ٣/ ١١٦٤ ، رقم: ١٥٣٢ ، من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه .

و[اعلم أنّك][1] إن أمرت بمعروف أو نهيت عن منكر ، فربما انحرفت إلى الشرور[2] وثارت نفسُك واعتديْت ، فيكون ما أفسدتَ أكثر ممّا أصلحت .

وإن ليَّنت لقرابتك ولذي الجاه والسلطان وأقمت الحد[3] على الضعيف والجاهل ، دون القوي والعالم ، فقد عصيت[4] بذلك ، وإن غضبت[5] لنفسك في إنكارك حيث يُنلُ[6] منك فلا[7] بدَّ لك في عِلمِك[8] من أن تكون [حكيماً][9] حليماً ، ولا بدَّ في العمل[10] من الإخلاص ، قال الله تعالى: ﴿ وما أمروا إلا ليعبُدوا الله مخلصين له الدِّين حنفاء ﴾[11] وقال تعالى: ﴿ أشداء على الكفار رُحماء بينهم ﴾[12] فليكن رفقُك بالمبتدع والجاهل [حتى ترُدَّهما عمَّا ارتكباه بلين .

ولتكُنْ شدَّتك على الضَّال الكافر ، ومعَ هذا فارْحم][13] المبتلى ، واحمد الله على العافية ، ﴿ كذلك كنتم من قبل فمنَّ الله عليكم

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(٢) في نسخة (ب): « الشر » .

(٣) في نسخة (ب) وقعت هذه الجملة هكذا: « وإن كنت لقرانيك ، أو لذوي جاه أو لذي سلطان وأقمت الحسبة ... » !

(٤) في نسخة (أ): « فعصيت » .

(٥) في نسخة (ب): « عصيت » .

(٦) كذا في نسخة (أ) مجوّدة ، ووقعت في نسخة (ب): « نيل » !!

(٧) في نسخة (أ): « ولا » .

(٨) في نسخة (ب) عملك » !!

(٩) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (ب) .

(١٠) في نسخة (ب) « الكلّ » .

(١١) سورة البينة: ٥ .

(١٢) سورة الفتح: ٢٩ .

(١٣) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

﴿فتبينوا﴾[1][2].

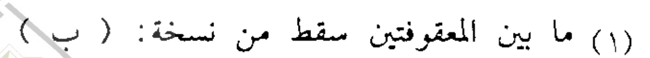
وانظر إلى نفسك وقت النهي عن المنكر وعند الأمر بالمعروف بعين المقت، وانظر إلى أخيك العاصي الجاهل [3] بِعين الرَّحمة ، من غير أن تترك أوامر الله [تعالى] [4] ، أو حداً من حدود الله [5] .

ويروى [6] أنَّ النبي ﷺ قال: (ما أحدث قوم بدعةً إلا نزع [الله][7] عنهم من السُّنة مثلها)[8].

فاتباعُ السُنةِ [9] حياة القلوب وغذاؤها .

فمتى تعوَّدت القلوبُ بالبدع وألفتها [10] ، لم يبقَ فيها فضلٌ للسُّنن .

ثم فعْلُ المنكرات في الخميس [الخسيس][11] على مراتب بعضها أخف من بعض ، فقبول الهديَّة من الجارِ النصراني إذا أهدى لك في عيده من



(١) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (ب) .

(٢) سورة النساء: ٩٤ .

(٣) في نسخة (ب) « الجاهل العاصي » .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(٥) في نسخة (ب) « حدوده » .

(٦) في نسخة (أ): « قال رسول الله ﷺ » .

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة (ب) .

(٨) أخرجه احمد في « المسند » ٤/١٠٥ ، والبزار في « مسنده »: ١/٨٢ ، رقم: ١٣١ ، كشف الأستار ، والطبراني في « الكبير »: ١٨، ٩٩ رقم: ١٧٨ و« السنة » ـ كما في « الإصابة »: ٣/١٦٨ ـ وابن نصر في « السنة »: رقم: ٨٥ ، وجوَّد إسناده ابن حجر في « الفتح »: ١٣/٢٥٣ ، قلت: فيه ابو بكر بن عبدالله بن أبي مريم ، وهو منكر الحديث كذا في « المجمع »: ١/١٨٨ ، وتصدير المنذري في «الترغيب »: ١/٤٥ له بروي يدل على أنه ضعيف عنده .

(٩) في نسخة (ب): « السنن » .

(١٠) في نسخة (أ) غير واضحة ، ثم كتبها الناسخ في الهامش مجودة .

(١١) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

البيض وغيره [١] ذلك مُباحٌ [٢] وشراء البيض وصبغهُ مذمومٌ . وتمكين الصبيان من القمار به ؛ حرام . وقمار الشباب [والرجال] [٣] به من الكبائر الموبقات [٤] .

قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنَّما الخمْر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ﴾ [٥]

وقال رسول الله ﷺ: (مَنْ قالَ لصاحبه تعال أقامرك [٦] ، فليتصدق) [٧] ، رواه البخاري ومسلم .

فإذا كان مجرَّد القوْل معصية موجبة للصَّدقة المكفرة ، فما ظنك بالفعل وهو داخلٌ في أكْل أموالِ الناس بالباطِل ، والله تعالى قد أنزلَ غير آية في

---

(١) في نسخه (ب): « البيض ونحو »

(٢) قال المصنف في آخر جزء « حق الجار »: ٤٨: « فإن كان جارك يهودياً أو نصرانياً في الدار أو السوق أو في البستان فجاوره بالمعروف ولا تؤذيه » وقال: « فأما من جعل إجابة دعوتهم ديدنه وعاشرهم وباسطهم ، فإن إيمانه يرق ، وقد قال الله تعالى: ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ (المجادلة: ٢٢) وقال أيضاً :
« فالمؤمن يتواضع للمؤمن ، ويتذلل لهم ويتعزز على الكافرين ، ولا يتضال لهم تعظيماً لحرمة الإسلام وإعزازاً للدين ، من غير أن تؤذيهم ولا تودّهم كما تودّ المسلم».

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (ب) .

(٤) انظر الكبيرة الثالثة والسبعين (القمار) في كتاب المصنف « الكبائر » (ص ٢٠٥ ـ بتحقيقي) هوامش صفحة ١٢ .

(٥) سورة المائدة: ٩٠ .

(٦) في نسخة (ب): « أقمارك » .

(٧) أخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب التفسير باب « أفرأيتم اللات والعزّى » : ٦١١/٨ ، رقم: ٤٨٦٠ ، ومسلم في « صحيحه » كتاب الإيمان: باب من حلف باللات والعزى: ١٢٦٧/٣ ـ ١٢٦٨ رقم: ١٦٤٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مقت أكل أموال النَّاس بالباطل [1].

فالله تعالى حَرَّم المَيْسر في كتابه ، واتفق المسلمون على تحريم الميسر [2]، سواءٌ كان بالشِّطرنج ، أو بالنرْد[3] ، أو بالكعاب [4] ، أو بالبيض ، أو بالجوز [5] . فإنَّ غير واحدٍ من التابعين كعطاء ، ومجاهد ، وإبراهيم النخعيِّ ، وطاوس [6] قالوا: كُلّ شيء من القمار فهو من الميسْر ، وهو حرامٌ حتى لعب الصِّبيان بالجوز [7] .

[واعلمْ أنَّ][8] بيع البخور وضرب الطاسات عليه من [الفضائح ، وعمل الصُّلبان والورقِ المصوَّر في البيوت من العظائم التي من] [9] اعتقد حلها ونفعها فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً .

---

(١) من مثل قوله تعالى: ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ [البقرة: ١٨٨] وآيات أخر في سورة النساء رقم: ٢٩ و ١٦١ ونحو المذكور هنا عند المصنف أيضاً في «الكبائر»: ٢٠٥ بتحقيقي .

(٢) ذكر الاجماع غير واحد من العلماء . منهم: الجصاص في « أحكامه »: ٢/ ١١ وإلكيا الهرَّاسي في « أحكامه » أيضاً: ١/ ١٢٦ .

(٣) انظر حرمة النرد والشطرنج إن كان فيه قمار في « تفسير القرطبي »: ٨/ ٣٣٨ . وإن خلا عنه أيضاً في « الفروسية » لابن القيم ، بتحقيقي ، وتعليقنا عليه .

(٤) المراد به ما يسمى اليوم بالزهر انظر: « لعب العرب »: ٧٢ للعلامة أحمد تيمور باشا .

(٥) وكذا في سائر ألعاب ماكينات القمار الحديثة ، كلعبة (الروليت) و (البنجو) واليانصيب وبعض صور في المسابقات الثقافية والجوائز التشجعية ، وقد فصلنا ذلك في رسالة مستقلة ، يسر الله نشرها والانتفاع بها .

(٦) وكذا: ابن سيرين والحسن وابن المسيب وقتادة ومعاوية بن صالح وعلي بن أبي طالب وابن عباس ، قاله القرطبي في « التفسير »: ٣/ ٥٢ .

(٧) وأسند ذلك عن بعض المذكورين غير واحد ، ولا يتسع المقام لتفصيل ذلك ، وانظر غير مأمور « الدر المنثور »: ٢/ ٣٢٠ ، و« تحريم النرد والشطرنج »: ١٦٣ ـ ١٦٥ للآجري .

(٨) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(٩) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

أما سمعت نبيَّك ﷺ يقول: (لا تدْخُل الملائكة بيتاً فيه صورة) [١] .

أما تستحي [يا هذا] [٢] من الله [عز وجلَّ] [٣] ، تجعل بيتك كنيسة، فيه صلبان وصورٌ .

روى هشام بن حسان عن ابن سيرين [رحمه الله] [٤] قال[٥]: « أتي عليٌ بن [أبي] [٦] طالب رضي الله عنه بهدية[٧] [يوم] [٨] النيروز ، فقال: ما هذه ؟ قالوا: يا أمير المؤمنين هذا يوم النيروز ، قال: فاصنعُوا كلَّ يوم نيروزاً معنا » [٩] .

قال بعض العلماء: [معناه] [١٠] أن علياً رضي الله عنه كره أن يقال: نيروز وأنْ يخص به يوماً دون يوم . فأمَّا النيروز ، فإن أهلَ مصرَ يبالغون في عمله ، ويحتفلون له[١١] وهو أوّل [يوم] [١٢] من سنة القبط ،

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين : ٦/ ٣١٢، رقم: ٣٢٢٥ و ٣٢٢٦ ، وباب إذا وقع الذباب: ٦/ ٣٥٩ ، رقم: ٣٣٢٢ ، وكتاب المغازي: باب منه: ٧/ ٣١٥ رقم: ٤٠٠٢، وكتاب اللباس، باب التصاوير: ١٠/ ٣٨٠، رقم: ٥٩٤٩ ، وباب من كره القعود على الصور: ١٠/ ٣٨٩ ، رقم: ٥٩٥٧، ومسلم في « صحيحه » كتاب اللباس والزينة: باب تحريم تصوير صورة الحيوان: ٣/ ١٦٦٥ ، رقم: ٢١٠٦ ، من حديث أبي طلحة رضي الله عنه

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(٥) في نسخة (ب): « قال ابن سيرين رحمه الله ... » .

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(٧) في نسخة (أ): « هدية » .

(٨) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(٩) أخرجه البيهقي في (السنن الكبرى): ٩/ ٢٣٥ .

(١٠) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(١١) في نسخة (ب): « به » .

(١٢) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

ويتخذون ذلك اليوم عيداً يتشبه بهم المسلمون ، وهو أول فصل الخريف[1] .

[وقال حذيفة رضي الله عنه: « من تشبَّه بقوم فهو منهم ، ولا يُشبه الزِّيُّ الزِّيَّ حتى يشبه الخَلْقُ الخَلْقَ »[2] .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: « لا يشبه الزي الزي حتى تشبه القلوب القلوب»[3]][4] .

وإذا كانت مشابهتهم في القليل ذريعة إلى هذه العظائم كانت مُحرمة ، فكيف إذا أضيف إلى المشابهة ما هو محضُ الكفر من التبُّرك بالصليب ، والتعميد بماء المعمودية[5] أو قول القائل:

« المعبود واحد » [يعني « الإله واحد][6] والطرق إليه مختلفة »[7] !!

---

(١) قال الشيخ حمود التويجري في « الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثر من مشابهة المشركين » (٥٤) في مبحث الأعياد المبتدعة: ومنها: ما يجعل لولاية بعض الملوك ، ويسمى (عيد الجلوس) . وهو مأخوذ من عيد النيروز عند العجم . قال الشيخ محمد السفاريني: قال أصحاب الأوائل: أول من أكد النيروز (حمشيد الملك) وفي زمانه بعث هود على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، وكان الدين قد تغير ، ولما ملك (حمشيد) جدد الدين ، واظهر العدل ، فسمّى اليوم الذي جلس فيه على سرير الملك (نيروزاً) . قال مرتضى الحسيني في « تاج العروس » : اسم أول يوم في السنة عند الفرس عند نزول الشمس أول الحمل ، وعند القبط أول توت ، كما في «المصباح» معرب نيروز ، أي اليوم الجديد .

(٢) أخرجه الديلمي في « الفردوس) : ١٦٨/٥ ، رقم: ٧٨٤٥ عن حذيفة مرفوعاً وفيه أبو مقاتل حفص بن سالم السمرقندي ، كذبه ابن مهدي وغيره وعنه أحمد بن نصر ـ إن يكن هو الذراع فدجال وإلا مجهول . انظر « تنزيه الشريعة »: ٣١٢/٢ ، و« ذيل اللالئ » للسيوطي: ١٨٨ .

(٣) أخرجه وكيع في « الزهد » رقم: ٣٢٤ ، وهناد في « الزهد » رقم: ٧٩٦ ، وابن أبي شيبة . في « المصنف » : ٢/٢/٢٤٧/ب ، بإسناد ضعيف ، فيه ليث بن أبي سليم .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(٥) في « القاموس المحيط »: ٦٣٢/٢ ، « المعمودية عند النصارى: أن يغمس القس الطفل في ماء يتلو عليه بعض فقر من الإنجيل وهو آية التنصير عندهم » .

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(٧) ويردد هذا الشعار وأمثاله الداعون إلى تقريب الأديان ـ زعموا ، وانظر كتابنا « الهجر في الكتاب والسنة »: ١٨١ .

فهاهنا يهون صبغ البيض ، والخضابُ ولطخُ قرون المعزَى والمواشي بالمغرة[1] وإنْ كان الكلُّ باطلاً[2] .

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . اللهم أحْيِ قلوبنا بالسُّنةِ المحضة، وامدُدْنا بتوفيقك [الهادي إلى طريقك][3] ، [ولا تكلنا إلى أنفسنا لحظة ، واهدنا الصراط المستقيم][4] وجنبنا الفواحش [والبدع][5] ما ظهر منها وما بطن، [آمين][6] يا رب العالمين، [والحمدلله وحده][7] وصل الله على سيِّدنا محمد وآله وصحبه [اجمعين][8] [وسلم][9] . [وكان الفراغ من كتابته يوم الخميس خامس شهر صفر الخير من شهور سنة ثمان وسبعين وثمان مئة][10] .



---

(١) ذكر ابن تيمية في « اقتضاء الصراط المستقيم »: ١/٤٨١ من بدع الناس في أعياد النصارى: « وينكتون بالحمرة « دوابهم » . و« المغرة » . طين احمر يصبغ به .

(٢) في نسخة (ب): « وإنّ الكلَّ باطل » .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (ب) .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

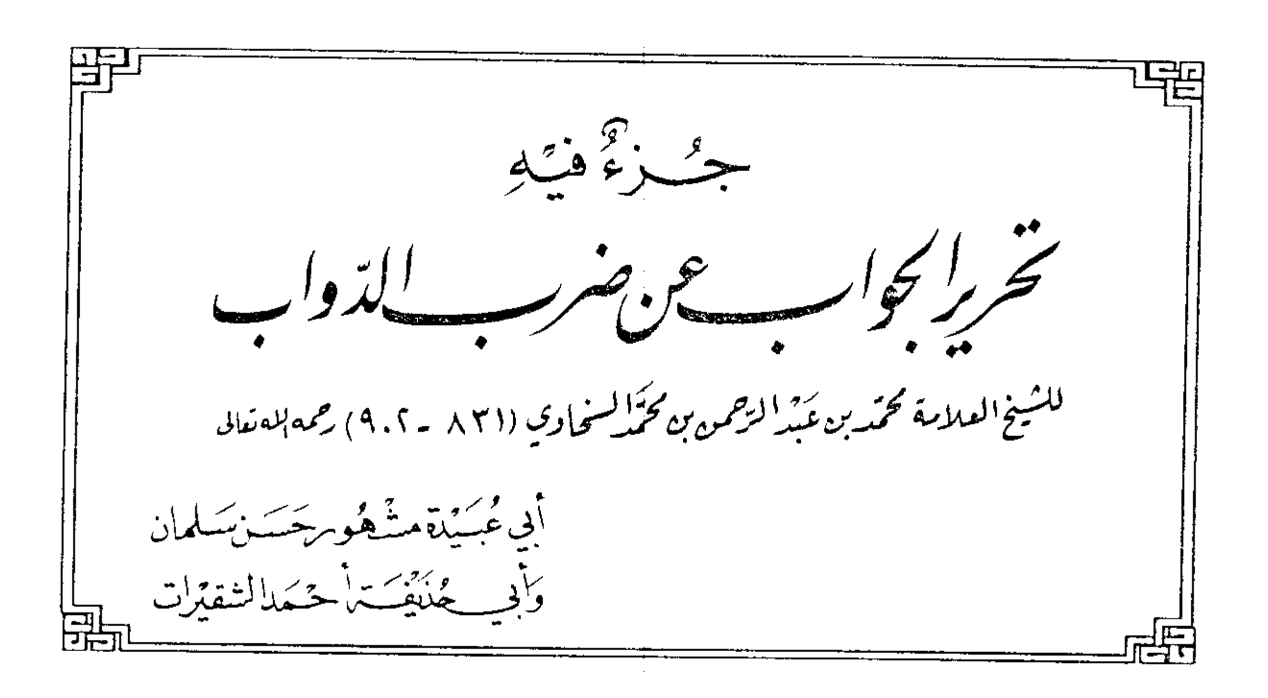
(٦) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (ب) .

(٨) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (ب) .

(٩) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (أ) .

(١٠) ما بين المعقوفتين سقط من نسخة: (ب) .



الحمدلله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد:

فهذا جزء حديثيٌّ جمع فيه الإمام السخاوي الأحاديث التي فيها جواز ضرب الدواب ، ثم أتبعها بأحاديث وآثار وقصص فيها الرفق بها . تكلم عليها بنفسه الحديثي المعروف ، ذاكراً مصادرها ، ثم مبيّناً أحياناً درجتها وغريبها .

وفي هذه الرسالة « بيان واضح أن الإسلام هو الذي وضع للناس مبدأ «الرفق بالحيوان » خلافاً لما يظنُّه بعض الجهال بالإسلام أنه من وضع الكفار الأوروبيين . بل ذلك من الآداب التي تلقوها عن المسلمين الأولين ، ثم توسعوا فيها ، ونظموها تنظيماً دقيقاً ، وتبنتها دولهم حتى صار الرفق بالحيوان من مزاياهم اليوم ، حتى توهم الجهال أنه من خصوصياتهم ! وغرَّهم في ذلك أنه لا يكاد يُرى هذا النظام مطبقاً في دولة الإسلام ، وكانوا هم أحق بها وأهلها »[1] .

---

(١) من كلام شيخنا الألباني - بعد سياقه جملة من الأحاديث والآثار ، يحسن الرجوع إليها - في « السلسلة الصحيحة »: ١/ ٣٧ .

بيد أن الرفق بالحيوان لا يخرجه عن دائرة الحيوانية ، بحيث يكون أعلى مرتبة من الإنسان ، بل الإسلام وسط في ذلك ، يعطي كلٌ مخلوق حقه، فالإنسان مكرَّم ومسخَّر الكون له ، والحيوان مأمور بالرفق به ، منهي عن تعذيبه وإيذائه ، ولكنه أقل مرتبة من الإنسان ، ومسخر له .

والغربيون ، حينما ابتعدوا عن منهج الله سبحانه ، وغابت الروابط الدينية بينهم ، راحوا يبحثون عن الارتباط بالحيوانات ، فأسكنوها بيوتهم ومنازلهم، وقدَّموا لها أفخر أنواع الطعام والشراب ، وفي الوقت نفسه ذهبوا بآبائهم (كبار السِّن) إلى (ملاجئ العجزة) ، فنجد الرجل الواحد منهم في الغرب يخرج أباه من بيته ، ويتخذ عوضاً عنه كلباً أو قطاً ، وفي الوقت الذي يرفقون فيه بالحيوان ويغالون في ذلك[1] ، تجدهم يحتقرون الإنسان ، فالأسود في (أمريكا) وفي جنوب (إفريقيا) يعدُّونه أحط منزلةً من الحيوان ، وهكذا فإنّ الإنسان عندما يبتعد عن منهج الله ـ عز وجل ـ يتناقض في تصرفاته تناقضاً كبيراً .

نسبة هذا الجزء لمؤلفه

هذا الجزء صحيح النسبة للسخاوي ، فقد ذكره ضمن مصنفاته في ترجمته لنفسه في « الضوء اللامع »: ١٩/٨ . وذكره له أيضاً إسماعيل باشا البغدادي في « هدية العارفين »: ٢/ ٢٢٠ .

---

(١) من مثل ما جاء في مجلة « الهلال » (مجلد ٢٧ ج٩ ص ١٢٦ تحت عنوان: (الحيوان والإنسان): « إن محطة السكك الحديدية في (كوبنهاجن) كان يتعشعش فيها الخفاش زهاء نصف قرن ، فلما تقرر هدمها وإعادة بنائها أنشأت البلدية برجاً كلفته عشرات الألوف من الجنيهات منعاً من تشرد الخفاش » .

النسخة المعتمدة في التحقيق

اعتمدنا في تحقيق هذا الجزء على نسخةخطية موجودة ضمن مجموع في جامعة (بيل) في الولايات المتحدة الأمريكية ، رقم: (٢٣٤ ـ مجموعة لاندبيرج) وهذا الجزء فيه من ورقة (٦٩ـ٨٠) . وهو بخط تلميذ المصنف عبدالعزيز بن عمر بن محمد ابن فهد ، نقله من خط شيخه المصنف . وفي آخره أثبت المصنف أسماء جماعة من تلاميذه سمعوه عليه [1] ، وكتب الناسخ في آخره:

« هذا لفظ المؤلف بحروفه ومن خطه ـ أمتع الله المسلمين بحياته ـ نقلتُ ذلك في يومين متواليين ، ثانيهما يوم الثلاثاء ثالث عشر ، جمادى الثاني ، سنة سبع وثمانين وثماني مئة ، بمنزله في مكة المشرفة ، قاله وكتبه أبو الخير وأبو فارس محمد المدعو عبدالعزيز بن عمر بن محمد ابن فهد الهاشمي المكي الشافعي الأثري ، ألهمه الله رشده ، ولطف به وبوالديه وبإخوانه ، وبجميع المسلمين ، والحمدلله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً » .

وعلى طرة المخطوط بخط المصنف ما صورته:

« جزء فيه تحرير الجواب عن ضرب الدواب ، للفقير إلى العفو محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي الشافعي ، غفر الله ذنوبه ، وستر عيوبه ، وأصلح فساد قلبه ، وختم له بخير » .

وعليه أيضاً بخط المصنف سماع الناسخ له منه ، وهذا صورته:

« الحمدلله ، قرأ عليَّ هذا الجواب كاتبه الشيخ الفاضل البارع المحدّث المكثر المفيد سليل الأماثل عز الدين أبو فارس عبدالعزيز ابن صاحبنا الإمام الحافظ المرحوم نجم الدين عمر الهاشمي المكي الشافعي ، عرف بـ« ابن فهد» نفع الله به كما نفع بأسلافه ....» .

---

(١) انظر ما في آخر هذا الجزء (ص ٢٤٨) .

عملنا في التحقيق

يتخلص عملنا في تحقيق هذا الجزء بما يلي:

قمنا بنسخه ، وضبط المشكل من عباراته ، والتعريف بالمبهم من ألفاظه ، وتخريج الأحاديث مع الحكم عليها ، مستأنسين بأحكام الحفاظ والعلماء من أهل الصَّنعة ، فإن وفقنا ؛ فالحمد لله وحده ، وإنْ كانت الأخرى ، فنستغفر الله من الخطأ والزلل ، ونسأله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما قمنا به من جهد متواضع في الدارين ، وأن يجعله في ميزان حسناتنا ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



جُزءٌ فيهِ
تحرير الجواب عن ضرب الدواب

للشيخ العلامة محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (٨٣١ - ٩٠٢) رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

أما بعد حمداً لله الذي وسعت رحمته كل شيء ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه المبعوث رحمة لكل ميت وحيّ ، فهذا جزء أجبت فيه عن مسألة ضرب الدواب ، وأسعفت به من سأل عنها من الفضلاء ، ذوي البراعة والانتخاب ، نفعني الله وإياه به وسائر المسلمين ، وختم لنا بخير أجمعين .

فأقول: قد جاء الضرب في أحاديث ، منها:

[١] ما رواه النسائي في « سننه الكبرى » - بسند صحيح - من حديث عبدالله بن أبي الجعد عن جُعَيْل الأشجعيّ رضي الله عنه قال: « غزوت مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته ، وأنا على فرس لي عجفاء ضعيفة ، فلحقني رسولُ الله ﷺ فقال: سر يا صاحب الفرس . قلت: يا رسول الله، عجفاء ضعيفة . فرفع رسول الله ﷺ مخفقة - يعني دِرَّةً كانت معه فضربها بها ، وقال: اللهم بارك له فيها . قال: فلقد رأيتني ما أملك رأسها

أن تقدَّمَ الناسَ ، ولقد بعْتُ من بطنها باثني عشر ألفاً »[1].

[٢] ومنها ما رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ـ بسند صحيح أيضاً ـ من حديث أبي حازم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «جاء رجل ـ أو قال فتى ـ إلى النبي ﷺ فقال: إني تزوجت امرأة . فقال: هل نظرت إليها، فإن في أعين الأنصار شيئاً ؟ قال: قد نظرت إليها . قال: على كم تزوّجتها ؟ فذكر شيئاً . قال: فكأنكم تنحتون الذهب والفضة من عُرْض هذه الجبال ، ما عندنا اليوم شيء نعطيكه ، ولكن سأبعثك في وجه تصيب فيه، فبعث بعثاً إلى بني عبس ، وبعث الرجل فيهم ، فأتاه فقال: يا رسول الله، أعيتني ناقتي أن تنبعث . قال: فناوله رسول الله ﷺ ـ لعله ـ يده ـ كالمعتمد عليه للقيام ـ فأتاها فضربها برجله . قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه: والذي نفسي بيده لقد رأيتها تسبق القائد»[2].

وهو في « صحيح مسلم » والنسائي[3] ، لكن بدون المقصود منه هنا.

(١) أخرجه النسائي في « الكبرى » كتاب السِّيَر ، باب ضرب الفرس: ٨٨١٨ ، وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني »: ٣/ ٢٥ ، رقم: ١٣١٠ ، والبخاري في « التاريخ الكبير »: ٢/ ٢٤٩ ، والروياني في « مسنده »: ق٢٦٣ / أ ، والطبراني في «الكبير»: ٢١٧٢ ، والمزي في « تهذيب الكمال »: ٥/ ١١٨ ، وقوام السنة التيمي في «دلائل النبوة »: ٣/ ٩٢٢ ، رقم: ١٤٨ ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة »: ١/ ق ١٣٩ / ب ، وأبو القاسم البغوي في « معجم الصحابة »: ل ٨٦ ، وابن قانع في « معجم الصحابة »: ٣/ ق٢٥ /ب ، وابن الأثير في « أسد الغابة »: ١/ ١٨ ، ٣٤٥ ، وقال الهيثمي في « المجمع »: ٥/ ٢٦٦: « رجاله ثقات » ، وصحح الحافظ إسناده في الإصابة: ١١٧١ ، قلت: مداره على عبدالله بن أبي الجعد ، وهو مجهول، ذكره ابن حبان في « ثقاته »: ٥/ ٢٠ ، ٥٤ ، على قاعدته المشهورة، وجهله ابن القطان وذكر له هذا الحديث في« بيان الوهم والإيهام »: ٢/ ق٩/ أ ، فقال بعد أن أورد إسناد النسائي: « فيه اثنان لا تعرف أحوالهما ، أحدهما: عبدالله بن أبي الجعد، فذكره البخاري ولم يعرف من أمره شيء زيادة على ما في هذا الإسناد ، وأما رافع بن سلمة فإنه قد روي عنه جماعة ، وسردهم ، ثم قال: «وهو مع ذلك لا تعرف حاله » . وبالأول أعله الذهبي في «الميزان »: ٢/ ٤٠٠، ووقع اضطراب في اسم الراوي عن ابن أبي الجعد كما أشار إليه البخاري في « التاريخ الكبير »: ٣/ ٣٠٥ .

(٢) أخرجه البيهقي في « الكبرى »: ٧/ ٢٣٥ و« دلائل النبوة »: ٦/ ١٥٤ ، بإسناد صحيح .

(٣) أخرجه مسلم في « صحيحه »: ٩/ ٢٠٩ ، ٢١٠ ـ النووي ، والنسائي في «المجتبى»: ٤/ ٣٢٣ ، وفي « الكبرى »: ـ كما في « التحفة » ـ: ١٣٤٤٦ ، والطحاوي في

=

[٣] ومنها حديث جابر - رضي الله عنه - المتفق على صحته [(١)] في بعيره الذي تخلف وأراد أن يسيّبه [(٢)]، ولفظه في بعض رواياته في «الصحيح» [(٣)]: «قلت: إني على جمل ثفال - يعني بطيء الحركة -. فقال: أمعك قضيب؟ قلت: نعم. قال: أعطينه. فأعطيته إياه، فضربه، فزجره»، الحديث.

وفي بعضها، مما هو في الصحيح أيضاً [(٤)]: «فتخلف - يعني - الجمل - فنزل، فضربه بمحجنه، ثم قال: اركب».

= «شرح معاني الآثار»: ٣/١٤. وأخرجه البزار في «مسنده» كما في «كشف الأستار»: ٢/١٦١، رقم: ١٤٢٥، بأطول منه، وليس فيه موطن الشاهد في إيراد المصنف له، قال الهيثمي: «هو في «الصحيح» ولم أر فيه ذكر الصداق» وقال البزار: «لا نعلمه بهذا اللفظ عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد» وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ٤/٢٨٢، «في الصحيح طرف من أوله» رواه البزار عن أحمد بن أبان ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» الأرقام: ٢٠٩٧، ٢٣٠٩، ٢٣٨٥، ٢٤٩٦، ٢٤٧٠، ٢٦٠٤، ٢٧١٨، ٢٨٦١، ٢٩٦٧، ٣٠٨٩، ٥٠٧٩، ٥٤٤٥، ٥٢٤٧، ومسلم في الصحيح: ٥/٢٢٧، ١٠/٥٣ - ٥٦، ١١/٣٠ - ٣٦، وأبو داود في «السنن»: ٣٥٠٥، والترمذي في «الجامع»: ١٢٥٣ - وقال: «هذا حديث حسن صحيح» - والنسائي في «المجتبى»: ٤٦٣٧، ٤٦٣٨، ٤٦٣٩، ٤٦٤٠، ٤٦٤١، وفي «الكبرى»: ٨٨١٧، وابن ماجه في «السنن»: ٢٢٠٥ وأحمد في «المسند»: ٣/٢٩٩، ٣١٤، ٣٥٨، ٣٦٢، ٢٧٢، ٣٧٥، ٣٩٢، والحميدي في «المسند»: ٢٨٥، والفريابي في «دلائل النبوة»: ٥١، ٥٢، والطحاوي في «شرح معاني الآثار»: ٤/٤١، وأبو يعلى في «المسند»: ١٧٩٣، ١٨٥٠، ١٨٩٨، وتمام في فوائده: ٦٩٥ - ترتيبه، والبيهقي في السنن: ٥/٣٣٧، والدلائل: ٦/١٥١، وأبو نعيم في «المستخرج» والحميدي في «الجمع بين الصحيحين» - كما في الفتح: ٤/٤٨٥، وأبو عوانة والإسماعيلي - كما فيه أيضاً: ٥/٣١٦ - ٣١٨.

(٢) قال الحافظ في «الفتح»: ٥/٣١٥ «أي يطلقه وليس المراد أن يجعله سائبه لا يركبه أحد كما كانوا يفعلون في الجاهلية، لأنه لا يجوز في الإسلام».

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: ٢٣٠٩، من طريق عطاء بن أبي رباح عن جابر.

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه»: ١/٥٥، من طريق وهب بن كيسان عن جابر، لكن لفظه: «فتخلفت فنزل فحجنه بمحجنه، ثم قال: اركب».

وفي بعضها عند مسلم[1]: « فنخسه ، ثم قال: اركب بسم الله » .

وفي بعضـها عند أحـمد[2]: « فقال أنخـه ، وأناخ رسول الله ﷺ ، ثم قال: أعطني هذه العصـا ـ أو اقطع لي عصا من شجرة ـ ففـعلت ، فأخذها فنخسه بها نخسات » .

وفي بعضها مما هو عند الطبراني: « فنفث فـيها ـ أي العصا ـ ثم مجّ من الماء في نحره ، ثم ضربه بالعصى ، فوثب » .

ولغيره: « ونضح ماء في وجهه ودبره ، وضربه بعُصَيَّة فانبعث » .

وفـيهـا من أعلام النبـوة ما لا يخـفى ، وبهـا يستـدل لجواز ضـرب الدابة لتسير وإن كانت غيـر مكلفة . وقد ترجم النسائي في « سننه الكبرى » على الأخير منها: « ضرب البعير » ، وعلى الأول منها: « ضرب الفرس » .

لكن محلّ ذلك ما إذا لم يتحقق أن ذلك منها من فرط تعب وإعياء .

وقد رُوِّينا في تاسع عشـر « المجالسة » من طريق شعـيب بن حرب قال: « لما خرجـت إلى يوسف بن أسبـاط اكتريتُ حـماراً ، فـركبـته ، فـجعل لا يمشي كمـا أريد ، فقـال لي المكاري ، حرّك رجليك يمشي . فـقلت له: ما كنت لأحمله على أكثر من طاقته » .

ويُعلم ذلك بقرائن منـها ـ كما نُقل عـن بعض الأئمة: أنه يشار إليـها من مكان بعيـد بالعلف ونحوه ، فإن قصدَتْه فـجائز له حملها بالضـرب ، لتصل إلى الحـد الذي قَصَدتْ به العلف . لكن ذلك غيـر لازم ، لاحتـمـال أنهـا تكلفت في العَدْو إلى العَلف فوق طاقتـها ، محبّةً فيه ، ورغـبةً إلى الوصول إليه . على أنه روي أنه ﷺ في غـزوة تبوك ، لما جهد الناسُ الظهـرَ جهداً شديداً وشكوا ذلك إليه ، ورآهم رجالاً لا يرجون ظهرهم ، نظر رسول الله ﷺ من مـضيق ممر الناس ، وقـد وقف عليـه والناس يمرون ، فنفخ فـيهـا

---

(١) في « صحيحه »: ١١/٣٤ ، من طريق الجريري عن أبي نضرة عن جابر .

(٢) في « مسنده »: ٣/٣٧٥ ، من طريق محمد بن إسحاق حدثني وهب بن كيسان عن جابر .

وقال: (اللهم احمل عليها في سبيلك ، فإنك تحمل على القوي والضعيف، والرَّطب واليابس ، في البر والبحر) ، فاستمرت . قال راويه - رضي الله عنه: « فما دخلنا المدينة إلا وهي تنازعنا أزمَّتها »[1] . وكأنه ﷺ عدل عن الضرب إلى الدعاء ، للمشقة في استيعابها بالضرب ، أو لتنوع أسباب المعجزة ، أو لشدة ضعفها .

ونحوه ما يُروى فيمن ساء خُلقه من الدَّواب والرقيق ، أنه ﷺ أمر أن يُقرأ في أذُنِه[2]: ﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض

---

(١) إسناده حسن . أخرجه أحمد في « المسند »: ٦/ ٢٠ ، من طريق عصام بن خالد الحضرمي ، وابن حبان في « الصحيح »: ٤٦٨١ - الإحسان ، والفريابي في « دلائل النبوة»: ٥٠ ، وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني »: ٤/ ١٣٢ ، رقم: ٢١١٠ من طريق الوليد بن مسلم ، كلاهما عن صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد عن فضالة ابن عبيد الأنصاري قال: « غزونا مع النبي ﷺ غزوة تبوك ...» فذكره ، وأخرجه الطبري في « الكبير»: ١٨/ ٧٧١ ، و« الدعاء »: ٢/ ١١٩١ رقم: ٨٤٠ ، والبزار «كشف الأستار »: ١٨٤٠ ، من طريق يحيى بن عبدالله البابلي عن صفوان بن عمرو عن عبدالرحمن بن جبير عن فضالة بن عبيد . والبابلي ضعيف ، انظر التقريب: ٧٥٨٥ ، و« مجمع الزوائد »: ٦/ ١٩٣ ، و« السيرة الشامية »: ٢/٢/ ٣٩٤ ، «والذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك»: ٣٣٥ - ٣٣٦ .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط »: ١/ ٧٧ رقم: ٦٤ ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق »: (٤/ ٤١٦ - تهذيب ابن بدران) من طريق الحكم بن يعلى بن عطاء المحاربي ثنا محمد بن عبدالله بن عبيد بن عمير أبو خلف عن أنس رفعه .وقال الطبراني عقبه: « لا يروى هذا الحديث عن أنس إلا بهذا الإسناد » . وقال شيخنا الألباني في « السلسلة الضعيفة »: ٦٧٦ « موضوع . رواه أبو الفضل الهمداني في آخر « مجلس من حديث أبي الشيخ »: ٦٦/ ١ ، وابن عساكر: ٥/ ١٢٢/ ٢ ، عن أبي خلف عن أنس بن مالك مرفوعاً » وقال: « قلت: وهذا إسناد موضوع ، قال الذهبي: أبو خلف الأعجمي عن أنس كذبه يحيى بن معين ، وقال أبو حاتم ، منكر الحديث . قلت: وفيه أيضاً الحكم وشيخه وهما متروكان ، واقتصر الهيثمي في «المجمع » : ٨/ ٢٥- ٢٦ على إعلاله بمحمد بن عبدالله . وقال شيخنا: « والحديث رواه ابن السني [رقم ٥١٢] عن المنهال بن عيسى حدثنا يونس بن عبيد قال ، فذكره مختصراً نحوه موقوفاً عليه . ولذلك قال الحافظ: « هو خبر مقطوع ، والمنهال قال أبو حاتم: مجهول . وقد وجدته عن ابن عباس ، أخرجه الثعلبي (في التفسير)» . ولم يذكر الحافظ إسناده بتمامه لينظر فيه ، وقد نقلت كلامه عن « شرح الأذكار »: ٥/ ١٥٢». انتهى . وقد أوردته كتب التفسير موقوفاً على ابن عباس ، مثل القرطبي في « الجامع لأحكام القرآن »: ٤/ ١٢٨ ، وغيره .

طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون ﴾[1] . فإن علاجها بالضرب حينئذ لا يؤثر في زوال المحذور ، بل ربما يكون سبباً لزيادته .

وقد روى ابن المنذر في « الأوسط » ، وأحمد في « مسنده » ، وغيرهما ، من حديث المِقدام بن شُريح عن أبيه عن عائشة ـ رضي الله عنهما ـ قالت: كنتُ على بعير فيه صعوبة ، فكنت أضربه ـ أو أخْزِقه ـ فقال لي رسول الله ﷺ: (يا عائشة ! ، عليك بالرِّفق ، فإنَّه لا يكون في شيء إلا زانهُ ولا ينزع منه إلا شانه) .

وهو في « صحيح مسلم » بمعناه: « ركبتْ بعيراً فكانت فيه صُعوبةٌ ، فجعلتْ تُرَدِّدُهُ ، فقال لها رسول الله ﷺ: (عليك بالرفق) ، وذكره[2] . ترجم عليه ابن المنذر: « ذكر الرفق بالدواب » .

ومنه في القول عند عثورها ، كما جاء عن أسامة بن عُمير ـ رضي الله عنه ـ مما أخرجه أبو داود ، والنسائي ، وصححه الحاكم ـ قال: « كنت ردف رسول الله ﷺ ، فعثر بعيرُنا ، فقلتُ: تعسَ الشيطانُ . فقال لي رسول الله ﷺ: (لا تقل تعس الشيطان ، فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت، ويقول: بقوّتي . ولكن قل: بسم الله ، فإنه يصغر حتى يصير مثل الذباب)[3] .

(١) سورة آل عمران: ٨٣ .

(٢) أخرجه مسلم في « صحيحه »: ١٦/١٤٦ ـ ١٤٧ ، وأبو داود في « السنن »: ٢٤٧٨ ، و٤٨٠٨ ، وأحمد في « المسند »: ٦/٥٨، ١١٢ ، ١٢٥ ، ١٧١ ، ٢٠٦، ٢٢٢ ، وابن أبي شيبة في « المصنف »: ٥٣٥٦ ، وإسحاق بن راهويه في « المسند»: الأرقام: ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، والبخاري في « الأدب المفرد »: ٤٦٩، ٤٧٥، ٥٨٠ ، وابن حبان في « الصحيح »: ٥٥٠ ـ الإحسان ، والبزار ـ كما في «كشف الأستار » ١٩٦٦ ـ والطيالسي في « المسند »: ١٥١٦ ، ووكيع في « الزهد» رقم: ٤٦٤ وهناد في « الزهد » رقم: ١٢٨٢ ، والطبراني في « الأوسط » والبيهقي في «الشعب » رقم: ١١٠٦٤ ، والبغوي في « شرح السنة »: ٣٤٩٣ ، وابن الأبار في « معجمه »: ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

(٣) أخرجه النسائي في « عمل اليوم والليلة »: ٥٥٥ ، وأبو يعلى في « معجم شيوخه»، رقم: ٧١ ، ومن طريقه الضياء في « المختارة »: ٤/١٩٧ ، رقم: ١٤١٣ ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة: ٥١١ ، والطبراني في « الكبير »: ١/١٩٤ رقم:

وعن حسان أن رجلاً كان على حمار ، فعثر به فقال: تعِسْتَ . فقال صاحب اليمين: ما هي حسنة فأكْتُبها ، وقال صاحب الشمال ، ما هي سيئة فأكْتُبها ، فأوحي ـ أو نُودي ـ: « ما تَرك صاحبُ اليمين فاكتبه » رواه البيهقي في الشعب [(١)] .

وعن بعضهم قال: « خرجت من حَرَّان إلى الموصل في زمن الشتاء والوحل والأمطار ، وكانت جمال الناس تقع كثيراً ، وقاسى الناسُ شدّة عظيمة ، فكنت أخشى على نفسي لما أعلم من ضعفي ، فنمت ، فسمعت قائلاً يقول: ألا أعلمك شيئاً إذا قلته لم يقع جملك ، وتأمن به ؟ فقلت له: بلى والله ، ولك الأجر . فقال لي: قل: ﴿ إن الله يمسك السموات والأرض

= ٥١٦ ، وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني »: ٣٠٦/٢ ، رقم: ١٠٦٨ ، ومن طريقه ، والطبراني من طريق ابن منده في « معرفة أسامي أرداف النبي ﷺ »: ٦٥ـ ٦٦ ، من طريق أحمد بن عبده عن محمد بن حمران القيسي عن خالد الحذاء عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي المليح عن أسامة . وقال النسائي عقبه: « الصواب عندنا حديث عبدالله بن المبارك ، وهذا عندي خطأ » .
وأخرجه أبو داود في « السنن »: ٤٩٨٢ ، من طريق خالد بن عبدالله ، والنسائي في «عمل اليوم والليلة »: ٥٥٤ من طريق ابن المبارك ، كلاهما عن خالد الحذاء به ، لكن بإبهام الصحابي .
وأخرجه الحاكم في « المستدرك »: ٢٩٢/٤ ـ وصححه ووافقه الذهبي ـ من طريق يزيد من زريع عن خالد الحذاء ، وأحمد في « المسند »: ٥٩/٥ ـ ٧١ ، ومن طريقه الضياء في « المختارة »: ١٩٨/٤ رقم: ١٤١٤ ، والبيهقي في « الشعب »: ٥١٨٣ ، ٥١٨٤، من طرق عن عاصم الأحول كلاهما ـ الحذاء والأحوال ـ عن أبي تميمة عن رديف النبي ﷺ ، وأخرجه أحمد في « المسند »: ٩٥/٥ ، حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم قال: سمعت أبا تيمية يحدث عن رديف النبي ﷺ. قال شعبة: قال عاصم عن أبي تميمة عن رجل عن رديف النبي ﷺ .
وأخرجه النسائي في « عمل اليوم والليلة»: ٥٥٦ من طريق خالد الحذاء عن أبي تميمة عن أبي المليح قال: « كان رجل ردف النبي ﷺ ...» مرسلاً .
ورجالها رجال الصحيح كما في « مجمع الزوائد »: ١٣٢/١٣١/١٠ وجهالة الصحابي لا تضر ، وانظر « تحفة الأشراف »: ٦٥/١ ، رقم: ١٣٥ .

(١) أخرجه البيهقي في « الشعب »: ٥١٨٢ قال أخبرنا أبو زكريا ابن أبي إسحاق أخبرنا أبو بكر أحمد بن سلمان الفقيه حدثنا محمد بن الهيثم بن حماد ، حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن حسان فذكره ، ومحمد بن كثير هو (الشامي) « متروك » « كما في « التقريب »: ٦٢٥٥ . وحسان هو ابن عطية المحاربي ، من صغار التابعين.

أن تزولا ﴾[1] الآية . فقلت ، فما وقع جملي حتى دخلت الموصل ، وهلك للناس شيء كثير من سقوط جمالهم ، وسلم ما معي » .

ففي هذه الحالة أيضاً لا يضربها ، لأنه لا قوّة لها في العثر والوحل ، نعم له ضربها على الجفل ، ومعالجتها في تجنبه برفق .

وكذا محل الجواز أيضاً فيما عدا الوجه ، لشمول النهي الوارد فيه كل حيوان محترم ، الآدمي والحمير والخيل والإبل والبغال والغنم وغيرها ، لكنه في الآدمي أشد . بل يروى في النهي عن لطم خدّها ما أخرجه أحمد عن المقدام بن معديكرب - رضي الله عنه - قال: « سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن لطم خدود الدواب ، وقال: (إن الله قد جعل لكم عصياً وسياطاً)[2] .

ولا شك في تحريم تكليفها ما لا طاقة لها به من حمل وسير ، والضرب حينئذ بسبب ذلك حرام ، وقد ورد أنه يُقَصّ للشاة الجلحاء - يعني التي لا قرن لها - من القرناء[3] ، فالقصاص هنا من باب أولى . وقريب

---

(١) سورة فاطر: ٤١ .

(٢) إسناده ضعيف . أخرجه أحمد: ٤/ ١٣١ ، حدثنا سريج بن النعمان حدثنا بقية بن الوليد عن أرطاة بن المنذر عن بعض أشياخ الجند عن المقدام . قال الهيثمي في «المجمع»: ٨/ ١٠٩ ، بعد أن عزاه له: «وفيه راوٍ لم يسم ، وبقية مدلس» . وله شاهد من حديث الصماء بنت بسر ، يأتي صفحة (٢٢١) .

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح»: ١٦/ ١٣٦ ، والترمذي في «الجامع»: ٢٤٢٠ - وقال: «حسن صحيح» - وأحمد في «المسند» ٢/ ٢٣٥ ، ٣٠١ ، ٣٢٣ ، ٣٧٢ ، ٤١١ ، والبخاري في «الأدب المفرد»: ١٨٣ وأسد بن موسى في «الزهد»: ١٠٢ ، وأبو يعلى: ٦٥١٣ والطبراني في «الأوسط»: ٢/ق٣٥ ، والبيهقي: ٦/ ٩٣ ، وابن حبان في «الصحيح»: ٧٣٦٣ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» . قال النووي في شرحه: «هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة ، وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين ، وكما يعاد الأطفال والمجانين ، ومن لم تبلغه دعوة . وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة ، قال الله تعالى: ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ . وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع وجب حمله على ظاهره . قال العلماء : وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب ، وأما القصاص من القرناء للجلحاء ، فليس هو من قصاص التكليف إذ لا تكليف عليهما ، بل هو قصاص مقابلة » .

منه حديث أخذ الفرخين ، كما سيأتي [1] .

وكذا ورد مما يقتضي سؤال ربِّ الدابة عن صنيعه معها حديث: (من قتل عصفوراً في غير شيء - إلا بحقه - سأله الله عز وجل عن ذلك . قيل: يا رسول الله ، وما حقه ؟ قال: أن يذبحه ويأكله) [2] . وفي لفظ: (من قتل عصفوراً عَبثاً عجَّ إلى الله - عز وجل - يوم القيامة ، يقولُ: يا ربِّ ، إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعةً) [3] . صححه ابن حبان وغيره .

بل وردت الوصية بها في أحاديث:

[1] فروى الحارث بن أبي أسامة في « مسنده » من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - أنه أتى بقوم قد أناخوا بعيراً فحمَّلوه غِرارتين ثم عَلوْه بأخرى ، فلم يستطع البعيرُ أنْ ينهض ، فألقاها عنه أبو الدرداء ، ثم أنهضه

---

(١) صفحة (٢٢٧) .

(٢) أخرجه من حديث عبدالله بن عمرو: النسائي في « المجتبى »: ٤٤٤٥ ، ٤٣٤٩ ، وأحمد في « المسند »: ٢/١٦٦ ، ١٩٧ ، والحميدي في « المسند »: ٥٨٧ ، والشافعي في « السنن المأثورة »: ٦٠٦ - ومن طريقه الطحاوي في « مشكل الآثار »: ١/٣٧٢ ، والبيهقي: ٩/٨٦ - وأسد بن موسى في « الزهد »: ١٠٤ والفسوي في «المعرفة والتاريخ »: ٢/٢٠٨ ، ٧٠٣ ، والحاكم: ٤/٢٣٣ - وصححه ووافقه الذهبي - والبغوي في « شرح السنة »: ٢٧٨٧ من طرق عن عمرو بن دينار عن صهيب مولى عبدالله بن عامر عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ . وضعفه شيخنا الألباني في « غاية المرام »: ٤٧ لأجل صهيب .

(٣) أخرجه النسائي في « المجتبى »: ٤٤٤٦ ، وأحمد في « المسند »: ٤/٣٨٩ والبخاري في « التاريخ الكبير »: ٤/٢٧٧ - ٢٧٨ ، وابن حبان في « الصحيح »: ٥٨٩٤ ، والطبراني في « الكبير »: ٧٢٤٥ ، وابن عدي: ٥/١٧٣٧ ، والدولابي في «الكنى»: ١/١٧٥ ، من طريق عامر الأحول عن صالح بن دينار عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ ، فذكره ، وأخرجه الطبراني في « الكبير »: ٧٢٤٦ ، من طريق أبان بن صالح عن صالح بن دينار به . وأخرجه الطحاوي في « المشكل » : ١/٣٧٢ من طريق أبان بن صالح عن عمرو بن دينار عن عمرو بن الشريد به - كذا في المطبوع وإنما هو صالح بن دينار . وضعفه شيخنا الألباني في « غاية المرام »: ٤٦ . وله شاهد من حديث أنس ، أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب »: ٥٢٤ ، وابن عدي في « الكامل »: ٣/١٠٤٧ ، وقال شيخنا الألباني في « غاية المرام »: صفحة ٤٨: « وهذا إسناد ضعيف جداً » . وله شاهد آخر عن قتادة مرسلاً ، أخرجه عبدالرزاق في « المصنف »: ٨٤١٣ .

فانتهض، فقال أبو الدرداء: إنْ غفر الله لكم ما تأتون إلى البهائم ليغفرنّ عظيماً، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله يوصيكم بهذه العُجم خيراً، أن تنزلوا بها منازلها، فإذا أصابتكم سَنَةٌ أن تنجو عليها بِنقْيِها)[1].

وهي بكسر النون، وسكون القاف، بعدها تحتانية، أي مخها. ومعناه: أسرعوا حتى تصلوا مقصدكم قبل أن يذهب مخها من ضنك السير والتعب. ويوضحه الرواية الآتية بعد.

[٢] وعند الإمام أحمد في «مسنده»، وكذا عند غيره، مرفوعاً منه: «لو غفر لكم ما تأتون إلى البهائم لغَفَر كثيراً»[2].

[٣] وعند أحمد في «مسنده» من حديث عبيدالله بن زياد أنه دخل على ابني بُسْرٍ السُّلَمِيَّين فقال لهما: «يرحمكما الله، الرجل منا يركب دابته فيضربها بالسوط، ويكفحها باللجام، هل سمعتما من رسول الله ﷺ في ذلك شيئاً؟ فإذا امرأة قد نادت من جوف البيت: أيها السائل، إن الله - عز وجل - يقول ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرَّطنا في الكتاب من شيء﴾[3].



(١) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» كما في «المطالب العالية»: ١٩٢٣. ونقل المحقق قول البوصيري: «رجاله ثقات»، وله شواهد عديدة سيذكر المصنف صفحة (٢٣٤) بعضاً منها.

(٢) أخرجه أحمد: ٦/٢٤١، ٤٤٢، حدثنا هيثم بن خارجة، والبيهقي في «الشعب»: ٥١٨٨، من طريق عباس الدوري كلاهما عن أبي الربيع سليمان بن عتبة السلمي عن يونس بن ميسرة عن أبي إدريس عن أبي الدرداء رفعه. وأخرجه عبدالله في «زوائد المسند»: بإسناد أبيه، موقوفاً، وذكر أن الهيثم وقفه. قال الهيثمي: «وإسناده جيد»: ١٠/١٩٤. وكذلك رمز السيوطي في «الجامع الصغير» لحسنه - «فيض القدير»: ٧٤٥٦ - ونقل المناوي أن الهيثمي قال: «رواه أحمد مرفوعاً ورواه ابنه موقوفاً وإسناده أصح وهو أشبه». وهذه عبارة المنذري في «الترغيب»: ٣/٣١٣ - ٣١٤، لا الهيثمي كما نبَّه على ذلك شيخنا الألباني، وحسن إسناده - يعني مرفوعاً - في «السلسلة الصحيحة»: ٤/٥.

(٣) سورة الأنعام: ٣٨.

فقالا: هذه أختنا ، وهي أكبر منا ، وقد أدركتْ رسولَ الله ﷺ »[1].

[٤] وللطبراني في « الكبير » بسند جيد عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ صلى الظهر فوجد ناقة معقولة فقال: (أين صاحب هذه الراحلة ؟ فلم يستجب له أحد ، فدخل المسجد ، فصلى حتى فرغ ، وخرج فوجد الراحلة كما هي ، فقال: أين صاحب هذه الراحلة ؟ فاستجاب له ، فقال: أنا يا نبي الله فقال: ألا تتقي الله ـ عز وجل ـ فيها ؟ إمّا أن تعقِلها وتطعمها ، وإما أن ترسلها حتى تبتغي لنفسها)[2].

[٥] ونحوه حديث: (دَخلت امرأةٌ النارَ في هِرَّةٍ حبستْها حتى ماتت ، لا هي أطعَمَتْها وسَقَتْها إذ هي حبستْها ، ولا هي أرسَلَتْها تأكُلُ من خَشاش الأرض)[3] .

---

(١) إسناده صحيح . أخرجه أحمد: ٤/١٨٩ من طريق عيسى بن يونس ، والبيهقي في « الشعب »: ١١٠٦٦ ، من طريق الوليد بن مسلم ، كلاهما عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر عن عبيد الله بن زياد ، وقال الهيثمي بعد أن عزاه لأحمد: ٨/١٠٩ ـ ١١٠: « ورجاله ثقات » . والحديث أخرجه أيضاً: « الخطيب في « تالي التلخيص»، وابن عساكر ـ كما في « الدر المنثور »: ٣/٢٦٧ . واسم أختهما التي أجابت «الصماء » انظر « الأصابة »: ٤/٣٥١ .

(٢) قال الهيثمي في « المجمع »: ٨/١٩٩ ـ ٢٠٠ بعد أن عزاه للطبراني ، وإسناده جيد.

(٣) أخرجه من حديث أبي هريرة: البخاري في « الصحيح »: ٣٣١٨ ، ومسلم : ١٤/ ٢٤٠ ـ ٢٤١ ، ١٦/١٧٣ ، ١٧/٧٢ ، وابن ماجه: ٤٢٥٦ ، وابن راهويه في «المسند »: ٨١ ، وابن ماجه: ٤٢٥٦: وأحمد في « المسند »: ٢/٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٢٨٦، ٣١٧ ، ٤٢٤ ، ٤٥٧ ، ٤٦٧ ، ٤٧٩ ، وفي « فضائل الصحابة »: ١٨٤ ـ مطولاً ـ وهمام في « صحيفته »: ٨٩ ، وعبدالرزاق في « المصنف»: ١١/٢٨٤ ، وعلي بن الجعد في « المسند »: ١١٧٩ ، وابن طهمان في « سننه »: ١١٦ ، وابن حبان: ٥٦٢١ ، وبإثر حديث: ٥٤٦ ، وهناد في « الزهد »: ١٣٤١ و ١٣٤٢ ، والدارقطني في « الجزء الثالث والعشرين من حديث أبي الطاهر الذهلي »: ٨٧ ، والخطابي في « غريب الحديث »: ١/٤٦٤ ، وبيبي في « جزئها »: ٩٢ ، والبيهقي في « الكبرى » : ٨/١٤، و« الآداب » : ١١٧٥ ، والبغوي في « شرح السنة » : ١٦٧٠ ، ٤١٨٤ .
ويروى أيضاً من حديث ابن عمر ، وجابر بن عبدالله ، وعبدالله بن عمرو ، وأسماء بنت أبي بكر .

وبه استُدل لجواز حبس الطائر ونحوه في القفص ونحوه، وكذا استنبطه أبو العباس ابن القاص من فوائد حديث: (يا أبا عُمير، ما فعل النُّغَير)[1]، وسبقه لذلك البخاري، فإنه ترجم في «الأدب المفرد» من تصانيفه: «الطير في القفص»، وساق بسند صحيح عن هشام بن عروة، قال: «كان ابن الزبير بمكة وأصحاب رسول الله ﷺ يحملون الطير في الأقفاص»[2]. ثم أردفه بحديث: (يا أبا عمير، ما فعل النغير).

[٦] وروى أبو داود في «سننه» والطبراني، وصححه ابن خزيمة وغيره، من حديث سهل ابن الحنظلية - رضي الله عنه - قال: «مرّ رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال: (اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة)»[3] وفي رواية: (فاركبوها صحاحاً)[4].

ترجم عليه ابن خزيمة: «استحباب الإحسان إلى الدواب المركوبة في العلف والسقي، وكراهية إجاعتها وإعطاشها وركوبها والسير عليها جياعاً وعطاشاً».

(١) أخرجه من حديث انس بن مالك، البخاري في «الصحيح»: ٦١٢٩، ٦٢٠٣، وفي «الأدب المفرد»: ٢٦٩، ٣٨٦، ومسلم في «الصحيح»: ٥/١٦٢ - ١٦٤، ١٤/١٢٨، وأبو داود: ٤٩٦٩، والترمذي: ٣٣٣، ١٩٨٩ - وقال: «حسن صحيح» - والنسائي في اليوم والليلة: ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٦٣٣، وابن ماجه: ٣٧٢٠، ٣٧٤٠، وأحمد: ٣/١١٤ - ١١٥، ١١٩، ١٧١، ١٨٨، ١٩٠، ٢٠١، ٢١٢، ٢٢٢ - ٢٢٣، ٢٧٨، ٢٨٨ وابن أبي شيبة: ١/٤٠٠، ٦٣٢٣، وأبو عوانة: ٢/٧٢، وابن حبان: ٢٣٠٨، ٢٥٠٦، وابن سعد: ٨/٣١٢ - ٣١٣، وأبو نعيم في الحلية: ٧/١٦٢، ٣١٠، والبيهقي: ٥/٢٠٣. وجزء ابن القاص - واسمه أحمد ابن أبي أحمد الطبري «ت ٣٣٥هـ» طبع عن مكتبة السنة بالقاهرة، سنة: ١٤١٣هـ في ٤٧ صفحة بتحقيق صابر البطاوي.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»: رقم: ٣٨٥.

(٣) أخرجه أبو داود: ٢٥٤٨، ١٦٢٩ - لكن دون قصة البعير في الموضع الثاني -، وأحمد: ٤/١٨٠ - ١٨١، وابن خزيمة: ٢٥٤٥، وابن حبان: ٥٤٥، و٣٣٩٤ والطبراني: ٥٦٢٠. وصححه شيخنا الألباني في «السلسلة الصحيحة»: ٢٣.

(٤) عند أحمد: ٤/١٨٠ - ١٨١، وابن حبان: ٥٤٥، ٣٣٩٤.

[٧] وفي « سنن أبي داود » من حديث عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما أنه ﷺ قال لبعض الأنصار ـ وقد جاء بعير له يشكوه إلى النبي ﷺ ، وأنه يُدْئِبُه [(١)] في العمل ويُجيعُه ـ: (أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها) [(٢)] .

ومعنى يُدْئبُه: أي يُكِدّه ويتعبه .

وفي رواية أن البعير كان لجماعة ، وأنهم قالوا: « يا رسول الله ، إنا سَنَوْنا عليه منذ عشرين سنة ، فلما كبُرتْ سنُّه وكانت عليه شُحَيمة ، أردنا نحره لنَقْسِمه بين غلمتنا » ، وأنه ﷺ سألهم في ابتياعه منهم فقالوا: « هو لك يا رسول الله . قال: فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله » [(٣)] ، ومنعهم من نحره . ومحل الاقتداء بهذا الصنيع إذا أمن الضياع ، ولم يجُرَّ ذلك إلى فساد منه .

ونحو هذا في إعفاء الدابة من النحر ، قصة إغارة المشركين على سَرح المدينة وفيه العضباءُ ، ناقةُ النبي ﷺ ، و كانت من سَوابق الحاجِّ ، وفي المأسورين امرأة من الأنصار ـ يُقال إنها امرأة أبي ذر رضي الله عنهما ـ قال الراوي: « فكانوا إذا كانوا من الليل يريحون إبلهم في أفنيتهم ، قال: فنوَّموا ليلة ، فقامت المرأة ، فجعلت لا تضع يدها على بعير إلا رَغاً ، حتى أتت

---

(١) تصحّفت في الخطوط « يذنبه » بالذال المعجمة .

(٢) أخرجه أبو داود: ٢٥٤٩ ، وأحمد: ١/٢٠٤ ، ٢٠٥ ، وأبو عوانة: ١/١٩٧ ، وابن أبي شيبة: ١١٨٠٥ ، وأبو يعلي: ٦٧٨٧ ، ٦٧٨٨ ، والحاكم: ٢/٩٩ ـ ١٠٠ ـ وصححه ووافقه الذهبي ـ والبيهقي في السنن: ١/٩٤ ، و٨/١٣، والدلائل: ٦/٢٦ ـ ٢٧ . وهو عند مسلم: ٤/٣٥ ، ١٥/١٩٧ ، وابن ماجه: ٣٤٠ ، مختصراً دون قصة الجمل . والحديث صححه شيخنا الألباني في السلسلة الصحيحة » ٢٠ .

(٣) اخرجه أبو نعيم في « دلائل النبوة »: ٢٨١، وابن عبدالبر في « التمهيد »: ١/٢٢٣ ـ ٢٢٤ من حديث جابر بن عبدالله مطوّلاً وفيه ذكر لخلاء النبي ﷺ وتقارب الشجر لستره وقصة المرأة التي معها ابن لها يصرع ، وأصله عند أبي داود: ٢ ، وابن ماجه: ٣٣٥ في ذكر إبعاده ﷺ المذهب عند الخلاء فقط . وأخرج نحوه الطبراني في الكبير: ١٠٠١٦ ، والأوسط ـ مجمع البحرين: ٣٢٠ ـ والبزار ـ كشف الأستار: ٢٤١٢ . من حديث ابن مسعود مطوّلاً ، وفيه ذكر تقارب الشجر لستره ﷺ عند خلائه أيضاً .

على العَضْباء ، قال: فـأتَتْ على ناقةٍ ذَلولٍ مُجَرَّسَةٍ ـ وفي رواية: وهي ناقةٌ مُدَرَّبَةٌ ـ فلم تـرْغُ ، قـال: فـركبـتْهـا ، قـعَدتْ في عَجُزهـا ، ثم زجَرتْهـا فانطلقت ، ونذِرُوا بها فطلبوها فاعجزتْهم .

قال: ونذرت لله إنْ نجّاها اللهُ عليـها لتَنْحَرَنَّهـا ، قال: فلما قـدمتْ المدينة عُرفت الناقـة ناقة النبي ﷺ ، فـأخبر النـبي ﷺ بذلك ، فقال: (بئس ما جَزَتْهـا ـ أو جَزَيْتيهـا ـ إنِ الله أنجـاها عليـهـا لتنْحَرَنَّهـا ، لا وفـاءَ لنذْر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم)[1] .

أخرجه مسـلم في « صحيحه » وأبو داود وغيـرهما من حديث أبي المهلب عن عمران بن الحصين ـ رضي الله عنهما .

وقـوله: « مُجَرَّسَــة »: أي مُجربَّة ، يعني مـدرّبة في الركـوب والسـير كالرواية الأخرى ، والمجرَّس من الناس: الذي قد جرَّب الأمور وخبَرها .

وفي رواية عند البيهـقي من حديث عمرو بن شعـيب عن أبيه عن جده ـ رضي الله عنه ـ إنَّ امـرأة أبي ذرّ جاءت على الـقـصـواء ، راحلة النبي ﷺ حتى أناخت عند المسجـد ، فقـالت: يا رسـول الله ، نذرتُ إنْ نجـاني الله عليـها لآكلـنّ من كبـدها وسنامـها ، قـال: (بئس مـا جزيـتهـا ، ليس هذا نذراً، إنما النذر ما ابتغي به وجه الله ـ عزّ وجلّ) .

ومـا أحسن قـوله ﷺ: (إن الله كـتبَ الإحسـان على كلّ شيء ، فـإذا قتلتُم فأحسنوا القِتْلة ، وإذا ذبحتُم فأحسنوا الذِّبْحة ، وليُحِدَّ أحدُكم شفْرتَهَ ،

---

(١) اخـرجه مسـلم في « صحيـحه »: ١١/٩٩ ـ ١٠٢ ـ النووي ، وأبو داود: ٣٣١٦ ، وقـال عقـبه: « والمرأة هذه امرأة ابي ذر » ، واحمـد: ٤/٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٣٣ ـ ٤٣٤، والنسائي في كتاب السير من « الكبرى » ـ كما في « التحفة »: ٨/٢٠٢ ، وعبدالرزاق: ٩٣٩٥ ، وسعيد بن منصـور: ٢٩٦٧ ، والحميدي: ٨٢٩ ، والبيهقي في « السنن الكبـرى »: ٩/١٠٩ ـ ١١٠ ، وفي « الدلائل »: ٤/١٨٩ من حـديث أبي المهلب به . وأخرجـه أحمد: ٤/٤٢٩ من طريق الحسن عن عمران بن الحصين ـ ولم يسمع منه ـ انظر « المراسيل »: ٤٠ ، وانظر السيرة النبوية لابن هشام: ٣/٣٩٥ .

ولْيُرِحْ ذَبيحته)[1] . (لا تُنزعُ الرَّحمةُ إلا من شقيّ)[2] ، (من رحم ولو ذبيحة رحمه الله يوم القيامة)[3] . (والشاة إن رحمتها رحمك الله)[4]. (من لا يَرْحَم لا يُرحَمْ)[5]، (الراحمُون يرْحمُهم الرحمن)[6] .

(١) أخرجه من حديث شداد بن أوس: مسلم: ١٩٥٥ ، وأبو داود: ٢٨١٥ ، والترمذي: ١٤٠٩ ـ وقال: « هذا حديث حسن صحيح » ـ ، والنسائي: ٤٤٠ ، ٥٤١١ ، ٤٤٦٢ ، ٤٤١٣ ، ٤٤١٤ ، وابن ماجه: ٣١٧٠ ، والدارمي: ٢/٨٢ ، وعبدالرزاق: ٨٦٠٣ ، والطيالسي: ١١١٩ ، وأحمد: ٤/١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، وابن الجارود: ٨٣٩ ، ٨٩٩ ، وابن حبان: ٥٨٨٣ ، ٥٨٨٤ ، والطبراني في «الكبير»: ٧١١٤ ـ ٧١٢٣ ، و« الصغير»: ٢/١٠٥ ، وعلي بن الجعد في « مسنده»: ١٢٦٢، والسهمي في « تاريخ جرجان »: ٣٨٦ ، والبيهقي: ٨/٦٠ ـ ٦١، و٩/٦٨، ٢٨ ، والخطيب في « تاريخه »: ٥/٢٧٨ ، والبغوي في « شرح السنة »: ٢٧٨٣.

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة: أبو داود: ٤٩٤٢ ، والترمذي: ١٩٢٣ ـ وقال: « هذا حديث حسن » ـ وأحمد: ٢/٣٠١ ، ٤٤٢ ، ٤٦١ ، ٥٣٩ ، والطيالسي: ٢٥٢٩ ، والبخاري في « الأدب المفرد »: ٣٧٦ ، وابن حبان: ٤٦٢ و ٤٦٦ ـ وحسن الشيخ شعيب إسناده ـ والحاكم: ٤/٢٤٨ ـ ٢٤٩ ، وصححه ووافقه الذهبي ـ والقضاعي في مسند الشهاب: ٧٧٢ ، والبيهقي: ٨/١٦١ ، والبغوي في شرح السنة: ٣٤٥٠ .

(٣) أخرجه من حديث أبي أمامة: البخاري في « الأدب المفرد »: ٣٨٣ ، والطبراني في « الكبير »: ٧٩١٣ ، ٧٩١٥ ، وابن عدي: ٧/٢٥٤٢ ، وتمام في فوائده: ١٢٤٥ ، والضياء المقدسي في « المختارة » ، والبيهقي في « الشعب »: ٧/٤٨٢ ، وحسن شيخنا الألباني إسناده في « السلسلة الصحيحة »: ٢٧ .

(٤) أخرجه من حديث قرّة المزني: البخاري في « الأدب المفرد » : ٣٧٥ ، وأحمد : ٣/٤٣٦، ٥/٣٤ ، والطبراني في « الكبير »: ١٩/٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، و« الأوسط »: مجمع البحرين: ١٦١ ـ و« الصغير »: ١/١٠٩ ، والبزار: « كشف الأستار »: ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ـ والحاكم: ٣/٥٨٦ ـ ٥٨٧ ، وابن عدي: ٥/٢٠١٣ ، وأبو نعيم في « الحلية »: ٢/٣٠٢ ، ٦/٣٤٣ ، وصححه شيخنا الألباني في « السلسلة الصحيحة »: ٢٦ . وأخرجه الطبراني: ٢٠/٤٦٦ ، من حديث معقل بن يسار ، قال الهيثمي في « مجمع الزوائد »: ٤/٣٦ « وفيه عثمان بن عبدالرحمن الجمحي ، قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به » .

(٥) أخرجه من حديث أبي هريرة ، البخاري في « الصحيح »: ٥٩٩٧ ، ومسلم في « الصحيح »: ٢٣١٨ ، وأبو داود: ٥٢١٨ ، والترمذي: ١٩١١ ، وقال: « هذا حديث حسن صحيح » ـ والبخاري في « الأدب المفرد »: ٩١ ، وعبدالرزاق: ٢٠٥٨٩ ، وأحمد: ٢/٢٦٩ ، ٢٢٨ ، ٢٤١ ، ٥١٤ ، والحميدي: ١١٠٦١ ، وابن حبان: ٤٥٧ ، ٤٦٣ ، ٥٥٩٤ ، ٥٥٩٦ ، ٦٩٧٥ ، وهناد في « الزهد »: ١٣٣٠ ، وأبو الشيخ في « أخلاق النبي »: ٨٦ ، والبيهقي في « السنن »: ٧/١٠٠ ، وفي الآداب: ١٤، والخطيب في « الأسماء المبهمة»: ٤٠١، والإسماعيلي ـ كما في الفتح:١٠/٤٢٩. ويروى كذلك من حديث جرير عبدالله ، وجابر بن عبدالله ، وعبدالله بن مسعود ، وابن عمر ، وعمران بن حصين ، وأبي سعيد الخدري ، ومعاوية بن حيدة .

=

(إن كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي)[1] . **في أحاديث كثيرة ، يندرج فيها ما نحن فيه .**

ونحوها: (إذا حلبتَ شاة فأبْقِ لولدها ، دع دواعي اللبن)[2] .

= (٦) أخرجه مطوّلاً من حديث عبدالله بن عمرو: أبو داود: ٤٩٤١ ، والترمذي: ١٩٢٤ ـ وقال: « هذا حديث حسن صحيح » ، والحميدي: ٢٥٩١ وأحمد: ٢/١٦٠ ، والحاكم: ٤/١٥٩ ـ وصححه ووافقه الذهبي ـ والبيهقي في « الأسماء والصفات »: ٤٢٣ ، والخطيب في « تاريخه »: ٣/٢٦٠ ، وأبو الفتح الخرقي في « الفوائد الملتقطة»: ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، وابن قدامة في « إثبات صفة العلو »: ١٥ ، وابن المستوفي في « تاريخ إربل »: ١/٤٠٦ ، والتجيبي في « المستفاد »: ١١٨ ، ٤٤٢ ، والفهري في « ملء العيبة »: ٢٩١ ، والذهبي في « السير »: ١٧/٦٥٦ . والبخاري في «التاريخ الكبير»: ٩/٦٤ ، وأبو عثمان الدارمي في « الرد على الجهمية »: ٦٩ ، والرامهرمزي في « المحدث الفاصل »: ٧٧٥ ، والعراقي في « العشاريات »: ص ١٢٥ ، وقال: « هذا حديث صحيح » ، وابن حجر في « الإمتاع » : ١ـ وحسنه. والحديث في « السلسلة الصحيحة »: ٩٢٥ .

(١) عزاه في « الكنز »: ٥٩٩١ لأبي الشيخ وابن عساكر والديلمي من حديث أبي بكر.

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية »: ٨/١٧٦ ، حدثنا سليمان بن أحمد بن الحلواني حدثنا سعيد بن سليمان عن عبدالله بن المبارك عن سعيد بن أيوب عن عبدالله بن جنادة بن أبي عبدالرحمن الجنلي عن عبدالله بن عمرو قال: « مرّ رسول الله ﷺ برجل يحلب شاة فقال: إذا حلبت فابق لولدها ، فإنها في أبرّ الدواب » وقال عقبه: « غريب بهذه اللفظة ، لم نكتبه إلا من حديث ابن المبارك ». وأخرج أحمد: ٤/ ٧٦، ٣٢٢ ، ٣٣٩ ، والدارمي: ٢/٨٨ ، والبخاري في « التاريخ »: ٤/٣٣٨ ـ ٣٣٩ ، وابن حبان: ٥٢٨٣ ، والطبراني: ٨١٢٨ ، ٨١٢٩ ، ٨١٣٠ ، ٨١٣١ ، والحاكم: ٣/٢٣٧ ، وصححه ، والبيهقي: ٨/١٤ ، ووكيع في الزهد: ٤٩٥ ، وهناد في « الزهد » كذلك: ٧٣٣ ، والفسوي في « المعرفة والتاريخ»: ٢/٦٥٤ ، والحراني في « تاريخ الرقة »: ٤١ ـ ٤٢ ، والذهبي في « الميزان »: ٤/٤٤٩ ، وابن الأثير في « أسد الغابة »: ٢/٤٣٥ ، من طرق عن الأعمش عن يعقوب بن بحير عن ضرار بن الأزور قال: « بعثني أهلي بلقوح إلى النبي ﷺ قال: فأتيته بها ، فأمرني أن أحلبها ، فحلبتها ، فقال لي النبي ﷺ: « دع داعي اللبن » . قال الذهبي: يعقوب بن بحير لا يعرف ، تفرّد عنه الأعمش . وقال عن الحديث « غريب فرد ، والأعمش فمدلس ، وما ذكر سماعاً ، ولا يعقوب ذكر سماعه من ضرار ، ولا أعرف لضرار سواه » ورواية الفسوي فيها تصريح الأعمش بالسماع ، إن كان ذلك محفوظاً . وأخرجه أحمد: ٤/٣١١ ، ٣٣٩ ، والبخاري في « التاريخ »: ٤/٣٣٩ ، والطبراني: ٨١٢٧ ، والحاكم: ٣/٦٢٠ ، والفسوي: ٢/٦٥٤ ، من طريق سفيان الثوري عن الأعمش عن عبدالله بن سنان عن ضرار . وقال الطبراني عقب روايته : « هكذا رواه سفيان الثوري: عن الأعمش عن عبدالله بن سنان ، وخالفه أصحاب الأعمش فرووه عن الأعمش عن يعقوب بن بحير » ونحوه قول أبي حاتم وأبي زرعة

(قلموا أظفاركم لا تعطبوا بها ضروع مواشيكم)[1] . (ونزل ﷺ منزلاً ، فأخذ رجلٌ بيْضَ حُمَّرة ، فجاءت ترفّ على رأس النبي ﷺ فقال: أيكم فجَع هذه ببيضتها ؟ فقال رجل: يا رسول الله ، أنا أخذت بيضتها ، فقال النبي ﷺ: اردد رحمة لها)[2].

وروّينا في « فوائد ابن ملاس »[3] من طريق الحسن بن أبي الحسن عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: (كان فيمن كان قبلكم رجل يأتي وكْرَ طائر ، إذا أفرخ يأخذ فرخيه ، فشكا ذلك الطائر إلى الله ـ عز وجل ـ ما يصنع ذلك الرجل به ، فأوحى الله عز وجل ـ إليه: إن هو عاد فسأهلكه ، فلما أفرخ خرج ذلك الرجل كما كان يخرج ، وأخذ سُلماً ، فلما كان في طريق القرية لقيه سائل فأعطاه رغيفاً من زاده ،

= الرازيان ، انظر علل الحديث: ٢٢٢٥ . « ورواه ابن شاهين من طريق موسى بن عبد الملك بن عمير عن أبيه عن ضرار بمعناه » ـ كما في « الإصابة »: ٢/ ٢٠٨ ، وموسى ضعيف ـ كما في الميزان: ٨٨٩٤ ، والحديث في « السلسلة الصحيحة: ١٨٦٠.

(١) أخرجه أحمد: ٣/ ٤٨٤ ، والطبراني: ٦٤٨٢ ، والبيهقي: ٨/ ١٤ ، من حديث سوادة بن الربيع قال: « أتيت النبي ﷺ ـ فسألته ، فأمر لي بذود ، وقال: إذا رجعت إلى بيتك فمرهم فليحسنوا غذاء رباعهم ، ومرهم فليقلموا أظفارهم لا يعطبوا ضروع مواشيهم إذا حلبوا » [وفي بعض الروايات: يعبطوا] وجود إسناده الهيثمي في « المجمع »: ٨/ ١٩٦، وحسنه شيخنا الألباني في « الصحيحة »: ٣١٧.

(٢) أخرجه الحاكم: ٤/ ٢٣٩ من طريق أبي معاوية حدثنا أبو إسحاق الشيباني ، حدثنا الحسن بن سعد عن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن أبيه قال ، فذكره . وصححه ووافقه الذهبي . وأخرجه أبو داود: ٢٦٧٥ ، و٥٢٦٨ من طريق أبي إسحاق الفزاري عن أبي إسحاق الشيباني به ، وهو في كتاب « السير » للفزاري : ١١٠ لكن قال فيه: « عن أبي إسحاق الشيباني عن قيس أو غيره عن عبدالرحمن » به ولم يذكر الحسن !! وأخرجه البخاري في « الأدب المفرد »: ٣٨٤ ، من طريق المسعودي والنسائي في « التفسير »: كما في «التحفة »: ٩٣٦٧ ـ من طريق الثوري كلاهما عن الحسن بن سعد به . وأخرجه أحمد: ١/ ٤٠٤ مرتين: قال في الأولى: «حدثنا أبو قطن ثنا المسعود عن الحسن بن سعد عن عبد الرحمن بن عبدالله قال » ، فذكره مرسلاً . وقال في الثانية: « حدثنا يزيد أخبرنا المسعودي عن القاسم والحسن بن سعد عن عبدالرحمن بن عبدالله قال » ، فذكره مرسلاً كذلك . وفي سماع عبدالرحمن من أبيه اختلاف . انظر « التهذيب »: ٦/ ١٩٥ ـ ١٩٦ ، والحديث صححه شيخنا الألباني في «السلسلة الصحيحة »: ٢٥ .

(٣) هو محمد بن هشام بن ملاس . كما في « فتح الباري »: ٨/ ١٨٠ .

ثم مضى حتى أتى ذلك الوكر ، فوضع سُلمه ، ثم صعد فأخذ الفرخين وأبواهما ينظران ، فقالا: يا ربّ إنك وعدتنا أن تُهلكه إن عاد ، وقد عاد فأخذهما ولم تهلكه ، قال: فأوحى الله إليهما ، أوَلم تعلما أني لا أهلك أحداً تصدّق في يوم - بصدقة ذلك اليوم - بميتة سوء) [1].

بل وردت فيه بخصوصه أحاديث ، منها في القول عند ركوبها رجاء التخفيف عنها:

فيروى أنه ﷺ قال: (من قال إذا ركب دابة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء ، سبحانه ليس له سميّ ، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، والحمدلله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وعليه السلام ، قالت الدابة: بارك الله عليك من مؤمن خففتَ عن ظهري ، وأطعتَ ربك ، وأحسنتَ إلى نفسك ، بارك الله في سفرك ، وأنجح مقصدك) [2].

ومنها في كيفية وضع الحمل عليها ، بما يكون عوناً لها على السير ، وتخصيص كل دابة بما تطيقه ، والمبادرة لحلِّ الرِّحال عند النزول عنها ، وتقديم علفها على أكل صاحبها ، وكذا المبادرة إلى سقيها ، كل ذلك شفقة عليها وإبقاء لها:

ففي حديث عند الطبراني والبزار وغيرهما أنه ﷺ قال: (أخّروا

---

(١) أخرجه ابن النجار في « تاريخه » وابو عبدالله محمد بن عبدالله بن المثنى في «عواليه» من حديث الحسن بن ابي الحسن عن ابي هريرة كذلك - كما في « حياة الحيوان »: ٢٠٨/٢ . وعزاه في « الكنز »: ١٦١١٦ لابن عساكر . فإن كان من الطريق نفسها فالحسن لم يسمع من أبي هريرة ، فهو منقطع . انظر « المراسيل » للرازي: ٣٨ - ٣٩ ، وانظر « الإتحافات السنية »: ٢٤٥ .

(٢) عزاه المصنف في « الابتهاج بأذكار المسافر والحاج »: ٣٥ للطبراني من حديث أبي الدرداء . قلت: أخرجه الطبراني في « الدعاء » رقم: ٧٧٦ ، بإسناد ضعيف جداً ، وفيه عمرو بن عبدالجبار وعبدالله بن يزيد بن آدم ، لهما مناكير ، والأخير متهم بالوضع، قال عنه الإمام أحمد « أحاديثه موضوعة » .

الأحمال ، فإنَّ اليدَ مُغْلقةٌ ، والرِّجْلَ مُوثَقَة) [1].

ولأبي يعلى عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: « خرجت مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع ، وخرج معه نساؤه ، وكان مَتاعي فيه خفّ ، وهو على جمل ناج ، وكان متاع صَفية فيه ثِقل ، وهو على جمل ثِقال بَطيء ، يَتبطأ بالركب ، فقال رسول الله ﷺ: حوّلوا متاع عائشة على جمل صفية ، وحولوا متاع صفية على جمل عائشة ، حتى يمضي الركب)[2] الحديث .

وينبغي أن لا يجمع بين ركوبه ومتاعه في الحمل ، إلا إن كانت الدابة المركوبة محتملة للحمل عليها ، لأنه ﷺ قال: ـ كما سيأتي[3] ـ (اركبوها سالمة ، وايْتَدِعوها سالمة) ، قاله ابن خزيمة ، قال: وكذلك في خبر سهل ابن الحنظلية ـ يعني الماضي [4] ـ: (اركبوها صالحة ، وكلوها صالحة) ، قال: فإذا كان الأغلب من الدواب المركوبة أنها إذا حُمل عليها في السير عطبت ، لم يكن لراكبها الحمل عليها ، إذ النبي ﷺ قد اشترط أن تُركب

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » كما في « المجمع »: ٣/٢١٦ ـ وأبو يعلى في «المسند »: ٥٨٥٢ والبزار ـ « كشف الأستار »: ١٠٨١ ـ والبيهقي : ٦/١٢٢ ، و«أبو القاسم ابن الجراح الوزير في « المجلس السابع من الأمالي »: ٢/١ ، وابن صاعد في « جزء من أحاديثه »: ٢/٩ والمخلص في الثاني من السادس من «الفوائدالمنتقاة»: ١/٨٨ ، وأبو محمد المخلدي في « الفوائد » : ٢٨٥ /١ـ٢ » ـ كما في « السلسلة الصحيحة » لشيخنا الألباني: ١١٣٠ . وصحح إسناده .

(٢) أخرجه أبو يعلى: ٤٦٧٠ . وقال الهيثمي في المجمع »: ٤/٣٢٥ ـ بعد أن عزاه له: « وفيه محمد بن إسحاق ، وهو مدلس . وسلمة بن الفضل ، وقد وثقه جماعة: ابن معين وابن حبان وأبو حاتم ، وضعفه جماعة ، وبقية رجاله رجال الصحيح . وقد رواه أبو الشيخ ابن حيان في كتاب « الأمثال »: ٥٦ ، وليس فيه غير أسامة بن زيد الليثي ، وهو من رجال الصحيح وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات » . قلت: وطريق ابن حيان هو طريق أبي يعلى ، وإسناده ضعيف . فيه سلمة بن الفضل ضعفه ابن راهويه والنسائي ، وقال البخاري : في حديثه بعض المناكير ، وقال عنه ابن حجر في « التقريب »: « صدوق ، كثير الخطأ » ، وانظر « الميزان »: ٢/١٩٢، وابن إسحاق مدلس وقد عنعن .

(٣) صفحة (٢٣١) وكلمة « ايتدعوها » تصحفت في المخطوط هنا وهناك « ابتدعوها » بالموحّدة وسيأتي التعليق على ذلك في محله .

(٤) صفحة (٢٢٢) .

سالمة ، ويُشبه أن يكون معنى قوله: (اركبوها سالمة) ، أي ركوباً تسلم منه ولا تعطب .

وفي « سنن أبي داود » من حديث حمزة الضَّبّيّ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: « كنا إذا نزلنا منزلاً لا نسبّح حتى نحُل الرّحال »[1]. يريد بذلك: لا نصلي سُبحة الضحى حتى نحطَّ الرحال ، ونُجمَّ المطي .

وكان بعض العلماء يستحب إذا نزل منزلاً أن لا يَطعَم حتى يعلف الدابة، ولا يقصّر في سقيها ، فقد صح أنهم قالوا: « يا رسول الله ، وإنَّ لنا في البَهائم لأجْراً ؟ » قال: (في كُلِّ ذاتِ كَبِدٍ رَطبةٍ أجْرٌ)[2].

ومنها في كراهة وقوف الدابة وراكبها جالس على ظهرها ، شفقة عليها:

ففي « سنن أبي داود » من حديث أبي مريم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: (إياي[3] أن تتخذوا [ظهور][4] دوابكم منابر ، فإن الله ـ عز وجل ـ إنما سخّرها لكم لتُبْلغكم إلى بلد لم تكونوا بَالغيه إلا بشِقّ الأنفس ، وجعل لكم الأرض ، فعليها فاقضوا حاجتكم)[5].

(١) أخرجه أبو داود: ٢٥٥١ ، وصحح شيخنا الألباني إسناده في « المشكاة »: ٣٩١٧ .

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة مطولاً ، وفيه قصة الذي سقى الكلب من العطش فغفر الله له: البخاري في « الصحيح »: ٢٣٦٣ ، ٢٤٦٦ ، ٦٠٠٩ ، وفي « الأدب المفرد»: ٣٨٠ ، ومسلم: ٢٢٤٤ ، وأبو داود: ٢٥٥٠ ، ومالك: ٢/٩٢٩ ـ ٩٣٠ ، وأحمد: ٢/٣٧٥ ، ٥١٧ ، ٥٢١ ، وابن حبان: ٢٥٣٧ ، والقضاعي في مسند الشهاب: ١١٣، والبيهقي في « السنن » : ٤/١٨٥ و ٨/١٤ ، وفي « الآداب »: ٤٦ ، والبغوي في « شرح السنة »: ٣٨٤ .

(٣) كذا في المخطوط « إياي » . وهي كذلك عند ابن حبان ، ولها معنى في اللغة إن كانت محفوظة في الرواية بمعنى: نحّوا عني ذلك ونحوّني عنه . انظر « النهاية » إ ي ا: ١/٨٨ . وإلا فهي « إياكم » .

(٤) زيادة من « سنن أبي داود » .

(٥) أخرجه أبو داود: ٢٥٦٧ ، والطحاوي في المشكل: ٣٨ ـ ٣٩ ـ والبيهقي في « السنن الكبرى »: ٥/٢٥٥ ـ و« الآداب »: ٩٣٤ ، والبغوي في «شرح السنة » ٢٦٨٣ ، وأبو القاسم السمرقندي في « المجلس »: ١٢٨ من « الأمالي » وعنه ابن عساكر: ١٩/١/٨٥ » كما في « السلسلة الصحيحة » لشيخنا الألباني: ٢٢ وصحح إسناده . ووقع في مطبوع « سنن أبي داود » اسم الراوي عن أبي هريرة « ابن أبي مريم » !! والصواب حذف « ابن » .

وفي رواية عند ابن خزيمة ، والحاكم ، وابن حبان ، في « صحاحهم » وغيرهم ، من حديث سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: (اركبوا هذه الدواب سالمة ، وايتدعوها[1] سالمةً، ولا تتخذوها كراسي)[2] .

وفي لفظ أنه ﷺ مرّ على قوم على دوابّ لهم ورواحل ، وهم وقوف، فقال النبي ﷺ: (اركبوها سالمة ، وانزلوا عنها سالمة ، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم ومجالسكم ، فرُب مركوبة خير من راكبها ، وأكثر ذكراً لله ـ عز وجل)[3] .

ترجم عليه ابن خزيمة: « الزجرُ عن اتخاذ الدواب كراسي ، يُوقفها المرء وهو راكبها غير سائر عليها ولا نازل عنها » . وكذا قال ابن حبان: « ذكر الزجر عن اتخاذ المرء الدَّوابَّ كراسِي[4] ، ومعناه أنه لا يسير بها ولا ينزل عنها » . انتهى .

لكن قد قال ابن المنذر في « الأوسط »: يحتمل ـ إن ثبت الخبر ـ أن يكون المراد الوقوف لغير حاجة ، أما إن كانت حاجة فلا ، ويدل له حديث

---

(١) تصحفت في المخطوط: « وابتدعوها » بالباء الموحدة . وقال في النهاية: ١٦٦/٥ ، « أي اتركوها ورفهوا عنها إذا لم تحتاجوا إلى ركوبها ، وهو (افتعل) من وَدُع ـ بالضم ـ وَدَاعة وَدَعة أي سكن وترفَّه ، وايتدع فهو متّدع أي صاحب دَعة . أو من ودَع ، إذا ترك . يقال: اتدَّع وايتدع . على القلب والإدغام والإظهار » وانظر «لسان العرب » مادة (ودع) .

(٢) أخرجه أحمد: ٤٣٩/٣ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٢٣٤/٤ ، والدارمي: ٢٨٦/٢ ، وابن حبان: ٥٦١٩ ، والحاكم: ٤٤٤/١ ، ١٠٠/٢ ، وصحح إسناده ووافقه الذهبي ـ والطحاوي في « المشكل »: ٤٠ ، والطبراني: ٤٣١/٢٠ ، ٤٣٢، والبيهقي: ٢٥٥/٥. والحديث صححه شيخنا الألباني في « السلسلة الصحيحة »: ٢١ .

(٣) هو بهذا اللفظ عند أحمد: ٤٣٩/٣ ، ٤٤٠ ، من طريق ابن لهيعة حدثنا زبان بن فائد عن سهل بن معاذ به ، وعنده أيضاً : ٤٤١/٣ من طريق ابن لهيعة حدثنا يزيد ابن أبي حبيب عن سهل به . وعند الطبراني: ٤٣٢/٢٠ ، من طريق رشدين عن زبان بن فائد به . وثلاثتهم ـ ابن لهيعة ، زبان ، رشدين ضعاف . فزيادة « فرب مركوبة ... » ضعيفة لا تثبت ، وكذلك ضعفها شيخنا الألباني « في « السلسلة الصحيحة »: ٢٩/١ .

(٤) ترجمة ابن حبان على الحديث إلى هنا ، وبقية كلامه قاله بعد سياق الحديث .

جابر في صفة حج النبي ﷺ [1] ، ففيه: « ثم ركب ﷺ ناقته القصواء حتى أتى الموقف بعرفة ، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات ، وجعل حَبْلَ [2] المشاة بين يديه ، واستقبل البيت ، فلم يزل يدعو حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً ، ثم دفع رسول الله ﷺ ، وأردف أسامة خلفه » .

وعند البيهقي في « الشُعب » عن ابن المبارك أنه قال: « كم من مركوب خير من راكبه ، وأطوع لله ، وأكثر ذكراً » [3] .

وعن صدقة بن يسار قال: « كان داود عليه السلام في محرابه إذ نظر إلى دودة صغيرة ، فتعجب من خَلقها ، فأنطقها الله تعالى ، فقالت: يا داود ، أنا على صغري أطوع لله منك على كبرك » [4] .

ومنها في النزول عنها عند المرور بالأرض المخصبة بالكلأ المباح لترعى فيها، وعَدم كفِّها عن المكان السهل:

فروى البزار من حديث عُقيل عن الزهري عن أنس ـ رضي الله عنه ـ

---

(١) اخرجه البخاري: ١٥٥٧ ، ١٥٦٨ ، ١٥٧٠ ، ١٦٥١ ، ١٧٨٥ ، ٢٥٠٥ ، ٤٣٥٢، ٧٢٣٠ ، ٧٣٦٧ . ومسلم: ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٨، ١٣١٨ ، وأبو داود: ١٧٨٥ ، ١٧٨٦ ، ١٧٨٧ ، ١٧٨٨ ، ١٧٨٩ ، ١٩٠٥ ، ١٩٠٩ ، والنسائي: ٦٠٤ ، ٣٠٥٣ ، ٣٠٥٤ ، ٣٠٦٢ ، ٣٠٦٣ ، ٣٠٧٤ ، ٣٠٧٥، وابن ماجه: ٢٩٨٠ ، ٣٠٧٤ ، والدارمي: ٢/ ٤٤ ـ ٤٩، واحمد: ٣/ ٢١٧، ٢٩٢ ـ ٢٩٣ ، ٣٠٥ ، ٣٦٦ ، ٣٨٨ ، وابن الجارود: ٤٦٩ ، وابن حبان: ١٤٥٧، ٣٨١٠ ، ٣٩٤٣ ، ٣٩٤٤ ، ٣٧٩١ ، ٣٨٤٢ ، ٣٩١٩ ، ٣٩٢١ ، ٣٩٢٤، ومالك: ١/ ٣٦٤ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ . والحميدي: ١٢٩٣ ، والطيالسي: ١٦٧٦ ، والشافعي في « السنن المأثورة »: ٤٦٠ ، ٥١٥ ، والطحاوي في المشكل: ٤١، والبيهقي: ٥/ ٣ـ ٤ ، ٧، ١٨ ، ٤١ ، ٤٩ ، والبغوي في « شرح السنة »: ١٨٧٢، ١٨٧٨ ، ١٩٢٨ ، وقد أفرده شيخنا الألباني وتتبع طرقه فراجعه إن شئت .

(٢) قال النووي في شرح مسلم: ٨/ ١٨٦: « فروي (حَبْل) ـ بالحاء المهملة وإسكان الباء ـ ، وروي (جَبَل) بالجيم وفتح الباء ـ . قال القاضي عياض رحمه الله: الأول أشبه بالحديث . وحبل المشاة أي مجتمعهم . وحبل الرمل: ما طال منه وضخم . وأما بالجيم فمعناه طريقهم ، وحيث تسلك الرجالة » .

(٣) أخرجه البيهقي في « الشعب »: ٥١٨٩ .

(٤) أخرجه البيهقي في « الشعب »: ٥١٩٠ .

عن النبي ﷺ قال: (إذا أخصبت الأرض فانزلوا عن ظهركم فأعطوه حقه من الكلأ ، وإذا أجدبت الأرض فامضوا عليها بنِقْيِها)[1] .

وفي الباب عن جماعة:

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (إذا ركبتم هذه الدواب فأعطوها حظها من المنازل) . أخرجه الدارقطني في « أفراده » . وهو عند أبي داود بلفظ: (إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حقها)[2] . الحديث .

وعن جابر - رضي الله عنه - قال ، قال رسول الله ﷺ: (إذا سافرتم في الخصب فأمكنوا الركاب من أسنانها ، ولا تجاوزوا المنازل) ، الحديث. وفي لفظ: (إذا كانت الأرض مخصبة فأمكنوا الركاب وعليكم بالمنازل)[3] .

أخرجه باللفظين ابن خزيمة ، وبأحدهما أبو داود .

وعن عبدالله بن مُغَفَّل - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (إذا ركبتم

---

(١) أخرجه من الطريق المذكور . أبو يعلى: ٣٦١٨ ، والبزار - كشف الأستار: ١٦٩٦ - والطبراني ، كما في « المجمع »: ٥/٢٥٧ ، والطحاوي في « مشكل الآثار »: ١١٣ ، والحاكم: ١/٤٤٥ ، وصححه وأقره الذهبي - والبيهقي: ٥/٢٥٦ ، والخطيب في « تاريخ بغداد »: ٨/٤٢٩ ، وأبو نعيم في « الحلية »: ٩/ ٥٠ . وأخرجه أبو داود: ٢٥٧١ ، والحاكم: ٢/ ١١٤ ، والبيهقي: ٥/٢٥٦ ، من طريق الربيع بن أنس عن أنس مختصراً دون المقصود منه هنا . والحديث صححه شيخنا الألباني في «السلسلة الصحيحة »: ٦٨٢ .

(٢) بل هو عند مسلم: ١٩٢٦ ، وأبو داود: ٢٥٦٩ ، والترمذي: ٢٨٥٨ - وقال: « هذا حديث حسن صحيح » والنسائي في الكبرى - كما في التحفة »: ٩/٣٩٦ ، وأحمد: ٢/٣٣٧ ، ٣٧٨ ، وابن حبان: ٢٧٠٣ و ٢٧٠٥ ، وابن خزيمة: ٢٥٥٠ ، والطحاوي في « مشكل الآثار »: ١١٥ ، ١١٦ ، والبيهقي: ٥/٢٥٦ ، والبغوي في « شرح السنة »: ٢٦٨٤ .

(٣) أخرجه أبو داود: ٢٥٧٠ ، وأحمد: ٣/٣٠٥ ، ٣٨١ - ٣٨٢ ، وابن خزيمة: ٢٥٤٨، ٢٥٤٩ وأبو يعلى: ٢٢١٩ ، وابن السني في « اليوم والليلة »: ٥٢٤ ، من حديث الحسن البصري عن جابر بن عبدالله ، ولم يسمع منه كما نص على ذلك العلماء ، ولهذا قال ابن خزيمة عقبه: « إن صح الخبر فإن في القلب من سماع الحسن من جابر» . وكذا ضعفه شيخنا الألباني بذلك . انظر « الضعيفة »: ١١٤٠ ، «المراسيل» للرازي: ٥٤ .

هذه البهائم العُجم ، فإذا كانت سَنة فانجوا عليها)[1] .

أخرجه الطبراني .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً: (إذا كانت أرض مخصبة فتقصَّدوا في السير واعطوا الركاب حقها ، فإن الله رفيق يحب الرفق ، وإذا كانت أرض مجدبة فانجوا عليها)[2] .

أخرجه البزار في « مسنده » ، ورويناه في « فوائد البَختري » ، وأخرجه الطبراني بسند فيه من لم يسمّ ، لكن موقوفاً .

وعن خالد بن معدان الكلاعي عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ قال، قال رسول الله ﷺ: (إن الله رفيق يحب الرفق ويرضاه ويعين عليه مالا يعين على العُنف ، فإذا ركبتم الدواب العجم فنزلوها منازلها ، فإن أجدبت الأرض فانجوا عليها)[3] ، الحديث .

أخرجه ابن قانع والطبراني في « معجمي الصحابة » ، وكذا ابن السكن وقال: « إن مَعْدانَ لم يذكر رؤية ولا سماعاً » .

وهذه الأحاديث لا تنافي قوله ﷺ: (إذا ركبتُموهُنَّ فاذكروا اسم الله ولا

---

(١) قال الهيثمي في « المجمع »: ٣/٢١٦ ، بعد أن عزاه للطبراني: « رجاله ثقات » ، وأخرجه الدارقطني في « الجزء الثالث والعشرين من حديث أبي الطاهر الذهلي »: ٤٨ .

(٢) إسناده ضعيف ، أخرجه البزار « كشف الأستار »: ١٦٩٥ ـ والطبراني: ١٠٨١١ ، وفي إسناده عندهما محمد بن أبي نعيم ، اضطرب في سياق الحديث . فأخرجه البزار من طريقه: حدثنا سعيد بن زيد عن عمرو بن مالك عن أبي الحوراء عن ابن عباس عن النبي ﷺ فذكره . وأخرجه الطبراني من طريقه: حدثنا هشيم حدثني المديني عن أبي الحويرث عن ابن عباس قال ، فذكره موقوفاً . قال البزار عقب روايته « لا نعلم أحداً حدث به عن سعيد إلا محمد بن أبي نعيم ولا نعلمه يروى عن ابن عباس . وروي عن أنس وأبي هريرة شبيهاً به » . ومحمد بن أبي نعيم قال عنه الحافظ في «التقريب»: ٦٣٣٧ ، « صدوق لكن طرحه ابن معين » ، وقال ابن عدي في «الكامل»: ٦/٢٢٦٢ : « وعامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات » .

(٣) أخرجه الطبراني: ٢٠/٨٥٢ . قال الهيثمي في « المجمع »: ٣/٢١٦: « ورجاله رجال الصحيح » ، وأخرجه مالك: ٢/٩٧٩ عن خالد بن معدان مرسلاً ، لم يقل عن أبيه . وانظر: « الإصابة »: ٨١٢٥ .

تقصروا عن حاجة)[1] وكذا قوله: (امتهنوهنّ لأنفسكم بالركوب فإنما يحمل الله)[2] . ونحو ذلك . بل هي كما قال ابن خزيمة: دالة على أنه ﷺ إنما أباح أن لا يقصّر راكبها عن حاجة إذا لم تكن الأرض مخصبة لما فيها من الأمر بإمكان الركاب من الرعي في الخصب ، وعدم مجاوزة السائر المنازل إذا كانت الأرض مخصبة .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا ركب أحدكم الدابة فليحملها على ملاذها - أو قال: على ملاذة - فإن الله تعالى يحمل على القوي والضعيف)[3] . أخرجه الدارقطني في « أفراده » .

وقوله: (على ملاذها): جمع ملذ ، وهو موضع اللذة ، أي ليُجْرها في السهولة لا في الحزونة - وهي المكان الغليظ الخشن .

ومنها في المشي عنها لتستريح ، بل وليستريح هو أيضاً غالباً ، فقد روى الطبراني في « الأوسط » أنه ﷺ (كان إذا صلى الفجر في السفر مشى)[4] .

---

(١) أخرجه النسائي في « اليوم والليلة »: ٥٠٤ ، وأحمد: ٣/ ٤٩٤ ، والدارمي: ٢/ ٢٨٥ - ٢٨٦ ، وابن حبان: ١٧٠٣ ، ٢٦٩٤ ، والحاكم: ١/ ٤٤٤ - وصححه على شرط مسلم وأقره الذهبي - والطبراني في « الكبير » : ٢٩٩٣ ، والأوسط: ١/ق / ٢٠٥، من حديث حمزة بن عمرو الأسلمي . قال الهيثمي في « المجمع »: ١٠/ ١٣١: ورجاله رجال الصحيح ، غير محمد بن حمزة ، وهو ثقة » . قلت: إسناده حسن.

(٢) أخرجه الحاكم: ١/ ٤٤٤ ، من حديث أبي هريرة . وأخرجه ابن عدي في «الكامل»: ٧/ ٢٧١٦ ، من حديث أنس . وأخرجه أحمد : ٤/ ٢٢١ ، وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني »: ٢٣٢٨ ، وابن خزيمة: ٢٣٧٧ ، والحاكم: ١/ ٤٤٤ - وصححه على شرط مسلم وأقره الذهبي - والطبراني: ٢٢/ ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، من حديث أبي لاس الخزاعي . وإسناده حسن . وقول ابن خزيمة الآتي قاله عند الترجمة لحديث جابر (٢٥٤٨) المتقدم ص (٢٣٣) .

(٣) أخرجه الدارقطني في « الأفراد » كما في « الكنز »: ٢٤٩٥٢ .

(٤) أخرجه الطبراني في « الأوسط » كما في « المجمع »: ٣/ ٢١٨ ، والبيهقي في «السنن الكبرى »: ٥/ ٢٥٥ ، والآداب: ٩٣٦ ، من حديث أنس بن مالك ، وجوّد العراقي في « تخريج الإحياء »: ١/ ٢٦٤ ، إسناد الطبراني .

وبلغنا عن الشيخ صالح الزواوي المغربي[1] ، أحد من أدركته ، والناس ممن لقيتُه من أصحابه ، كالمتفقين على صلاحه ، أنه كان في بعض أسفاره راكباً ناقة ، فسمعها وهي تقول له: أتعبتني يا صالح ، فنزل عنها فمشى إلى أن سمعها وهي تقول أيضاً: اركب فقد استرحت .

وهذا لا استبعاد فيه ، فقد أخرج البخاري في « صحيحه » أنه ﷺ قال: (بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه فقالت: لم أخلق لهذا ، خُلقْتُ للحراثة . فقال النبي ﷺ : (آمنتُ به أنا وأبو بكر وعمر - رضي الله عنهما)[2] الحديث .

ومنها في تنشيطها بالحُداء وإراحتها بذلك - والحدْو هو سوق الإبل والغناء لها - وجرت عادة الإبل أنها تسرع السير إذا حُدي بها .

وقد أخرج ابن سعد - بسند صحيح - عن طاوس مرسلاً ، وأورده البزار موصولاً عن ابن عباس رضي الله عنهما دخل حديث بعضهم في بعض: «إن أول من حَدَا الإبل عبدٌ لمضر بن نزار بن معد بن عدنان ، كان في الإبل لمضر فقصر ، فضربه مضر على يده فأوجعه ، فقال: يا يداه ، يا يداه ، وكان حسن الصوت ، فأسرعت الإبل لما سمعته في السير ، فكان ذلك مبدأ الحداء »[3] . وفيه أحاديث صحيحة:

(1) هو صالح بن محمد بن موسى الحسيني الرياحي المغربي ، يعرف بالزواوي ، أخذ العلم عن الولي العراقي وابن حجر ، توفي سنة ٨٣٥ .
ترجمته في « جامع كرامات الأولياء » : ٢/ ٤٥ ، وفيها ذكر كرامات له منها قصة الناقة المذكورة ، وكذا فعل المصنف في « الضوء اللامع »: ٣/ ٣١٦ .

(2) أخرجه البخاري: ٢٣٢٤ ، ٣٤٧١ ، ٣٦٦٣ ، ومسلم: ٢٣٨٨ ، والترمذي: ٣٦٧٧ - وقال: « هذا حديث حسن صحيح » - وأحمد في « المسند »: ٢/ ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٣٨٢ ، ٥٠٢ ، وفي « فضائل الصحابة: ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٦٤٣) ، والطيالسي: ٢٣٥٤ ، والطحاوي في « مشكل الآثار »: ٤/ ١٦٨ ، وابن حبان: ٦٤٨٥ ، ٦٤٨٦، ٦٩٠٣ ، والحميدي: ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ومن طريقه البغوي: ٣٨٨٩ ، وأيضاً: ٣٨٩٠ - في « شرح السنة » - من حديث أبي هريرة .

(3) أخرجه البزار كما في « كشف الأستار »: ٢١١٣ ، ثنا يوسف بن موسى ثنا العلاء ابن عبدالجبار ثنا زمعة عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال: « كان النبي ﷺ في سفر » ، فذكر نحوه . وإسناده ضعيف ، فيه زمعة هو ابن صالح الجندي . قال الحافظ في « التقريب »: ٢٠٣٥: « ضعيف » .

منها قوله ﷺ في مسير له لعبدالله بن رواحة ـ رضي الله عنه: (يا ابن رواحة ، انزل فحرك الركاب ، فقال: يا رسول الله ، لقد تركت ذلك ، قال عمر رضي الله عنه: اسمع وأطع . فرمى بنفسه وقال:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزل السكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا)[1]

ولكن يحرص أن لا يكون ذلك بشيء من الآلات المحرَّمة ، كالرباب ونحوه .

ومنها في الرفق في السير بها إبقاء عليها وعلى نفسه أيضاً ، لقوله ﷺ: (المنبَتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى)[2] . ومعناه: إن من يعسف الركاب ويحملها من السير على ما لا تطيق رجاء الإسراع ، ينقطع ظهره ، فلا هو قطع الأرض التي أراد ، ولا هو أبقى ظهره سالماً ينتفع به بعد ذلك .

ومنها ما روِّيناه في « المجالسة » للدينوري ، من طريق عبدالله بن بكر السهمي عن أبيه « أن قوماً كانوا في سفر ، فكان فيهم رجل يمرُّ الطائرُ فيقول: تدرون ما تقول هذه ؟ فيقولون: لا . قال: فأتينا على قوم فيهم ظعينة على جمل لها وهو يرغو ويحنو عنقه إليها ، قال: أتدرون ما يقول

---

(١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات »: ٣/٢/٨٠ ، ط ليدن: أخبرنا وكيع بن الجراح وعبدالله بن نمير ويعلى ومحمد ابنا عبيد عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: قال رسول الله ﷺ لعبدالله بن رواحة ، فذكره ، وزاد: « قال: فقال النبي ﷺ: اللهم ارحمه . فقال عمر: « وجبت » .
وهذا مرسل ، قيس بن أبي حازم تابعي مخضرم ، انظر « الإصابة »: ٧٢٩٥ .ومع هذا فقد اختلط في آخر حياته ، ولعل هذا من مرويّاته إذ ذاك ، إذ الحديث في «الصحيحين » ـ البخاري ـ: ٤١٩٦ ، ومسلم: ١٨٠٢ ـ وغيرهما عن سلمة بن الأكوع أن عامر بن الأكوع هو الذي جرت معه القصة ، نعم ، الشعر لابن رواحة، تمثّل ابنُ الأكوع به ، وتمثل أيضاً رسول الله ﷺ به في حفر الخندق . انظر الأحاديث في ذلك مخرجة في « جزء أحاديث الشعر » للمقدسي: ٧ ، ٨ ، ٩ .

(٢) تكلم عليه المصنف في « الأجوبة المرضية »: ق ٢ ، ٣ ، و« المقاصد الحسنة » صفحة: ٣٩١ ، وافرده في جزء ، وأشار إليه في « الجواب الذي انضبط »: ص ٤٧ ، وتكلمنا عليه بتفصيل وإسهاب في التعليق عليه ، ولله الحمد والمنّة . وهو حديث ضعيف .

هذا البعير ؟ قلنا: لا . قال: فإنه يلعن راكبته ويزعم أنها رحلته على مِخْيَط فهو مؤثر في سنامه . قال: فانتهينا إليهم فقلنا: يا هؤلاء إن صاحبنا هذا يزعم أن هذا البعير يلعن راكبته ، ويزعم أنها رحّلته على مخيط وأنه في سنامه ، قال: فأناخوا البعير ، فحطوا عنه ، فإذا هو كما قال » .

ومنها في إكرام الخيل منها :

فيروى أنه ﷺ كان يمسح وجه فرسه بكُمِّه[1] ، وفي لفظ (كان يفتل ناصية فرسه بإصبعيه)[2] .

وفي حديث آخر : (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، وأهلها معانون عليها)[3]

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ: ٤٦٨/٢ ، عن يحيى بن سعيد « أن رسول الله ﷺ رئي وهو يمسح وجه فرسه بردائه » .

(٢) أخرجه مسلم: ١٨٧٢ ، والنسائي: ٣٥٧٢ ، وأحمد: ٣٦١/٤ ، وابن حبان: ٤٦٦٩، والطحاوي في « مشكل الآثار »: ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، والطبراني: ٢٤٠٩ ، والبيهقي: ٣٢٩/٦ ، والبغوي في « شرح السنة »: ٢٦٤٦ ، من حديث جرير بن عبدالله .
وأخرجه الطبراني: ١٠٠٤٢ ، من حديث ابن مسعود . قال الهيثمي في « المجمع »: ٢٦٥/٥ « وفيه عمرو بن الأزهر وهو متروك » .

(٣) يروى من حديث أبي كبشة: أخرجه ابن حبان: ٤٦٧٤ والحاكم: ٩١/٢ - وصحح إسناده ووافقه الذهبي - والطبراني: ٨٤٩/٢٢ ، والطحاوي في « شرح معاني الآثار »: ٢٧٤/٣ ، بإسناد صحيح . وقال الهيثمي عن رواية الطبراني في « المجمع »: «ورجاله ثقات » .
ومن حديث سلمة بن نفيل: أخرجه النسائي: ٣٥٦١ ، وأحمد: ١٠٤/٤ ، والطحاوي في « مشكل الآثار »: ٢٢٨ ، وشرح معاني الآثار: ٢٧٥/٣ ، والبزار: ١٦٨٩ ، والطبراني: ٦٣٥٨ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، صفحة: ٤٦٢ - ٤٦٣، بإسناد صحيح .
ومن حديث يزيد بن عبدالله بن عَريب عن أبيه عن جده - عريب المليكي: أخرجه ابن عدي: ١١٩٧/٣ ، والطبراني في « الكبير »: ١٨٨/١٧ ، و« الأوسط » ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد »: ٢٦٢/٥: « وفيه من لم أعرفه » .
ويزيد وأبوه مجهولان . انظر اللسان (١٣٠٠) .
وحديث جابر بن عبدالله: أخرجه أحمد: ٣٥٢/٣ ، والطحاوي في « شرح معاني الآثار »: ٢٧٤/٣ ، والطبراني في « الأوسط »، وابن عدي في الكامل: ٢٥٥٧/٧ ، قال الهيثمي عن رواية الطبراني: « وفيه ابن لهيعة ، وفيه ضعف ، وحديثه حسن ، ورواه أحمد أتم منه ورجاله ثقات » .

ومنها في تفقد الإمام لها وسؤاله عنها من أربابها :

فروى الحارث بن أبي أسامة في « مسنده » من حديث ابن عون قال: «سأل عمرُ - رضي الله عنه - رجلاً عن إبله ، فذكر عجفاً ودبْرا . فقال عمر: إني لأحسبُها ضِخاماً سماناً . قال: فمضى ، ثم مَرَّ عليه عمر وهو في إبله يحدوها وهو يقول:

أقسم بالله أبو حَفْص عُمر ... ما إن بها من نَقَبٍ ولا دَبَر

فاغفر له اللهم إنْ كان فجر

قال : فقال له عمر : ما هذا ؟ قال: أميرُ المؤمنين سألني عن إبلي فأخبرتُه عنها ، فزعم أنه يحسبها ضخاماً سِماناً ، وهي كما ترى . قال: فإني أنا أميرُ المؤمنين عمرُ ، ايتني في مكانِ كذا وكذا ، فأتاه فأمَر بها فقُبضتْ ، فأعطاه مكانها من إبل الصدقة »[(1)] .

فهذه الأشياء تُوضح عدم إهانتها والمبالغة في ضرْبها وكلفتها ، لا سيّما وقد جاء في كونهم يدفع الله - عز وجل - بهم البلاء ما أخرجه البيهقي في « سننه » ، وأبو يعلى في « مسنده » ، كلاهما من حديث إبراهيم بن خثيم - يعني ابن عِراك بن مالك - عن أبيه عن جده عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: (مهلاً عن الله مهلاً ، فإنه لولا شباب خُشَّع، وبهائم رُتَّع ، وشيوخ ركَّع ، وأطفال رضَّع ، لصب عليكم العذاب صباً)[(2)] .

= والحديث في الصحيح من حديث ابن عمر ، وجابر ، وعروة البارقي ، دون قوله: «وأهلها معانون عليها » .
وله شواهد كثيرة . وهو مما نص العلماء على تواتره - انظر « نظم المتناثر » وغيره .

(1) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في « مسنده » كما في « المطالب العالية »: ٨٦٦ ، لكن عن محمد بن سيرين ، وليس عن ابن عون ؟! وقال المحقق: « منقطع بين ابن سيرين وعمر » .

(2) أخرجه البزار كما في « كشف الأستار »: ٤/٦٦، والطبراني في الأوسط:٢/ق١٤٤، وأبو يعلى: ٦٤٠٢ ، ٦٦٣٣ ، وابن عدي في « الكامل »: ١/ ٢٤٣ ، والخطيب في « تاريخ بغداد »: ٦/ ٦٤ ، والبيهقي: ٣/ ٣٤٥ ، وقال: « إبراهيم بن خثيم غير قوي، وله شاهد بإسناد آخر غير قوي » وقال الطبراني: « لا يروى عن أبي هريرة =

وله شاهد عند الطيالسي في « مسنده » ، والطبراني في « معجمه » وابن منده في « معرفة الصحابة » ، وابن عدي في « الكامل » ، كلهم من طريق عبدالرحمن بن سعد المؤذن عن مالك بن عبيدة بن مُسافع الديلي عن أبيه عن جده ـ رضي الله عنه ـ قال ، قال رسول الله ﷺ : (لولا عباد لله ركع ، وصبية رُضَّع ، وبهائم رُتَّع ، لصُب عليكم العذاب صباً)[1] .

ورُوِّينا من حديث أبي عبدالله الرازي ، قال سمعت الشيخ أبا عبدالله الحسين بن علي بن نعيم المصريَّ قاضي البُرلس يحكي عن بعض سكان البُرلس قال: « سمعت قائلاً يقول ليلاً من جانب البحر ويُنشد بيتين ، فقصدت الصوت فلم أجد أحداً ، فعلمت أنه هاتف هتف بالحق ، وهما هذان البيتان :

لولا رجال لهم وُردٌ يقومونا — وآخرون لهم سَرْدٌ يصومونا

لزلزلت أرضُكم من تحتكم سحَراً — لأنكم قوم سوء لاتبالونا

وقال ﷺ: (إنَّ الرَّجُل يكتب عند الله جباراً وما يملك غير أهل بيته)[2] .

ولله درّ بعضهم حيث قال: أشدُّ الظلم ظلم الذمي والدابة .

= إلا بهذا الإسناد » . وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد »: ١٠/٢٣٠: « وفيه إبراهيم بن خيثم ، وهو ضعيف » .
قلت: وقال ابن معين: « لا شيء ، ليس بثقة ولا مأمون » وقال النسائي: « متروك» وقال الساجي: « ضعيف ابن ضعيف » وأورد له الذهبي في ترجمته في « الميزان »: ١/٣٠ هذا الحديث ، وأقره ابن حجر في « اللسان »: ١/٥٣ .

(١) أخرجه الطبراني في الكبير: ٢٢/٣٠٩ ، والأوسط: ٢/ق ١٠٧ والدولابي في « الكنى والأسماء »: ١/٤٣ ـ ٤٤ ، والبيهقي: ٣/٣٤٥، وابن عدي :٤/١٦٢٢ ، ٦/٢٣٧٧، وروى أن ابن معين سئل عن الحديث فقال: « لا أعرفه » .
وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد »: ١٠/٢٣٠: « وفيه عبدالرحمن بن سعد وهو ضعيف » .
ومالك بن عبيدة ، قال الذهبي في الميزان: ٧٠٢٤: « لا يُعرف » .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » وأحمد بن منيع والحارث بن أبي أسامة في «مسنديهما » ـ كما في « كشف الخفاء » قال الهيثمي في « مجمع الزوائد »: ٨/٢٧: « وفيه عبدالحميد بن عبيدالله بن حمزة ، وهو ضعيف جداً » .

قال صاحب « زينة النواظر وتحفة الخواطر » : « واعلم أن العثرة التي لا تقال هي ظلم العباد ، لأنه لا يدخل أحد الجنة ولأهل النار عنده حق، ولا يدخل أحد النار ، ولأحد من أهل الجنة عنده حق ، وأشد من هذا ظلم الموتى ، يعني بذكر مساوئهم ، والدواب بأن يُجيعها أو يضربها ، فضَربُ الدابة إذا عثَرتْ ظلم لأنها ـ تريد أن تعثر » .

وفي الكتاب المذكور : « إن مثال من يشهد الإحسان من المخلوقين ، كمثل الدابة إذا رأت سائسها بصبصت إليه بعينها ، ويأتي مالكها فلا تلقي إليه بالاً ، فإن كنتَ عاقلاً فاشهد الأشياء منه ولا تشهدها من غيره » .

وعند الديلمي في « الفردوس » بلا إسناد عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الرجل إذا ركب البهيمة تقول : اللهم اقذف في قلبه الرأفة والرحمة)[1] .

وإلى هنا انتهى ما وقفت عليه الآن مما علمته في هذه المسألة ، وبقي مما يتعلق بالدابة تحريم لعنها[2] ، وكذا وضع الجرس في عنقها[3] ، ووسمها في وجهها[4] ، والتَّحريش بين البهائم ، لثبوت النهي عن ذلك كله ،

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الصمت »: ٣٨٤: حدثني محمد بن إدريس حدثنا أبو النضر الدمشقي حدثنا إسماعيل بن عيّاش عن عمرو بن قيس رحمه الله قال ، فذكره، وإسناده ضعيف .

(٢) من ذلك حديث عمران بن حصين: أخرجه مسلم: ٢٥٩٥ ، وأبو داود: ٢٥٦١ ، والنسائي في كتاب السير من « الكبرى » ـ كما في « تحفة الأشراف »: ٨/ ٢٠٢ ـ والدارمي: ٢/ ٢٨٨ ، وأحمد: ٤/ ٤٢٩ ، ٤٣١ ، وابن حبان: ٥٧٤٠ ، ٥٧٤١ ، وابن أبي الدنيا في « الصمت »: ٣٧١ ، والبيهقي: ٥/ ٢٥٤ .
وفي الباب عن أبي هريرة ، وجابر بن عبدالله ، وأبي برزة الأسلمي ، وأنس ، وعائشة . وانظر ـ غير مأمور ـ: « مرويات اللعن في السنة »: ٣٠ ـ ٣١ لأخينا الدكتور باسم الجوابرة .

(٣) من ذلك حديث عائشة: أخرجه أحمد: ٦/ ١٥٠ ، وابن حبان: ٤٦٩٩ ، ٤٧٠٢ ، وغيرهم بإسناد صحيح .
وفي الباب عن أبي هريرة ، وابن عمر ، وأنس ، وأم حبيبة ، وأم سلمة .

(٤) من ذلك حديث جابر بن عبدالله : أخرجه مسلم: ٢١١٦ ، ٢١١٧ ، وأبو داود: ٢٥٦٤ ، والترمذي: ١٧١٠ ـ وقال: « هذا حديث حسن صحيح » ـ ، وأحمد: ٣/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٣ ، ٣٧٨ ، وابن حبان: ٥٦٢٠ ، ٥٦٢٦ ، ٥٦٢٧ ،
=

والأخير منها عند أبي داود في « سننه » من حديث مجاهد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: « نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم»[1].

وعند البخاري في « الأدب المفرد » له عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ من قوله[2].

وجاء عن فضيل بن عياض رحمه الله ، كما هو عند البيهقي في «الشعب» ، أنه قال : « كان يقال: ما أحد يسب شيئاً من الدنيا ، دابة ولا غيرها فيقول : أخزاك الله ، ولعنك الله ، إلا قالت : أخزى الله أعصانا لله. قال فضيل : وابن آدم أعصى وأظلم »[3].

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: « ما لعن الأرضَ أحد إلا

= ٥٦٢٨ وابن خزيمة: ٢٥٥١ ، وعبدالرزاق: ٨٤٥٠ ، ٨٤٥١ ، وابو يعلى: ٢٠٩٩ ، ٢١٤٨ ، ٢٢٣٥ ، والبيهقي: ٥/٢٥٥ و ٧/٣٥ .
وفي الباب عن ابن عباس ، وغيره .

(١) إسناده مضطرب ، أخرجه أبو داود: ٢٥٦٢ ، والترمذي: ١٧٠٨ ، والطبراني: ١١١٢٣ ، والبيهقي: ١٠/٢٢ من طريق قطبة بن عبدالعزيز عن الأعمش عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس .
وأخرجه الترمذي: ١٧٠٩ من طريق شريك عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس ، ولم يذكر أبا يحيى .
وأخرجه الترمذي: ١٧٠٩ من طريق ابن مهدي عن سفيان عن أبي يحيى عن مجاهد مرسلاً . وقال: « ويقال: هذا أصح من حديث قطبة » .
وأخرجه البيهقي: ١٠/٢٢ من طريق وكيع عن الأعمش عن مجاهد مرسلاً . وذكر أنه هو المحفوظ . وقال قبل ذلك عقب روايته السابقة: « رواه أبو داود في كتاب السنن عن محمد بن العلاء . وكذلك روي عن شريك عن الأعمش . ورواه زياد بن عبدالله البكائي عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن مجاهد عن ابن عباس . ورواه منصور بن أبي الأسود عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عمر عن النبي ﷺ ورواه ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر عن النبي ﷺ » .
وانظر: « غاية المرام »: ٣٨٣ و« العلل»: ٢/٢٤٢ لابن أبي حاتم .

(٢) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد »: ١٢٣٢ . وهو حسن لغيره موقوفاً . « كما قال شيخنا الألباني في « صحيح الأدب المفرد »: ٤٧٨ .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الصمت »: ٣٨٥ ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب »: ٥١٨٦ .

قالت: لعن اللهُ أعصانا ». [1]

واستحباب الاستعاذة من الشيطان الرجيم إذا سمع نهيق الحمار [2]، بل ويُروى الصلاة على النبي ﷺ أيضاً [3]، والاستعاذة بالله من شر ما رأى، بخلاف أصوات الديكة، فإنه يستحب إذا سمعها أن يسأل الله تعالى من فضله [4]، ويرغب إليه وكذا يذكر الله عز وجل عند هدير الحمام [5].

---

(١) اخرجه البيهقي في « الشعب »: ٥١٨٧: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ - هو الحاكم - حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا أبو عتبة حدثنا بقية حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن المهاجر بن حبيب عن أبي الدرداء قال. فذكره.
والمهاجر. وثقه ابن حبان: ٥/٤٥٤، وقال أبو حاتم في « الجرح والتعديل »: ٨/٤٤٠: « لا بأس به ».

(٢) اخرج البخاري في « الصحيح »: ٣٣٠٣، وفي « الأدب المفرد »: ١٢٤١، ومسلم: ٢٧٢٩، واللفظ له - وأبو داود: ٥١٠٢، والترمذي: ٣٤٥٩ - وقال: «هذا حديث حسن صحيح» -، وابن حبان: ١٠٠٥، وابن أبي شيبة: ٩٨٥٤، وأحمد: ٢/٣٢١، ٣٠٦ - ٣٠٧، ٣٦٤، والنسائي في « اليوم والليلة »: ٩٤٣، ٩٤٤، وابن السني في « اليوم والليلة » كذلك: ٣١٢، ٣١٣، والبغوي في «شرح السنة »، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكاً. وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوّذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطاناً).
واخرج البخاري في « الأدب المفرد »: ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠ - واللفظ له -، وأبو داود: ٥١٠٣، ٥١٠٤، والنسائي في « اليوم والليلة »: ٩٤٢، وابن حبان: ٥٥١٧، ٥٥١٨، وابن أبي شيبة: ٩٨٥٥، وأحمد: ٣/٣٠٦، ٣٥٥ - ٣٥٦، والحاكم: ٤/٢٨٣ - ٢٨٤، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، والبغوي في «شرح السنة »: ٣٠٦٠، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم نباح الكلاب أو نهاق الحمير من الليل فتعوّذوا بالله، فإنهم يرون ما لا ترون...».
وصححه شيخنا الألباني في « صحيح الجامع »: ٦٢٠.

(٣) اخرج ابن السني في « اليوم والليلة »: ٣١٥: أخبرنا محمد بن أحمد بن المهاجر، حدثنا محمد بن الحسين بن بيان، حدثنا معمر بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عبيدالله عن أبي رافع قال: قال رسول الله ﷺ: (لن ينهق حمار حتى يرى شيطاناً، فإذا كان ذلك فاذكروا الله عز وجل وصلوا عليّ) وهو ضعيف جداً، كما في «ضعيف الجامع »: ٤٧٨٦.

(٤) انظر حديث أبي هريرة في الهامش قبل السابق.

(٥) اخرجه ابن السني في « اليوم والليلة »: ٣١١، من حديث معاذ بن جبل، أن علياً شكا إلى رسول الله ﷺ الوحشة، فأمره أن يتخذ زوج حمام، ويذكر الله عند =

واستحباب تسمية الرجل دابته [(١)]، والاعتقاب عليها في السفر وغيره [(٢)]، وجواز ركوب الثلاثة عليها إذا كانت مُطِيقة [(٣)]، وأحقِّيَّة صاحبها بمقدّمها، إلا أن يأذن لغيره [(٤)]، والاكتفاء بمركب واحد، فقد روى أحمد والترمذي عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ أنه ﷺ قال: (يكفي أحدكم من الدنيا خادم ومركب)[(٥)].

= هديره ».

في إسناده الحسين بن علوان، قال ابن حبان « كان يضع الحديث على هشام بن عروة وغيره من الثقات وضعاً، لاتحل رواية حديثه إلا على جهة التعجب، كذبه أحمد بن حنبل رحمه الله »، « المجروحين »: ١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥ وانظر الميزان: ٢٠٢٧.

(١) الأصح: مشروعية ذلك، إذ ليس في الحث عليه نص. وقد ترجم البخاري في كتاب الجهاد من « صحيحه »: « باب اسم الفرس والحمار »، وأخرج فيه أربعة أحاديث فيها ذكر أسماء لدواب النبي ﷺ وغيره: ٢٨٥٤ ـ ٢٨٥٧.

(٢) من ذلك حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في غزوة ذات الرقاع، وفيه: «ونحن في ستة نفر، بيننا بعير نعتقبه ».
أخرجه البخاري: ٤١٢٨، ومسلم: ١٨١٦، وابن حبان: ٤٧٣٤، والبيهقي: ٥/ ٢٥٨.
وفي الباب عن ابن مسعود وغيره.
وجميع الأحاديث التي وقفنا عليها في الباب فيها أن سبب ذلك قلة الظهر وعدم القدرة على أكثر من الموجود، والله أعلم.

(٣) من ذلك حديث عبدالله بن جعفر، أخرجه البخاري: ٣٠٨٢، ومسلم: ٢٤٢٧، وابن منده في « أرداف النبي »: ٢٨، ٦٢.
وفي الباب لعبدالله بن جعفر حديثان آخران، وفيه عن ابن عباس، بل وفيه عن سلمة بن الأكوع أن النبي ﷺ حمل معه ثلاثة على الدابة. أخرجه مسلم: ٢٤٢٣، والترمذي: ٢٧٧٥، وابن منده في « أرداف النبي »: ٢٦.
وفي جميع هذه الأحاديث كان المردَفون أطفالاً، تطيق السير بهم الدابة.
وانظر في ذلك جزء الحافظ ابن منده: « أرداف النبي ﷺ ».

(٤) من ذلك حديث بريدة الأسلمي. أخرجه الترمذي: ٢٧٧٣ ـ وقال: « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه » ـ وأبو داود: ٢٥٧٢، وابن حبان: ٤٧٣٥ ـ والبيهقي في « السنن »: ٥/ ٢٥٨، بإسناد جيد.
وفي الباب عن عمر بن الخطاب، وأبي سعيد الخدري، وقيس بن سعد، رضي الله عنهم جميعاً.

(٥) أخرجه الدارمي: ٢/ ٣٠١، وأحمد: ٥/ ٣٦٠، والنسائي في الزينة من « السنن الكبرى » ـ كما في « تحفة الأشراف »: ٢٠١١ ـ وابن أبي شيبة في « المصنف »: ١٦٢٣٥، وابن أبي عاصم في « الزهد »: ١٧١، ٢٣٢، و« الآحاد والمثاني »: ٢٣٦٠، وأبو نعيم في الحلية »: ٦/ ٢٠٦، وابن عبدالبر في « جامع بيان العلم =

وكراهية استصحاب النجائب [1] ، ففي الحديث المرفوع أنّها إبل الشياطين، قال: « وهي إبل نجيبات أسمنها صاحبها ، فلا يعلو بعيراً منها ويمر بأخيه قد انقطع به فلا يحمله عليها » [2].

وسيرة السلف الاقتصاد في المركب ، فقد روّينا في أواخر الجزء العشرين من « المجالسة » من طريق أبي عَمرو بن العلاء قال حدثني رجل من أهل صنعاء قال: « كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بين مكة والمدينة على بعير حرن غليظ ، فكان رجلاً رثا له ، فأتاه بناقة وطية فقال: يا أمير المؤمنين ، بعيرك حرن ، فلو ركبت هذه . فركبها فسارت به ساعة ، ثم قال: كأن راكبها غصن بمَرْوَحة ، إذا تدلت به أو شارب ثمِل . ثم أناخ فنزل وقال: دونك ناقتك » .

والمروحة - بفتح الميم - المفازة ، والجمع : المراويح ، وهي المواضع التي تخترق فيها الرياح ، وأما بالكسر فهي ما يتروَّحُ بها .

= وفضله »: ٢/ ١٩ .
والحديث لم يخرجه الترمذي كما قال المصنف ، ولكن أشار إليه عقب حديث أبي هاشم الآتي فقال: « وفي الباب عن بريدة الأسلمي عن النبي ﷺ » .
أو أنها كانت « الدارمي » فتحرّفت من الناسخ ، والله أعلم .
والحديث له شاهد من حديث أبي هاشم ابن عتبة:
أخرجه الترمذي: ٢٣٢٧ ، والنسائي: ٥٣٧٢ ، وابن ماجه: ٤١٠٣ ، وأحمد: ٣/ ٤٤٣ - ٤٤٤ ، ٥/ ٢٩٠ .

(١) في المخطوط: « الجنائب » - بتقديم الجيم - وكذا في « سنن أبي داود » و« سنن البيهقي »: « باب في الجنائب » ، ثم في الحديث: « بجنيبات » .
وهذا كله تحريف - والله أعلم - ، وصوابه: « النَّجائب » ، و« بنجيبات » ، كما وقع في « المشكاة » .
قال ابن الأثير في « النهاية » في (ن ج ب): « فالنَّجائب: جمع نجيبة ، تأنيثُ النَّجيب ، ... وقد تكرر في الحديث ذكر النَّجيب من الإبل ، مفرداً ومجموعاً ، وهو القوي منها ، الخفيف السَّريع » .

(٢) أخرجه أبو داود: ٢٥٦٨ - ومن طريقه البيهقي: ٥/ ٢٥٥ - من طريق سعيد بن أبي هند عن أبي هريرة رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (تكون إبل للشياطين، وبيوت للشياطين ، فأمّا إبل الشياطين فقد رأيتها ، يخرج أحدكم بنجيبات معه قد أسمنها ، فلا يعلو بعيراً منها ...) . وكان شيخنا الألباني قد حسن إسناده في « المشكاة »: ٣٩١٩ ، و« الصحيحة »: ٩٣ ، ثم حذفه من الطبعة الجديدة ، للانقطاع الذي بين سعيد وأبي هريرة رضي الله عنه .

ولابن أبي الدنيا من طريق عبدالله بن مسلم بن هرمز المكي عن أبي الغادية الشامي قال: قدم عمر ـ رضي الله عنه ـ الجابية على جَمل أورق تلوح صلعته بالشمس ، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة ، قد طبق رجليه بين شعبتي رحله بلا ركب ، وطاؤه كساء أنبجاني من صوف ، هو وطاؤه إذا ركب ، وفراشه إذا نزل ، حقيبته محشو بليف ، وهي إذا نزل وسادة، وعليه قميص من كرابيس » . وفيه أنه استدعى برأس القرية ، وأنه قال لعمر ـ رضي الله عنه : « أنت ملك العرب ، وهذه بلاد لا تصلح فيها الإبل ، فأتي ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل ، فلما سار هنيهة قال: احبسوا ، ما كنت أظن الناس يركبون الشيطان ، هاتوا جملي . رضي الله عنه ».

وإن المركب الصالح الهني من سعادة ابن آدم ، كما ثبت في الحديث[1] . ولولا الخروج عن الغرض بذلك لبيّنتُه بياناً شافياً .

وكذا أورد أنه: (لو علمت البهائمُ من الموت ما يعلمُ ابنُ آدمَ ما أكلتم[2] منها سَميناً)[3] ، وأنَّه « ما مِنْ دابَّةٍ إلا وهي مُسِيخةٌ يوم الجمعةِ ، مِن حين

(١) اخرجه أحمد: ٣/٤٠٧ ـ ٤٠٨ ، والحاكم: ٤/١٦٦ ـ ١٦٧ ـ وصحح إسناده ووافقه الذهبي ـ من حديث نافع بن عبدالحارث .
وقال الهيثمي عن رواية أحمد في « مجمع الزوائد »: ٨/١٦٦: « ورجاله رجال الصحيح » .
وله شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص: اخرجه أحمد: ١/١٦٨ ، والبزار ـ «كشف الأستار »: ١٤١٢ ، ١٤١٣ ـ والطبراني في « الكبير »: ٣٢٩ ، والأوسط ـ « مجمع البحرين »: ١٩١ ، قال الهيثمي في « المجمع: » ٤/٢٧٥: « ورجال احمد رجال الصحيح » . لكن في إسناده: محمد بن أبي حميد ـ ضعيف . ولهذا ضعف الشيخ شاكر إسناده: ١٤٤٤ . لكن تابعه عباسُ بن ذريح ، عند الطبراني .

(٢) في المخطوط : « أكل » . والمثبت من مصادر الحديث

(٣) ضعيف ، اخرجه ابن المبارك في « الزهد »: ٢/٣٨ ، والبيهقي في « الشعب »: ١٠٥٥٧ ، وفي « دلائل النبوة »: ٦/٣٤ ، والقضاعي في « مسند الشهاب »: ١٤٣٤. من حديث أم صُبَيَّة الجهنية . وأشار السيوطي لضعفه: ٧٤٣٣ ، ووافقه المناوي ، وقال: « وفيه: عبدالله بن سلمة بن أسلم ، ضعفه الدارقطني » . و ضعفه شيخنا الألباني في « ضعيف الجامع » : ٤٨١٣ .
وأخرجه الديلمي: ٥١٢٦ ، من حديث أنس بن مالك دون إسناد ، وبيّض له ولده ـ =

تصبحُ حتى تطلعَ الشمسُ شفقاً أنْ تقوم الساعةُ ، إلا الجنَّ والإنْس »[1] .

وإنه ورد فيما أخرجه أبو داودَ في « سننه » ، من طريق الشَّعبي عمَّن له صحبةٌ و رفعه : (مَنْ تركَ دابّة بِمهْلكةٍ فأحياها رجلٌ ، فهي لمن أحياها)[2] .

= كما في الحاشية - وذكر المناوي في « الفيض »: ٥/ ٣١٥ ، أنه عند الديلمي من حديث أبي سعيد !!
واخرجه وكيع في « الزهد »: ٦٣ ، عن عبدالملك بن عمير مرسلاً .
واخرجه نعيم بن حماد في « زيادات الزهد » : ٣٨ عن الحسن بن صالح أنه بلغه عن رسول الله ﷺ نحوه .
واخرجه أبو نعيم من « الحلية »: ٦/ ٣٩٢ ، في قول سفيان الثوري ، وهو أشبه .
وقد صح في الحديث المرفوع أن البهائم تسمع ما يقع في القبور من صياح الموتى المعذبين ، والله أعلم .

(١) جزء من حديث أبي هريرة الصحيح في فضل يوم الجمعة .
أخرجه أبو داود: ١٠٤٦ ، والترمذي: ٤٩١ - وقال: « هذا حديث حسن صحيح » - والنسائي: ١٤٣٠ ، ومالك: ١/ ١٠٨ - ١١٠ ، وابن حبان: ٢٧٧٠ ، ٢٧٧٢ ، والحاكم: ١/ ٢٧٨ ، وصححه على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي - وعبدالرزاق: ٥٥٦٣ ، وأحمد: ٢/ ٢٧٢ ، ٤٥٧ ، ٤٨٦ ، والشافعي في « مسنده »: ٧٢ ، والبيهقي في السنن: ٣/ ٢٥٠ - ٢٥١ ، وفي « فضائل الأوقات »: ٢٥١ ، والبغوي في « شرح السنة »: ١٠٥٠ ، ١٠٦٢ .
قال البيهقي عقب روايته: « قوله: مسيخة ، يعني: مصغية . قال أبو الخطابي رحمه الله : معناه: مصغية مستمعة » .
والحديث أصله في « الصحيحين » - البخاري: ٩٣٥ ، مسلم: ٨٥٢ - وغيرهما ، دون المقصود منه هنا .

(٢) إسناده ضعيف ، أخرجه أبو داود: ٣٥٢٤ ، - ومن طريقه البيهقي: ٦/ ١٩٨ - من طريق حماد بن زيد ، وأبو داود: ٣٥٢٤ ، ٣٥٢٥ ، ومن طريقه البيهقي: ٦/ ١٩٨، من طريق أبان بن يزيد ، والبيهقي: ٦/ ١٩٨ ، من طريق منصور بن زاذان ، وابن أبي شيبة: ٢٤٣٠ - من طريق هشام الدستوائي ، أربعتهم عن عبيدالله بن حميد بن عبدالرحمن عن الشعبي قال: قال رسول الله ﷺ . فذكره .
وفي رواية أبان ومنصور سؤال عبيدالله الشعبيَّ: عمَّن ؟ قال: عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ .
قال المنذري في « تهذيب سنن أبي داود »: ٥/ ١٧٨ : « وفيه عبيدالله بن حميد . وقد سئل عنه يحيى بن معين فقال: لا أعرفه . يعني: لا أعرف تحقيق أمره » . وذكره ابن حبان في « الثقات »: ٧/ ١٤٤ . وقال الحافظ في التقريب: « مقبول »: ٤٢٨٤.
وهذا آخر التعليق على هذا الجزء ، والحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين .

ومن الحكايات المضحكة: « أنّ بعض المغفلين عثرت به دابتُه ، فالتفت وقال لغلامه: اقطع علفها أدباً لها . فقال: تموت بذلك . قال: فاعلفها ولا تُعلمها أني أذنت لك - أو كما قال » .

إلى غير ذلك مما لم يُطلب منا إيراده الآن ، والله المستعان .

آخره ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، آمين .

هذا لفظ المؤلف بحروفه ، ومن خطه - أمتع الله المسلمين بحياته - نقلتُ ذلك في يومين متواليين ، ثانيهما يوم الثلاثاء ثالث عشر ، جمادي الثاني سنة سبع وثمانين وثمان مئة ، بمنزلنا من مكة المشرفة .

قاله وكتب أبو الخير وأبو فارس محمد المدعو عبدالعزيز بن عمر بن محمد ابن فهد الهاشمي المكي الشافعي الأثري ، ألهمه الله رشده ولطف به وبوالديه وبإخوانه وبجميع المسلمين ، والحمدلله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

الحمدلله وسلام على عباده الذين اصطفى .

سمع مني هذا الجواب الجماعة الفضلاء البارعون:

الشيخ شمس الدين محمد ابن الشيخ يوسف الصفي ، وأمين الدين محمد ابن أحمد ابن النجار الدمياطي أمام محل السماع ، وشهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد المنزلي ثم الأزهري عرف بابن القطان ، وشهاب الدين أحمد ابن الشيخ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن الطوخي نزيل المنكو تمرية ، ووالده ، وشهاب الدين أحمد بن داود بن سليمان البيجوري ثم الأزهري ، وشمس الدين محمد بن يوسف بن عوض البحيري ثم الأزهري المالكي ، والشيخ المسند شهاب الدين أحمد بن عبدالقادر بن طريف الشناوي الحنفي ، والفقيه بدر الدين حسين بن أحمد الأزهري نزيل الحسينية ، والشيخ زين الدين عبدالرحمن بن موسى الدمياطي ثم القاهري ، ومحب الدين محمد بن حسن بن حسين الأميوطي الحسيني ، وشمس الدين محمد بن أحمد بن

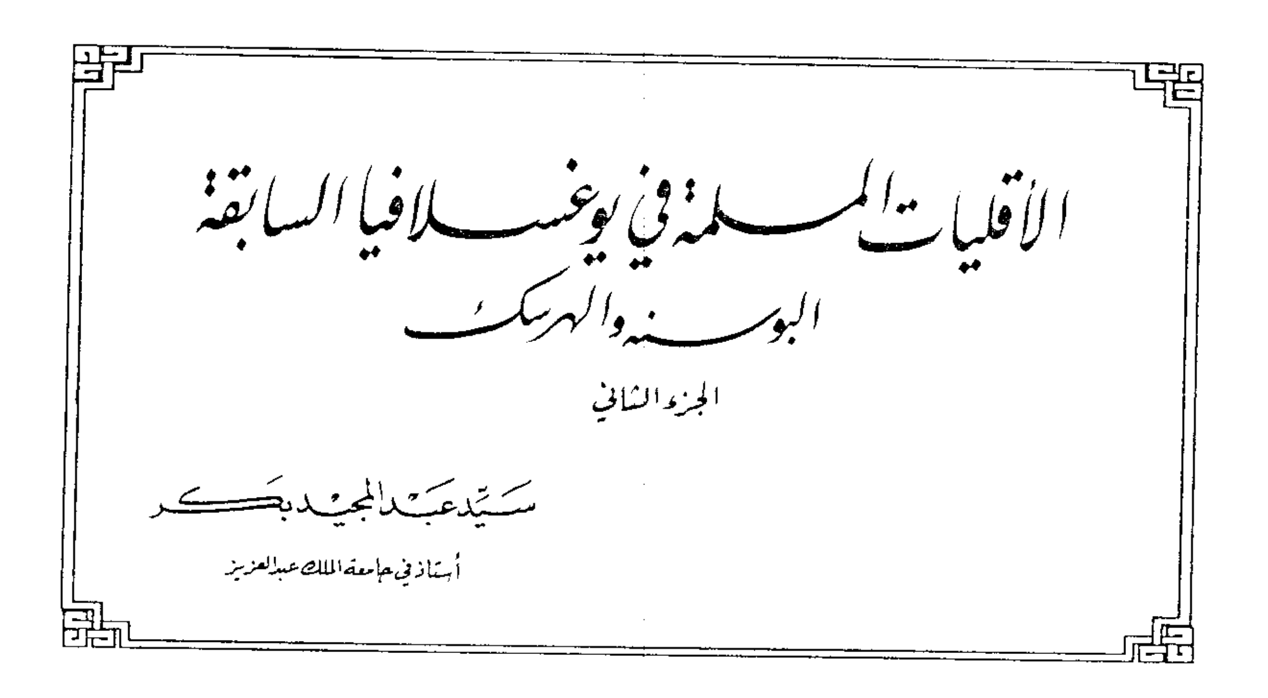
عبـدالله الناسخ نزيل الحسينيـة ويعرف بابن الشاهد ، والشـيـخ سالم المديني ، وآخرون .

وذلك في يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم سنة سبع وسبعين وثمان مئة . بجامع العُمـري - يعني من القاهرة المعـزية - عقب مجلس الإمـلاء ، وأجزت لهم لفظاً .

وكتبه مؤلفـه محمد ابن السـخاوي غفـر الله ذنوبه ، وستر عـيوبه ، ومن خطه نقل كـاتبـه عبـدالعـزيز بن عـمـر بن محـمـد ابن فـهد الهـاشـمي المكي الأثري، لطف الله به وبوالديه وبإخوانه وبجمـيع المسلمين ، والحمدلله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .







قال الحق عز وجل :

﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾[1] .

صدق الله العظيم

يقاتل المسلمون في البوسنة والهرسك عدواً طغى وتجبر ، يقاتلون ضد الطغيان ، ضد عدو لا يرحم الأطفال والشيوخ والنساء ، يقاتلون عدواً اغتصب أعراض عشرات الآلاف من العفيفات ، ولم يرحم الحوامل والثكالى، يقاتلون حقد عدو قضى على مائتي ألف شهيد ، وهجر نصف شعب البوسنة والهرسك لينفذ سياسة التطهير الديني والعرقي ، يقاتلون عدواً دمر موارد الأرزاق ، وسعى في الأرض فساداً فحرق المدن والقرى ، وهدم بيوت العبادة وتراث الإنسان ، يقاتلون ضد عدو يمحو كل ما هو مسلم لمجرد أنه مسلم ، يقاتلون عدو الإنسانية .

فلكم الله يا أهل البوسنة ، فهو الجبار فوق المتجبرين ، وهو المنتقم من العابثين ، وهو القاهر ، هو الناصر لعباده المؤمنين .

---

(١) سورة الحج: ٣٩ .

أخي القارىء الكريم :

نشـرت مجلة الحكمـة الجزء الأول من هذا البـحث في عـددها الثـالث ، ولقـد احتوى عـلى لمحة جغـرافيـة عن يوغسـلافيـا السابقـة ، وكيف وصلـها الإسلام ، وعن أحـوال المسلمين في ظل الحكم السابق ، ومناطق انتـشارهـم في يوغسلافيا السابقة والقوميات المسلمة في هذا البلد ، والهيئات والمؤسسات الإسلامـية بها ، كـما تطرق إلى التـعليم الإسلامي قبل تـفكك يوغسلافـيا ، وتضـمن جغـرافيـة جمـهورية البـوسنة والهرسك ، كـما اشـتمل على العـمق التاريخي لشـعب البوسنة والهـرسك ، ثم تناول انهيـار الإتحاد اليوغـسلافي ، وانفـصـال البـوسنة والهـرسك عنه ، واشـتـمل على تحـدي الصـرب لهـذه الجمهورية المطالبة بحريتها، وتناول مأساة البوسنة والهرسك ، وتتبع أحداثها، وبربرية الصرب ، وسيـاستهم في الاستئصـال الديني والعرقي ، وما نتج عن ذلك من تهجير نصف هذا الشعب وسفك دماء مـائتي ألف شهيد ، وسياسة هدم المسـاجد ، وتشـريد شـعب اعتـرف به المجتـمع العـالمي . ونتابع الجـزء الثاني في هذا العدد.

تمهيد

تأسس اتحاد الجمهوريات اليوغسلافية في أعقاب الحرب العالمية الثانية حيث سيطر الشيوعيون على الحكم بزعامة تيتو ، وعصفت الرياح بالاتحاد السابق منذ سنة ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م ، بعد عشر سنوات من وفاة مؤسسه.

وهذا أمر طبيعي لبناء كيان قام على التعصب القومي في ظل حكم شيوعي مستبد ، وبدأت الفوضى والاضطرابات تجتاح أوصال يوغسلافيا السابقة ، وأخذت النعرات القومية والتناحر والمطامع تهيمن على المنطقة المتأججة .

شهد عام ١٤١١هـ - ١٩٩١ م توالي أحداث الانفصال للجمهوريات التي تشكل الكيان اليوغسلافي السابق ، ففي عام ١٤١١ هـ - ١٩٩١م ، أعلنت كل من كرواتيا ، وسلوفينيا استقلالهما عن الاتحاد اليوغسلافي السابق ، واصطدم هذا بأحلام الصرب الذين أعلنوا من أنفسهم ورثة هذا الاتحاد المنهار، فشنوا حرباً شعواء على المنفصلين المطالبين بحريتهم ، ولكن الاعتراف الدولي بالجمهوريات المنفصلة خيب آمالهم .

أعلنت جمهورية البوسنة والهرسك انفصالها عن الاتحاد السابق في أول مارس ١٩٩٢ م عقب استفتاء شعبي كانت نتيجته مؤيدة للانفصال .

وأمام هذا الموقف المتدهور في يوغسلافيا السابقة تجددت آمال الصرب في تكوين صربيا الكبرى فشنوا حروباً شرسة ضد الجمهوريات المستقلة ، وركز الصرب حربهم أول الأمر على جمهورية كرواتيا ، وأدخلوا شعبها في حمامات دموية ، بالرغم من أن الصرب يشكلون ٦,٧٪ من سكان كرواتيا إلا أنهم استولوا على ٣٠٪ من أرضها بقوة السلاح .

في منتصف عام ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م اعترفت هيئة الأمم المتحدة

بالجمهوريات الثلاث المستقلة ، وأسقطت عضوية يوغسلافيا الاتحادية (صربيا، والجبل الأسود) ، فازدادت شراسة حرب الإبادة التي شنها الصرب ، وتدخلت هيئة الأمم المتحدة لوقف النزيف الدموي ، فأرسلت حوالي ١٤ ألف جندي من قوات حفظ السلام إلى كرواتيا ، وحاولت هيئة الأمم حل المنازعات سلمياً ، وهدأت الأحوال نسبياً في كرواتيا .

تحول الصرب بكل قواتهم إلى البوسنة والهرسك لشن موجة ثانية من التطهير العرقي والديني لشعب شبه أعزل من السلاح ، ودخل الصرب حربهم ضد البوسنة ولديهم معظم سلاح الجيش اليوغسلافي السابق ، وبدأت حملات الصرب الشرسة ، وأعلن صرب البوسنة والهرسك عن نيتهم في الانضمام إلى صربيا ، لتحقيق حلم صربيا الكبرى ، وقاطعوا الاستفتاء لتقرير المصير ، وبمجرد أن أعلنت البوسنة والهرسك انفصالها عن يوغسلافيا السابقة، أعلن صرب البوسنة تكون جمهورية الصرب في البوسنة والهرسك وأمام هذه الأحداث دخلت البلاد في حمامات الدماء ، وجاء إعلان ما يسمى بجمهورية صرب البوسنة في ٢٧/٣/١٩٩٢ م ، وبدأت المأساة .

شهد النصف الثاني من سنة ١٩٩٢ م حرباً طاحنة شنها الصرب على المسلمين في البوسنة والهرسك ، فوصل عدد الشهداء من المسلمين إلى قرابة مائتي ألف ، وهاجر من المسلمين والكروات ١,٦ مليون نسمة هروباً من جحيم الاستئصال العرقي والديني ، وهتك الصرب أعراض أكثر من ٤٠ ألف امرأة وفتاة من سن ٨ سنوات وحتى ٦٠ سنة وفتحوا معسكرات الاعتقالات التي زجوا فيها بعشرات الآلاف من المسلمين والكروات ، وأرسلت هيئة الأمم قوات لحفظ السلام ، وأصدر مجلس الأمن عدة قرارات لم ينفذ الصرب منها قراراً واحداً (وسبق توضيح وشرح تطور الأحداث الدامية للمأساة في العدد الثالث من مجلة الحكمة) ، وطرحت قضية البوسنة والهرسك نفسها على المحافل الدولية .

أخذت مأساة البوسنة والهرسك مساراً إسلامياً ، حيث استنكر العالم الإسلامي ما يحدث في البوسنة من حرب الإبادة التي يشنها الصرب ،

وتبنت منظمة المؤتمر الإسلامي قضية الاستئصال العرقي والديني ، وبذلت المجموعة الإسلامية جهودها لمحاولة وقف هذا النزيف البشري ، ووضع حدّ للمأساة في البوسنة والهرسك .

أخذت المأساة البوسنية مسارها في أروقة الأمم المتحدة ، في الجمعية العمومية للهيئة ، وفي مجلس الأمن ، وأدلى المجتمع الأوروبي بدلوه في المأساة .

وفي الصفحات التالية سوف نتتبع مأساة البوسنة والهرسك عبر هذه المسارات، حيث نبدأ بالمسار الإسلامي - ثم المسار الدولي ، يليه خطط تقسيم البوسنة ، ثم تطور الخريطة السياسية ليوغسلافيا السابقة .

أولاً : المسار الإسلامي

منظمة المؤتمر الإسلامي

منذ أن بدأت أحداث القتال الصربي في البوسنة والهرسك تتجه نحو الإبادة العرقية والدينية للمسلمين في هذه الدولة وأخذت أحداث القتال الدامي تزداد شراسة ، اهتمت منظمة المؤتمر الإسلامي في طرح المشكلة على الصعيدين الإسلامي ، والدولي ، فلقد دعا الرئيس التركي تورجوت أوزال إلى عقد قمة إسلامية عاجلة لإيجاد تسوية للنزاع في البوسنة والهرسك ، وذلك إذا فشل مجلس الأمن في اتخاذ الاجراء الإيجابي لحل مشكلة مسلمي البوسنة ، وقد تشاور في هذا الشأن مع الملك فهد بن عبدالعزيز والرئيس حسني مبارك ، وفي مؤتمر صحفي عقده مع الرئيس حسني مبارك في القاهرة، ذكر الرئيسان أنهما تشاورا مع خادم الحرمين الشريفين في مأساة البوسنة والهرسك [1] وكان هذا تمهيدا لعقد دورة استثنائية لوزراء خارجية دول منظمة المؤتمر الإسلامي .

---

(1) جريدة الحياة ١٤١٣/٣/١٥ هـ ١٩٩٢/٩/٤ م .

الجلسة الطارئة لوزراء خارجية دول المؤتمر الإسلامي « استنبول » :

عقدت هذه الجلسة في يومي ١٦ و ١٧/١٢/١٤١٢ هـ (١٧، ١٨/٦/ ١٩٩٢ م) وبعد دراسة الوضع في جمهورية البوسنة والهرسك ، اتخذ المؤتمر عدة قرارات منها:

١- يؤكد المؤتمر تضامنه المطلق ودعمه الكامل لجمهورية البوسنة والهرسك حكومة وشعباً في نضالها العادل من أجل صون سيادتها واستقلالها السياسي ووحدة أراضيها .

٢- يدين المؤتمر بشدة ما يمارسه الجيش اليوغسلافي والقوات الصربية غير النظامية من أعمال العنف ضد جمهورية البوسنة والهرسك .

٣- يعرب المؤتمر عن تقديره للدول التي اعترفت باستقلال البوسنة والهرسك ، كما يناشد الدول الأعضاء في الأمم المتحدة التي لم تعترف بعد بجمهورية البوسنة والهرسك المبادرة إلى ذلك .

٤- يطالب المؤتمر إما بسحب الوحدات التابعة للجيش اليوغسلافي ، الموجودة في البوسنة والهرسك أو إخضاعها لسلطة الحكومة البوسنية ، أو تجريدها من السلاح ، ووضعها تحت رقابة دولية .

٥- يدعو المؤتمر إلى تجريد جميع القوات الصربية غير النظامية والعناصر المسلحة الأخرى في البوسنة والهرسك من السلاح وتسريحها ، وذلك تحت إشراف دولي .

٦- يؤكد المؤتمر ضرورة تعزيز قوات الدفاع الإقليمية لجمهورية البوسنة والهرسك بصورة عاجلة لتمكينها من الاضطلاع بمسؤوليتها في جميع أراضيها .

٧- يرحب المؤتمر بالتدابير التي اتخذها مجلس الأمن بفرض عقوبات إلزامية شاملة ضد صربيا والجبل الأسود ، ويعلن تأييده التام لهذه التدابير .

٨- يعلن المؤتمر إدانته الشديدة لما يحل بالمدن والتراث التاريخي والديني والحضاري لجمهورية البوسنة والهرسك كما يرحب بما اتخذه المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو يوم ٢ مايو سنة ١٩٩٢ م من قرارات في هذا الشأن .

٩- يدعو المؤتمر إلى احترام الترتيبات الأخيرة لوقف إطلاق النار ، واحترام حقوق الإنسان الواردة في اتفاقية جنيف .

١٠- يندد المؤتمر بشدة بالقيادة الصربية في كل من بيوغراد والبوسنة والهرسك لعدم امتثالها لكل قرارات مجلس الأمن ذات الصلة .

١١- يحث المؤتمر مجلس الأمن استناداً إلى المادة ٤٢ والتي تدعو إلى القيام بعمل منسق لقوات جوية أو بحرية أو برية لإعادة السلم والأمن الدوليين عندما يتبين عدم ملاءمة الوسائل المنصوص عليها في المادة ٤١ للدفاع عن النفس .

١٢- يناشد المؤتمر الدول الأعضاء بتقديم الدعم الكامل للأمم المتحدة ولأي تدابير يراها مجلس الأمن ضرورية لفرض قراراته وتنفيذها بشأن البوسنة والهرسك .

١٣- يدعو المؤتمر السلطات الصربية في بيوغراد الالتزام باحترام سيادة البوسنة والهرسك .

١٤- يدعو المؤتمر السلطات الصربية إلى الامتناع عن تغيير التركيبة السكانية في البوسنة والهرسك .

١٥- يحمل المؤتمر السلطات الصربية في بيوغراد وفي البوسنة المسؤولية عن الفظائع التي ترتكب في حق المسلمين والكروات في البوسنة .

١٦- يحث المؤتمر الدول كافة على عدم الاعتراف بقيام جمهورية يوغسلافيا الاتحادية إلى حين امتثالها لقرارات مجلس الأمن الخاصة بالبوسنة والهرسك .

١٧ـ يعرب المؤتمر عن تقديره للجهود المشكورة التي تبذلها الهيئات الإسلامية والإنسانية الدولية لتقديمها الغوث والمساعدات الإنسانية للبوسنة والهرسك.

١٨ـ يوصي المؤتمر الدول الأعضاء بتخصيص يوم للتضامن مع شعب البوسنة والهرسك .

١٩ـ يوصي المؤتمر بتشكيل فريق اتصال لمتابعة الوضع المأساوي في البوسنة والهرسك ومتابعة الموقف في جمهورية يوغسلافيا [1] الاتحادية .

كانت هذه أهم القرارات التي اتخذها وزراء خارجية دول منظمة المؤتمر الإسلامي الذي عقد في استنبول ، واستمر الموقف في البوسنة والهرسك يزداد تدهوراً ، فلم يمتثل الصرب لقرارات الأمم المتحدة والاستنكار الدولي لفظائعهم . واستمرت حرب الاستئصال العرقي والديني ، كما استمر تدفق اللاجئين من المسلمين والكروات ، وأمام هذه الأحداث الشرسة من جانب الصرب ، نجح وزراء خارجية دول المؤتمر الإسلامي في إدراج مسألة البوسنة والهرسك في الدورة ٤٦ للجمعية العامة للأمم المتحدة .

وأمام هذا الوضع المأساوي في البوسنة والهرسك ، دعا الملك فهد إلى عقد جلسة طارئة لوزراء خارجية دول المؤتمر الإسلامي في جدة لدراسة مأساة البوسنة والهرسك .

مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في (جدة) المملكة العربية السعودية :

بناء على الدعوة التي وجهها الملك فهد لعقد دورة استثنائية لوزراء خارجية المؤتمر الإسلامي في ٧ـ ٨/٦/١٤١٣هـ ، ١ـ٢ ديسمبر ١٩٩٢ م بعد انقضاء حوالي ٦ شهور على الجلسة الاستثنائية التي عقدها وزراء خارجية دول المؤتمر الإسلامي في استنبول ، وذلك لتدني الوضع في البوسنة والهرسك وزيادة

(١) الرابطة الإسلامية ، عدد خاص عن البوسنة والهرسك ، صفر ١٤١٤ هـ .

القلق إزاء تدهور الموقف ، وتمادى صربيا والجبل الأسود في تجاهل قرارات الأمم المتحدة ، وعدم الإصغاء إلى المجتمع الدولي واستمرار عدوانهم على البوسنة والهرسك وكرواتيا ، لهذا أعرب المؤتمر عن شجب هذه الأعمال ، كما أعرب المؤتمر عن ألمه البالغ إزاء الأبعاد الخطيرة للمشكلة الإنسانية التي تتسم بها الانتهاكات الصارخة المستمرة لحقوق الإنسان في المنطقة ، وما يترتب على ذلك من مضاعفات خطيرة ، فالأمر في البوسنة والهرسك يستدعي تنفيذ تدابير حاسمة وفقاً لميثاق الأمم المتحدة خصوصاً المادة رقم: ٤٢ من الفصل السابع ، ويؤكد المؤتمر من جديد حق البوسنة والهرسك في الدفاع عن النفس وفقاً للمادة ٥١ من الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة .
وأصدر المؤتمر عدة قرارات منها:

١- أخذ المجلس علماً وبكل تقدير بتقرير الأمين العام للمؤتمر بخصوص الوضع في البوسنة والهرسك .

٢- يؤكد المؤتمر قراراته التي اتخذت في الجلسة الطارئة التي عقدت في استنبول .

٣- يؤكد مجدداً التزامه بأحلال السلام في البوسنة والهرسك وفقاً لقرارات الأمم المتحدة .

٤- يندد المؤتمر بشدة بالعدوان الصربي على جمهورية البوسنة والهرسك ، كما يندد بعدم امتثال صربيا والجبل الأسود وصرب البوسنة لقرارات مجلس الأمن .

٥- يندد المؤتمر بقوة بالانتهاكات الصارخة المتكررة لحقوق الإنسان ، والإبادة والتطهير العرقي وتهجير المسلمين والكروات وغيرهم ويستنكر الإبادة الجماعية بحق البشرية .

٦- يطلب المؤتمر من مجلس الأمن الدولي ضمان التنفيذ الفعال لقراراته ذات الصلة .

٧- يطلب المؤتمر نشر قوات الأمم المتحدة على حدود البوسنة مع صربيا والجبل الأسود لمنع وصول إمدادات مباشرة أو غير مباشرة .

٨- يطلب من مجلس الأمن اتخاذ كافة الإجراءات الضرورية فوراً بما في ذلك استعمال القوة ضد صربيا والجبل الأسود وصرب البوسنة بموجب المادة ٤٢ من الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة ، وإلزام الصرب بالامتثال للقرارات التي صدرت من مجلس الأمن خصوصاً القرارين ٧٥٢ ، ٧٥٧.

٩- يحث الدول الأعضاء على التعاون مع جمهورية البوسنة والهرسك لممارسة حق الدفاع عن النفس فرادى أو جماعات وفقاً للمادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة .

١٠- يحث المؤتمر مجلس الأمن على التوضيح والإعلان صراحة ان حظر بيع السلاح ليوغسلافيا السابقة، والمفروض بموجب القرار رقم: ٧١٣ لا ينطبق على جمهورية البوسنة والهرسك ويسمح لها بالاستلام الفوري للأسلحة الدفاعية .

١١- يطلب من مجلس الأمن أن يقوم قبل ١٥ يناير ١٩٩٣م بمراجعة موضوع البوسنة والهرسك من حيث تنفيذ قراراته ذات الصلة ، وقرارات المؤتمر الدولي حول يوغسلافيا (مؤتمر لندن) ويكلف المؤتمر فريق الاتصال التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي لدى الأمم المتحدة بمتابعة هذه المراجعة بهدف تقديم المشورة للدول الأعضاء عن أي إجراءات أخرى إذا وجدت ، أو أي إجراءات يمكن لدول منظمة المؤتمر الإسلامي القيام بها من أجل الاستجابة لطلبات جمهورية البوسنة والهرسك .

١٢- يندد بخرق العقوبات الشاملة الإلزامية التي فرضها المجلس على صربيا والجبل الأسود ، ويحث مجلس الأمن على ضمان تنفيذ القرار ٧٨٧ لسنة ١٩٩٢ م ، خصوصاً منع وصول الإمدادات إلى صربيا عبر نهر الدانوب .

١٣ـ يطلب من الدول الأعضاء اتخاذ التدابير الملائمة فرادى أو جماعات وفقاً لميثاق الأمم المتحدة ضد الدول التي تخرق عمدا عقوبات الأمم المتحدة المفروضة على صربيا والجبل الأسود ، ويحث الدول الأعضاء على وقف أي صفقات اقتصادية أو مالية مع صربيا والجبل الأسود .

١٤ـ يطلب المؤتمر من الأمين العام للأمم المتحدة تكثيف الجهود الرامية لإعادة فتح المطارات الواقعة في المناطق التي تحت سيطرة جمهورية البوسنة والهرسك لإيصال الإمدادات الإنسانية أو إنزال المساعدات من الجو .

١٥ـ يؤيد المؤتمر الجهود التي تبذلها الأمم المتحدة خصوصاً تلك التي تبذلها مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين من أجل ضمان وصول المساعدات الإنسانية لشعب البوسنة والهرسك .

١٦ـ يطلب المؤتمر من الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية النظر على وجه السرعة في إقامة مناطق آمنة بالتنسيق مع كل الأطراف المعنية بالجهود الإنسانية القائمة في البوسنة والهرسك ، وتقديم مواد الإغاثة عبر القوافل البرية .

١٧ـ تحث منظمة المؤتمر الإسلامي المؤتمر الدولي بشأن يوغسلافيا السابقة ، والمجموعة الأوروبية ومؤتمر الأمن والتعاون في أوربا ، ومنظمة حلف شمال الأطلنطي واتحاد غرب أوروبا ، وكل الأطراف المعنية الأخرى على تكثيف الجهود من أجل وضع حد للعدوان على جمهورية البوسنة والهرسك ، والعمل على إجهاض المخططات الصربية الرامية إلى تغيير البنية السكانية للبوسنة والهرسك من خلال التطهير العرقي .

١٨ـ يطالب المؤتمر مجلس الأمن بإغلاق معسكرات الاحتجاز والمعتقلات التي أقامها الصرب في البوسنة والهرسك وفي صربيا والجبل الأسود ، وحتى يتم ذلك ، يطالب المؤتمر مجلس الأمن بتعيين مراقبين دوليين في هذه المعسكرات .

١٩ـ يطالب المؤتمر بتمكين لجنة دولية للصليب الأحمر من الوصول دون إعاقة إلى كل معسكرات الاعتقال التي أنشأها الصرب ، والاتصال بالمعتقلين فيها ، ويتم إشعارها وبصورة فورية بأسماء المعتقلين .

٢٠ـ يناشد المؤتمر الأطراف المتحاربة الالتزام الكامل بخطة العمل الإنساني التي تم إقرارها في مؤتمر لندن في ١٩٩٢/١/٢٢ م وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بإطلاق المسجونين فوراً ، وفقاً للاتفاق الموقع في جنيف تحت إشراف اللجنة الدولية للصليب الأحمر في ١٩٩٢/١٠/١ م .

٢١ـ يدعو المؤتمر الأمم المتحدة إلى إنشاء محكمة دولية لجرائم الحرب فوراً ، وذلك من أجل محاكمة ومعاقبة الذين اقترفوا جرائم ضد الإنسانية ، خصوصاً جرائم صرب البوسنة والهرسك .

٢٢ـ يرحب المؤتمر بقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة لإنهاء عضوية يوغسلافيا السابقة (صربيا و الجبل الأسود) من أعمال الجمعية العامة ، ويقرر بذل الجهود لإنهاء هذه العضوية من كل الأجهزة والمؤسسات التابعة للأمم المتحدة .

٢٣ـ يطالب المؤتمر الأمين العام بتنفيذ هذا القرار ، ورفع تقرير بذلك إلى المؤتمر الإسلامي القادم .

هذه أهم قرارات وزراء خارجية منظمة المؤتمر الإسلامي [١] الذي عقد بصورة استثنائية في جدة في يومي ٧، ١٤١٣/٦/٨ هـ ـ ١٩٩٢/١٢/٢,١م وهذه القرارات مكملة لقرارات الدورة الاستثنائية لوزراء خارجية دول منظمة المؤتمر الإسلامي التي عقدت في استنبول قبل ذلك بحوالي ٦ شهور وفي خلال هذه المدة الفاصلة بين انعقاد المؤتمرين ـ رغم قصرها ـ زادت الأحوال المتردية في البوسنة والهرسك بسبب بربرية الصرب .

ولهذا أتت هذه القرارات أقوى في مضمونها من قرارات الجلسة السابقة عليها لتناسب الأحوال السيئة التي وصلت إليها الأمور في البوسنة والهرسك.

---

(١) المصدر السابق .

المؤتمر الوزاري الإسلامي بكراتشي

عقد المؤتمر جلسته الحادية والعشرين في كراتشي في ذي القعدة ١٤١٣هـ ـ مايو ١٩٩٣ م ، لمناقشة عدة قضايا إسلامية ، منها قضية البوسنة والهرسك، ومن أهم قرارات المؤتمر بشأن البوسنة والهرسك تشكيل مجموعة الاتصال الإسلامية من وزراء خارجية كل من المملكة العربية السعودية ، والبوسنة والهرسك ، وتركيا ، ومصر ، وباكستان ، والسنغال ، وإيران ، وماليزيا، وذلك لمتابعة قضية البوسنة والهرسك ، وكانت أبرز أعمال هذه اللجنة ضرورة فرض ضغوط أكثر على صربيا والجبل الأسود ، وتجميد عائداتها وفرض مقاطعة اقتصادية تامة عليها [١] .

ولقد بذلت المجموعة الإسلامية جهوداً لمحاولة رفع حظر السلاح عن البوسنة والهرسك ، وقدمت مشروعاً بذلك لمجلس الأمن بالتعاون مع مجموعة دول عدم الانحياز ، ورفض المجلس المشروع ، حيث امتنعت ٩ دول عن التصويت من بينها بريطانيا وفرنسا ، وروسيا ، وأيدته فقط ٦ دول هي الولايات المتحدة ، والمغرب ، وفنزويلا ، والرأس الأخضر ، وجيبوتي، وباكستان ، وانضمت إلى المجموعة الأولى كل من اليابان ، والمجر ، والبرازيل ، وإسبانيا ، والصين ، ونيوزيلاند [٢] . لهذا فشل المشروع الخاص برفع حظر السلاح عن البوسنة والهرسك .

قمة مجلس التعاون الخليجي الرابعة عشرة

عقدت القمة الخليجية في الرياض برئاسة الملك فهد ملك المملكة العربية السعودية ، حيث ناشد في كلمته التي اقتتح بها المؤتمر بخصوص البوسنة والهرسك المجتمع الدولي أن يقف مع الحق ضد الباطل ، وأن يتخذ خطوات عملية لتمكين شعب البوسنة والهرسك من حقه المشروع والدفاع عن نفسه ، وطالب برفع حظر السلاح عن البوسنة والهرسك ، وإحكام تنفيذ قرارات الشرعية الدولية ، واحترام المبادئ القانونية والدولية [٣] .

---

(١) جريدة العالم الإسلامي : ١٤١٣/١١/١٢هـ ـ ١٩٩٣/٥/٣ م .

(٢) جريدة العالم الإسلامي: ١٤١٤/١١/١٥هـ ـ ١٩٩٣/٧/٥ .

(٣) الرابطة الإسلامية ، رجب ١٤١٤ هـ ـ يناير ١٩٩٤ م .

رابطة العالم الإسلامي

منذ أن بدأت حرب الإبادة في جمهورية البوسنة والهرسك ، أصبحت مأساتها مدرجة بصورة دورية في جداول أعمال المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ، واهتمامات الأمانة العامة للرابطة - فأصدرت عدة نداءات للمسلمين لتقديم العون الإنساني لمسلمي البوسنة والهرسك ، وشجبت فظائع الصرب للاستئصال الديني والعرقي لشعب البوسنة والهرسك ، كما أصدرت عدداً من البيانات أدانت فيها تلك الجرائم ، ودعت الأمة الإسلامية إلى التضامن والتكافل مع مسلمي البوسنة والهرسك .

الدورة الثانية والثلاثون للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي

نتيجة تصاعد جريمة الصرب في البوسنة ، أدرجت الأمانة العامة للرابطة قضية البوسنة على جداول أعمال المجلس التأسيسي للرابطة ، ففي الدورة رقم: ٣٢ للمجلس التأسيسي ، التي انعقدت في مكة المكرمة في الفترة من ١٦ إلى ١٩ رجب ١٤١٣ هـ ندد المجلس التأسيسي للرابطة بالممارسات الوحشية التي تقوم بها عصابات الصرب ضد المسلمين وعقيدتهم ، وأعراضهم وممتلكاتهم ، وطالب المجلس المجتمع الدولي ، والأمم المتحدة بالتدخل العسكري لوقف المجازر البشرية وحماية المسلمين ، ووضع حد لجرائم الصرب ومخططاتهم العدوانية ورفع الظلم عن شعب البوسنة والهرسك .

وطالب المجلس بتنفيذ القرارات الدولية ، والعمل على رفع حظر السلاح عن البوسنة والهرسك للدفاع عن النفس ، وناشد المجلس الدول والهيئات الإسلامية رعاية المهاجرين والأيتام ، وحمايتهم بتربيتهم تربية إسلامية ، وكفالتهم حتى يعودوا إلى بلادهم ، ودعا المجلس الدول الإسلامية إلى مقاطعة صربيا اقتصادياً وسياسياً وثقافيا حتى ترتدع عن غيها ، كما دعا إلى مقاطعة الدول التي تساعد الصرب ، جاء ذلك في القرار الثالث الصادر عن المجلس التأسيسي للرابطة في دورته الثانية والثلاثين [١] .

---

(١) الرابطة الإسلامية ، شعبان : ١٤١٣ هـ .

الدورة الثالثة والثلاثون للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي

عقد المجلس دورته في مكة المكرمة في الفترة من ٨ إلى ١٢ رجب سنة ١٤١٤ هـ ـ الموافق ٢١ ـ ٢٥ ديسمبر ١٩٩٣ م ، وناقش ضمن جدول أعماله قضية البوسنة والهرسك ، واستنكر المجلس موقف الأمم المتحدة ومجلس الأمن المتخاذل في معالجة قضية البوسنة والهرسك ، وطالب باستشعار الواجب الإنساني والتحرك الجاد والتدخل الفعال من قوات الأمم المتحدة لحماية المسلمين من الممارسات الوحشية ، والقتل والتشريد ، والاغتصاب والإبادة ، وانتهاك حقوق الإنسان على أيدي صرب البوسنة .

وناشد المجلس دول منظمة المؤتمر الإسلامي دعم صمود شعب البوسنة والهرسك ، وحماية كيانه ، ورفع الظلم عنه ، وذلك عن طريق ممارسة الضغوط السياسية والاقتصادية الدولية من أجل تمكين المسلمين في البوسنة والهرسك من التسلح للدفاع عن أنفسهم في مواجهة عصابات الصرب المسلحة، وطالب الدول والهيئات الإسلامية بمضاعفة الجهود والمساعدات بما يمكنهم من تسيير أمورهم وإنقاذهم من الجوع والبرد والمرض ، وتقديم الرعاية الصحية والاجتماعية والثقافية والتعليمية ، ورعاية أيتامهم وكفالتهم لتنشئتهم في بيئة إسلامية إنقاذاً لهم .

وهناك العديد من الدول والهيئات والمؤسسات الإسلامية أسهمت في تقديم العون المادي والمعنوي لمأساة البوسنة والهرسك .

لقد أسهم العديد من الدول الإسلامية والعربية بمحاولات لحل مشكلة البوسنة والهرسك ، وتخفيف المعاناة عن شعبها ، كما أسهمت العديد من المؤسسات والهيئات الإسلامية في تبني قضية البوسنة والهرسك وتقديم الدعم المادي والمعنوي للبوسنة والهرسك ، ورعاية اللاجئين والأيتام من المسلمين والكروات من أبناء البوسنة الذين بطش بهم الصرب .

فمنذ أن تصاعدت حدة قتال الصرب ، وقتلهم للأبرياء ، وتدفق مئات الآلاف من المهاجرين ، وعشرات الآلاف من النسوة اللائي هتك صرب البوسنة والهرسك أعراضهن ، ونتيجة هذا النزيف الدموي ، تجاوبت المملكة العربية السعودية مع هذه الأحداث على الصعيدين الحكومي والشعبي ، فتشكلت هيئة عليا لجمع التبرعات للبوسنة والهرسك ، وشكلت الهيئة فروعا لها في جميع مناطق المملكة العربية السعودية لجمع التبرعات من المواطنين والهيئات والمؤسسات[1] .

ولقد دعمت المملكة العربية السعودية قضية البوسنة سياسياً في المحافل الدولية ، فمنذ أن أعلنت البوسنة والهرسك انفصالها عن الكيان اليوغسلافي السابق ، وجهت المملكة العربية السعودية النداءات للدول والمؤسسات الدولية للاعتراف باستقلال البوسنة والهرسك ، وعدم الاعتراف من منحوا أنفسهم حق إرث يوغسلافيا السابقة ، وطالبت بتأييد قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالقضية البوسنية .

كذلك طالبت المجتمع الدولي باتخاذ الخطوات اللازمة لوقف حرب الإبادة في البوسنة ، كما طالبت بمحاكمة مجرمي صرب البوسنة ، وتبنت المملكة العربية السعودية عقد جلسة طارئة لوزراء خارجية دول منظمة المؤتمر الإسلامي في جدة (سبقت الإشارة إليه) ، ودعت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في المملكة العربية السعودية إلى ندوة إعلامية دولية لمناقشة قضية حرب البوسنة والهرسك عقدت في مدينة لوبليانا عاصمة سلوفينيا ، وهي واحدة من الجمهوريات المنفصلة عن الاتحاد اليوغسلافي السابق ، وحضر الندوة الإعلامية لفيف من كبار الشخصيات الإسلامية والأوروبية المهتمين بمأساة البوسنة والهرسك .

---

(١) مجلة رابطة العالم الإسلامي ـ عدد وثائقي خاص عن مأساة البوسنة والهرسك ربيع الأول : ١٤١٤ هـ .

ولقد أسهمت دول إسلامية عديدة في محاولات لإيجاد حلول لمأساة البوسنة ، فتبنت تركيا عقد جلسة طارئة لوزراء خارجية دول المؤتمر الإسلامي في استنبول (سبقت الإشارة إليه) ، كذلك استضافت باكستان عقد أكثر من مؤتمر إسلامي بخصوص البوسنة والهرسك .

أثارت مأساة البوسنة والهرسك المنظمات والمؤسسات والجامعات الإسلامية، وكذلك النقابات ، فعقدت اجتماعات عديدة انصبت على استنكار وشجب عدوان الصرب على البوسنة والهرسك ، وأسهمت بالدعم المعنوي والمادي لنصرة شعب البوسنة والهرسك .

مؤتمر الأزهر :

شهد الأزهر مؤتمراً إسلامياً شعبياً كبيراً ، احتشد فيه أكثر من ١٠ آلاف مسلم لمناصرة إخوانهم المستضعفين في البوسنة والهرسك ، والذين يتعرضون يومياً لحرب الإبادة التي لم يشهد مثلها التاريخ المعاصر ، حدث ذلك تحت سمع وبصر المجتمع الدولي ، وأدان المؤتمر الشعبي موقف المجتمع الدولي ومنظماته وهيئاته وطالبوا بموقف إسلامي حازم سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وتحدث في المؤتمر عدد من علماء الأزهر ، وأعربوا عن ألمهم وحزنهم لحملات الإبادة والاضطهاد والتعذيب التي يتعرض لها لها المسلمون في البوسنة والهرسك وفي مناطق عديدة أخرى ، وطالب المجتمعون بتسليح البوسنة والهرسك ليقاوموا القتل الجماعي الذي يشنه الصرب ، وأدان الأزهر وعلماؤه ، والحشد الكبير موقف التخاذل للمنظمات الدولية والمناصرين للصرب ، كما أدان الدول التي تهاونت وسمحت بهذه المذابح البشعة لشعب البوسنة والهرسك الأعزل ، وطالب المؤتمر بمضاعفة جهود الإغاثة الإنسانية للبوسنة والهرسك وللاجئين منهم في المناطق المجاورة ، كما طالب المؤتمر بموقف موحد للمسلمين في هذه الأزمة [1]

---

(١) الرابطة - عدد وثائقي عن البوسنة والهرسك ، ربيع الأول ١٤١٤هـ .

المجلس الأعلى العالمي للدعوة والإغاثة :

عقدت الهيئة الرئاسية للمجلس الأعلى العالمي للدعوة والإغاثة بالقاهرة اجتماعها الرابع عشر ، وقد استغرق الاجتماع يوماً واحداً ، وناقش المجتمعون العديد من الموضوعات التي تهم الدعوة الإسلامية ، وجهود الإغاثة الإنسانية ، وكانت مشكلة البوسنة والهرسك مدرجة على جدول أعماله ، حيث طالب المجلس الدول الإسلامية بالتحرك لوقف المجازر البشرية في البوسنة والهرسك ، التي يشنها الصرب ، كما طالب المجلس بممارسة الضغوط لدى المنظمات الدولية والإنسانية لوقف هذا النزيف الدموي[1] .

المؤتمر الإسلامي العالمي الخامس للمجلس الإسلامي الأعلى للشؤون الإسلامية

اجتمع في القاهرة أكثر من ١٠٠٠ مفكر وداعية وعالم إسلامي ، يمثلون ١٠٠ دولية إسلامية وعربية ، كما يمثلون مسلمين من دول أجنبية ، وذلك لدراسة مشكلات المسلمين ، ومنها مشكلة البوسنة والهرسك ، واستمر انعقاد المؤتمر ٣ أيام ، عقد خلالها أكثر من ١٠ جلسات ، وشارك في المؤتمر ما يقارب حوالي ٣٠ وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية ، وتمت خلال جلساته مناقشة العديد من مشكلات المسلمين ، وفي ختام أعماله أصدر عدة توصيات وقرارات منها توصية خاصة بحرب الإبادة في البوسنة والهرسك جاء فيها أن المؤتمر يدعو إلى التكاتف والتعاون للضغط على المجتمع الدولي لتنفيذ قرارات المؤتمر والمنظمات الدولية والالتزام بمعيار واحد للشرعية الدولية يطبق على الجميع دون استثناء ، وخاصة على شعب البوسنة والهرسك ، وما يرتكب من أعمال وحشية يقوم بها الصرب ضد البوسنة والهرسك .

---

(١) جريدة العالم الإسلامي: ٢٧/١/١٤١٣ هـ - ٢٧/٧/١٩٩٣م .

ثانياً: المَسَار الدَّوْلي

الأمم المتحدة

عندما ظهرت بوادر الانهيار في كيان الاتحاد اليوغسلافي السابق في سنة ١٤١٢ / ١٩٩١ م، بدأت هيئة الأمم المتحدة تتجه إلى البلقان، خصوصاً عندما بدأت أحداث العنف تتصاعد بين الصرب والجمهوريات التي أعلنت انفصالها عن يوغسلافيا السابقة، وبدأت بأحداث انفصال كرواتيا وسلوفينيا، وأصيبت المنطقة بالغليان ثم ازدادت حدة التوتر بإعلان البوسنة والهرسك انفصالها بعد استفتاء شعبي في فبراير ١٩٩٢ م، أعلنت على أثره انفصالها بعد ذلك عن الاتحاد اليوغسلافي السابق، وتمّ اعتراف هيئة الأمم بالجمهوريات الثلاث المنفصلة (كرواتيا والبوسنة والهرسك، وسلوفينيا) في ١٩٩٢/٥/٢٢، ومنذ هذه اللحظة أخذت مأساة البوسنة والهرسك دورها في أروقة هيئة الأمم المتحدة، وكذلك في مجلس الأمن، وفي الدورة ٤٧ طردت الجمعية العامة للأمم المتحدة يوغسلافيا الاتحادية (صربيا والجبل الأسود) عندما أرادات أن تشغل مكان يوغسلافيا السابقة بسبب تأييدها للصرب في البوسنة والهرسك، وكرواتيا، بل بسبب ضلوعهما بالمشاركة في القتال الشرس وعدوانهما على الجمهوريات المنفصلة .

تقدمت مجموعة عدم الانحياز بمشروع قرار إلى الأمم المتحدة، ونال موافقة ١٠٢ دولة، ويحض القرار مجلس الأمن على إنذار صربيا والجبل الأسود بوضع حد للعدوان الصربي على البوسنة والهرسك في موعد لا يتجاوز ١٩٩٣/١/١٥، وفي حالة عدم الامتثال، تطلب الجمعية العامة للأمم المتحدة بأن يأذن مجلس الأمن للدول الأعضاء بموجب أحكام الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة بالتعاون مع حكومة البوسنة والهرسك وباستخدام كل الوسائل اللازمة لنصرتها، واستعادة سيادتها واستقلالها وسيادة أراضيها، كما يقضي القرار باستخدام الطيران لحظر تحليق الطيران الصربي فوق أرض البوسنة والهرسك، كما أوصى القرار بإنشاء محكمة

تختص بجرائم الحرب في البوسنة والهرسك .

غير أن الدور الأساسي انتقل إلى مجلس الأمن ، وسوف يتضح ذلك من الصحفات التالية :

مجلس الأمن

بدأ مجلس الأمن يتعامل مع المشكلة اليوغسلافية منذ تفجر الموقف في جمهوريات الاتحاد اليوغسلافي سنة ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م - وذلك عندما أعلنت جمهورية كرواتيا انفصالها عن الاتحاد السابق ، ورافقتها في المسيرة جمهورية سلوفينيا ، فأعلنتا الانفصال في يوم واحد ، ولم يرق الحال للصرب ، فلقد اصطدم هذا بحلمهم في تكوين صربيا الكبرى ، فشنوا حرباً شرسة ضد كرواتيا بصفة خاصة ، وهنا بدأ دور مجلس الأمن فأصدر عدة قرارات خاصة بالموقف المتدهور منها قرار بوقف إطلاق النار الفوري ، ومنها قرار بإرسال قوات لحفظ السلام بلغ قوامها ١٤ ألف جندي، وبدأت المجموعة الأوروبية في التدخل هي الأخرى ، وهدأت الأمور نسبياً بين صربيا وكرواتيا .

مجلس الأمن ومأساة البوسنة والهرسك

بمجرد إعلان نتيجة استفتاء شعب البوسنة بالانفصال عن الاتحاد اليوغسلافي السابق في أول مارس ١٩٩٢ م - كان هذا إعلان حرب شرسة ضد شعب البوسنة والهرسك ، حرب تحولت إلى مجازر بشرية لا ترحم الأطفال ، والشيوخ والنساء ، وتدمر مقومات الحياة ، وتهدم وتحرق كل ما هو قائم من القديم والحديث ، وتحول الصرب بكل ما لديهم من عتاد وجيوش نحو البوسنة والهرسك ، وأمام هذه الأحداث المتلاحقة بدأ مجلس الأمن يتدخل، وأخذ في إصدار القرارات في محاولات يائسة لإحلال السلام في البوسنة ، فأصدر عدة قرارات كان منها :

قرار بوقف إطلاق النار فوراً (كالعادة) ، ثم قرار بحظر السلاح على

يوغسلافيا السابقة (رقم: ٧١٣) ، وهو قرار يحظر السلاح في الواقع عن البوسنة والهرسك وحدها ، لأن صربيا وصرب البوسنة لديهم من أسلحة الجيش اليوغسلافي السابق ما يكفي لاستمرار الحرب عدة أعوام ، ويمدهم الأصدقاء والحلفاء بالسلاح من جميع المنافذ ، أما البوسنة والهرسك فمحاصرة من جميع الجهات ، ولا يصلها السلاح لا في السر ولا في العلن، ودون قرار من مجلس الأمن ، فلقد أحكم الصرب حصارهم حولها، فلا جدوى لهذا القرار لشعب البوسنة الأعزل ، وأصدر المجلس قراره رقم: ٧٥٢ بوقف القتال وانسحاب الصرب من المناطق التي احتلوها في البوسنة والهرسك .

أصدر المجلس قراراً بإسقاط عضوية صربيا والجبل الأسود ، ثم أصدر قراره بفرض العقوبات على صربيا والجبل الأسود بسبب تدخلهما في دعم صرب البوسنة ، ثم قراراً بفرض حصار بحري على جمهورية الجبل الأسود، ثم قراراً يقضي بإنشاء محكمة دولية لمحاكمة مجرمي الحرب في البوسنة والهرسك، وقراراً يحظر تحليق الطيران الحربي في أجواء البوسنة والهرسك ، وقراراً بتشكيل لجنة لتقصي الحقائق حول جرائم الصرب في البوسنة ، وهكذا استمر تدفق قرارات مجلس الأمن دون إحلال للسلام في البوسنة والهرسك.

شهدت بداية عام ١٩٩٣ م تبني مجلس الأمن لقرارين ، يقضي أولهما بزيادة عدد قوات الأمم المتحدة في البوسنة والهرسك ، ويقضي الثاني بتعزيز الحصار على جمهوريتي صربيا والجبل الأسود بسبب ضلوعهما في دعم صرب البوسنة ، وتم الإعداد لهذا القرار بالتفاهم مع منظمة المؤتمر الإسلامي [1] .

توالي قرارات مجلس الأمن ، وزيادة تحدي الصرب

كلما أصدر مجلس الأمن قراراً لصالح السلام في البوسنة والهرسك تمادى الصرب في مماطلة التنفيذ للقرارات السابقة ، ويستمر العدوان الصربي على المدن الإسلامية في البوسنة والهرسك ، وتستمر عمليات التطهير العرقي

(١) عكاظ ـ ١٧/٥/١٤١٣هـ ـ ١٤/٩/١٩٩٢ م .

والديني ، وتزداد المذابح ، ويتدفق النزيف البشري ، وأمام هذا الأمر أصدر مجلس الأمن قراره الخاص بالمناطق الآمنة ، وحدده بست مناطق ، ويماطل الصرب في التنفيذ ، ويستمر البطش والتنكيل ، وإن الوضع في جيبي جوارزدي خير مثال لانتهاك قرار المناطق الآمنة من الجانب الصربي .

وبحلول أول عام ١٤١٤ هـ ـ منتصف ١٩٩٣ م ـ تقدمت دول عدم الانحياز بمشروع قرار لمجلس الأمن، يقضي برفع حظر السلاح عن البوسنة ليتمكن شعبها من الدفاع عن النفس ضد هجمات الصرب ، وفشل المشروع دون استخدام الفيتو (حق النقض) حيث أن تسع دول امتنعت عن التصويت هي: دول (بريطانيا) وفرنسا، وروسيا، والمجر ، واليابان ، والبرازيل، واسبانيا، والصين، ونيوزيلاند)، وأيدته الولايات المتحدة، والمغرب ، وفنزويلا، والرأس الأخضر، وجيبوتي، وندد مندوب البوسنة شاكر بيه بمجلس الأمن، وقال: كان الأجدر بالمجلس أن يعمل على حماية المناطق الآمنة الست في البوسنة والهرسك ، وتنفيذ قراراته الخاصة بالبوسنة والهرسك[١].

ويشهد[٢] عام ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤ م (سبتمبر) المزيد من قرارات المجلس حيث يصدر المجلس قراراً جديداً بحجة تشجيع أطراف النزاع ، وإرغام صرب البوسنة على قبول خطة السلام الجديدة ، التي تقدمت بها مجموعة الاتصال الدولية « الولايات المتحدة ـ وروسيا ، وبريطانيا ، والمانيا ، وفرنسا» فيصدر قراراً بتخفيف العقوبات التي فرضها على صربيا والجبل الأسود بقرار سابق ، على أن يكون هذا التخفيف تدريجياً ، ووافق عليه المجلس بأغلبية ١١ صوتاً ، واعتراض عضوين (جيبوتي ، وباكستان) ، وهذا القرار محاولة لإلغاء قرارين سابقين بفرض العقوبات على صربيا ، والجبل الأسود، ويشمل قرار تخفيف العقوبات على صربيا والجبل الأسود ٣ مواد :

١ـ تخفيف بعض العقوبات على صربيا والجبل الأسود .

---

(١) جريدة العالم الإسلامي ١٤١٤/١/١٥ ـ ١٩٩٣/٦/٥.

(٢) جريدة العالم الإسلامي ١٤١٥/٤/٢١ ـ ١٩٩٤/٩/٢٦ م .

٢ـ تشديد العقوبات على صرب البوسنة والهرسك لإرغامهم على قبول خطة السلام الجديدة .

٣ـ إدانة جديدة لاستمرار سياسة التطهير العرقي الذي يمارسه الصرب في عدة مناطق من البوسنة والهرسك .

ويسري مفعول وقف بعض العقوبات على يوغسلافيا الاتحادية لمدة ١٠٠ يوم ، تبدأ عندما يقدم الأمين العام تقريراً للمجلس يفيد بأن صربيا والجبل الأسود امتثلا لقرار مجلس الأمن بغلق الحدود مع صرب البوسنة في وجه جميع السلع ما عدا المعونة الإنسانية ، فإذا كان التقرير إيجابياً ، فسيتم خلال ٢٤ ساعة إعادة الملاحة الجوية لمطار بيوغراد وفتح خط ملاحة في البحر بين إيطاليا والجبل الأسود ، ومشاركة يوغسلافيا الاتحادية في أنشطة رياضية وثقافية ، وتعاد العقوبات خلال ٥ أيام إذا ثبت أي انتهاك عند الحدود الصربية البوسنية

صدى قرار مجلس الأمن بتخفيف العقوبات

علق على هذا القرار سفير جمهورية البوسنة والهرسك لدى الأمم المتحدة بقوله: إن القرار يعتبر مكافأة للمشاركين في جرائم الحرب ، وحرمان للضحية من المساعدة ، فالقرار يفتقر للتوازن ، ونظام المراقبة الدولية على حدود يوغسلافيا السابقة شبيه برجل في مسرح مظلم لا يشاهد إلا ما تسلط عليه الأضواء .

وعلق على القرار سفير تركيا ملخصاً آراء الدول الإسلامية فقال: في الوقت الذي تشتد فيه حملة التطهير العرقي ، وتعزز فيه معاقل الصرب في سراييفو ، وباقي المناطق الآمنة ، فإن تخفيف العقوبات على صربيا والجبل الأسود يرسل إشارة خاطئة أخرى إلى المعتدي ، ويقوض عملية السلام ، وأعرب الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي عن الأسف لصدوره ، وذكر فريق الاتصال الإسلامي أن القرار سوف يقوض عملية السلام في البوسنة[1] .

---

(١) جريدة العالم الإسلامي : ٢٨/٤/١٤١٥هـ ـ ٣/١٠/١٩٩٤ م

تدليل صرب البوسنة والهرسك

أصدر مجلس الأمن التابع لهيئة الأمم المتحدة (هذه المنظمة المسؤولة عن حفظ السلام العالمي وفض المنازعات الدولية بالطرق السلمية) أصدر ما يقرب من ١٠ قرارات منذ أن تفكك الاتحاد اليوغسلافي السابق ، ذلك لإحلال السلام بين الأطراف المتنازعة في هذا الاتحاد ، وجل هذه القرارات بخصوص عدوان الصرب الشرس على البوسنة والهرسك ، وقدم الوسيطان الدوليان فانس وأوين خطة سلام لأطراف النزاع ، وقدمت مجموعة الاتصال الدولية خطة جديدة لحل المأساة ، وقبل المسلمون والكروات الخطتين ونفذوا كل قرارات المجلس رغم الاجحاف بحقوق المسلمين والكروات في البوسنة والهرسك ، فماذا كان موقف صرب البوسنة ؟

لم ينصع صرب البوسنة لأي من قرارات مجلس الأمن ، فمنذ أن بدأ الصرب حربهم على المسلمين والكروات في شهر إبريل ١٩٩٢ ، غداة نتيجة الاستفتاء الذي أعلنه شعب البوسنة والهرسك بالانفصال عن الاتحاد اليوغسلافي المنهار ، فأصبح التمرد والمماطلة ، والتسويف أهم إجاباتهم على قرارات مجلس الأمن ، وخطط السلام الدولية ، ولقد رسم الصرب استراتيجية في المجالين العسكري ، والسياسي ؛ ففي المجال الحربي استغل صرب البوسنة من أول وهلة الاستيلاء على أسلحة الجيش اليوغسلافي السابق فكدسوا من العتاد ما يكفيهم للحرب مدة طويلة ، ويضاف إلى هذا العتاد ما وصلهم ويصلهم من صربيا والجبل الأسود ، وأبوابهم مفتوحة لتلقي العتاد من الأصدقاء والحلفاء ، ورغم الحصار المضروب حولهم بقرارات مجلس الأمن إلا أن التسرب مستمر والعتاد المكدس مخزون في مستودعاتهم وملاجئهم ، وهم ليسوا في حاجة إلى المزيد ، فلا فائدة من حظر السلاح .

لقد بنى صرب البوسنة استراتيجيتهم العسكرية على حركات الالتفاف حول الجيوب المتداخلة في أرض البوسنة ، وأصبح حصار هذه المناطق أهم خططهم العسكرية ، وأحاطوا هذه الجيوب بسياج من المدفعية الثقيلة والدبابات التي تختفي في ملاجئ جبلية محصنة تستخدم عند اللزوم في ضرب المدن والمناطق

الإسلامية الكرواتية ، فرغم أن الأمم المتحدة أعلنت ٦ مناطق من هذه الجيوب كمناطق آمنة ، وحاصرتها بقوات محدودة تابعة لها ، إلا أن صرب البوسنة يحاصرون هذه الجيوب وقوات الأمم المتحدة في آن ، وأصبح الأمر الواقع ؛ من يحاصر من ؟!! فإذا أراد صرب البوسنة تنفيذ أمر أو تحريك الأمور لصالحهم استغلوا هذه الاستراتيجية ذات الأهداف المزدوجة للضغط على المسلمين والكروات أو للضغط على الموقف الدولي ، وضربات طيران حلف الأطلنطي لدبابة ، أو لملجأ مدفعية ، أصبح أمراً لا يخيف صرب البوسنة ، فإذا أرادوا تحقيق مكسب ، ردوا على قرار للأمم المتحدة بحصار هذه المناطق بمن فيها من المسلمين والكروات ، وجنود الأمم المتحدة .

ويبنى صرب البوسنة استراتيجيتهم السياسية على استغلال الوفاق الدولي ، والمجتمع العالمي ، فتعاطفت معهم روسيا ، وما يزال لها وزنها في مجريات السياسة الدولية ، وقد حمتهم مماطلتهم من تنفيذ قرارات الأمم المتحدة .

وأصبحت الاستراتيجية السياسية مكملة للاستراتيجية العسكرية ، وهنا العديد من الأمثلة لإثبات ما تقدم من تحليل لموقف صرب البوسنة ، فموقفهم من قرارات هيئة الأمم الخاصة بالمناطق الآمنة واضح في منطقة سراييفو ، وفي جوارزدي ، وسريبنتسا وبيخاتش وغيرها ، وكذلك موقفهم من خطة (فانس أوين) وخطة مجموعة الاتصال الدولية .

زعيم صرب البوسنة يكشف عن أهدافه

أدلى رادوفان كاراجيتش بحديث إلى مجلة (دوغا) اليوغسلافية التي تصدر في بيوغراد عن دار« بوربا » للصحافة في شهر رمضان ١٤١٣ هـ - مارس ١٩٩٣ م ، ونشر تحت عنوان « الصرب سيرفضون كل الإنذارات » فقال: أنه لن يتخلى عن حق تقرير المصير وإقامة دولة صربية في البوسنة والهرسك كخطوة للانضمام إلى اتحاد البلدان الصربية ، وأن التظاهر بموافقته على بعض المقترحات الدولية ما هي إلا إجراء مؤقت بسبب الضغوط الدولية، التي حجبت عنه حرية الارتباط الإداري بالدولة الصربية .

هذه نية صرب البوسنة الحقيقية في تفتت البوسنة والهرسك رغم الاعتراف الدولي بها ، ولهذا يسوفون ويماطلون في تنفيذ وقبول حلول الرأي العام العالمي والمنظمة الدولية ، لهذا تظاهر زعيم صرب البوسنة بقبول خطة السلام التي قدمها فانس وأوين ، ثم أحالها إلى ما يسمى ببرلمان صرب البوسنة ليرفضها ، وأصبحت المقترحات الدولية أو خطط السلام التي تقدم لحل مأساة البوسنة والهرسك تمر بمراحل ثلاث زعامة صرب البوسنة ، ثم ما يسمى ببرلمانهم ، ثم استفتاء شعبي ، ذلك لزيادة المماطلة والتسويف وكسب الوقت .

رد صرب البوسنة على خطة السلام الجديدة

ظهرت في منتصف العام الحالي ١٩٩٤ بوادر خطة جديدة لإحلال السلام في البوسنة والهرسك تقدمها مجموعة الاتصال الدولية المكونة من الولايات المتحدة ، وروسيا ، وفرنسا ، وبريطانيا ، وألمانيا ، وسبقت الإشارة إليها وقدمت هذه الخطة إلى أطراف النزاع من البوسنة ، وأرفقت بالخطة خريطة لتحديد مناطق كل قومية في دولة اتحادية ، وصاحب تقديم الخطة ترغيب وترهيب لدعم قبولها من الأطراف المتنازعة ، على أن ينتهي رد جميع الأطراف في ٨/ ٢/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤/٧/١٦ م .

فأعلن المسلمون والكروات الموافقة ، فماذا كان رد صرب البوسنة؟ استخدموا استراتيجيتهم العسكرية المعروفة ، فهاجموا سراييفو والمناطق الآمنة التي حددها مجلس الأمن ، ومنعوا قوافل الإغاثة الإنسانية ، وهاجموا قوات الأمم المتحدة ، وطلبت روسيا من مجموعة الاتصال الدولية مهلة ثانية تنتهي في ١٩٩٤/٧/٣٠ م[1] ودخلت خطة السلام الجديدة متاهات تسويف صرب البوسنة ، فعرضت على ما يسمى ببرلمانهم فرفضها ، وعرضت في استفتاء شعبي شكلي ، فرفضت وذهب رادوفان كاراجتيش زعيمهم إلى جنيف ، ووضع أمام المجموعة الدولية ، ما وصفه باعلان رسمي من برلمان جمهورية

---

(١) الأهرام: ١٩٩٤/٨/١٥ م

صربسطا الصربية في جمهورية البوسنة والهرسك السابقة ، فأبلغ المجموعة الدولية بنتيجة رفض البرلمان للخطة الجديدة للسلام ، ولم يكتف بهذا بل طالب بالاعتراف بالجمهورية الجديدة ، وتقسيم سراييفو ، وأخذ منفذ على بحر الادرياتيك ، وكانت نتيجة الاستفتاء الشعبي كالعادة رفض صرب البوسنة لخطة السلام الجديدة .

رد مجموعة الاتصال الدولية :

أمام هذا التعنت وتحدي صرب البوسنة والهرسك ، ماذا كان رد الدول العظمى التي تتشكل منها مجموعة الاتصال ؟ تقدمت إلى مجلس الأمن لإصدار ٣ قرارات هي :

١ـ تخفيف العقوبات السارية ضد يوغسلافيا الاتحادية (صربيا والجبل الأسود) التي فرضت بقرار سابق من المجلس بهدف تشجيعهما على غلق حدودهما مع صرب البوسنة وتمرير المعونات الإنسانية فقط .

٢ـ تشديد العقوبات على صرب البوسنة والهرسك .

٣ـ إدانة سياسة التطهير العرقي الذي يقوم به صرب البوسنة والهرسك ضد المسلمين والكروات .

المؤتمرات الدولية

عقب تفكك يوغسلافيا السابقة ، بدأ الصراع الدامي بين الصرب والجمهوريات التي أعلنت استقلالها عن يوغسلافيا (سابقاً) . حيث بدأ الصرب يفرضون هيمنتهم عليهم بقوة السلاح ، والقتال الشرس ، وارتكاب المذابح الدامية .

وما تزال هذه الحرب الدامية مستعرة مع البوسنة والهرسك ، بينما توقفت مع كرواتيا ، فكأنما قد كتب على مسلمي البوسنة والهرسك تحمل كل مشاكل البلقان المزمنة ، وبرزت في الأفق فكرة عقد مؤتمر دولي لمناقشة الوضع فيما يسمى بيوغسلافيا السابقة ، ودعت بريطانيا لعقد هذا المؤتمر

محذرة بأن الوضع يجر المنطقة إلى حافة الانفجار ، وانضمت فرنسا إلى بريطانيا في الدعوة إلى عقد مؤتمر دولي لإيجاد حل لمشكلة يوغسلافيا .

وقد سبق هذا أحداث دعمت الدعوة للمؤتمر منها أن المجموعة الأوروبية عقدت عدة اجتماعات في البرتغال بصفتها رئيس المجموعة حينئذ مع ممثلي الصرب والمسلمين والكروات ، واقترحت خطة سلام بتقسيم البوسنة والهرسك إلى ثلاث مناطق (كنتونات) بين الأطراف الثلاثة ، ورفض الصرب الخطة ، ومن هذه الأحداث صدور القرار رقم: ٧٥٢ عن مجلس الأمن ، ويقضي بإنهاء كل تدخل خارجي في البوسنة والهرسك ، وحل كل القوات النظامية .

ومطالبة الجيش اليوغسلافي الموالي للصرب ، والجيش الكرواتي بالانسحاب من البوسنة والهرسك أو الامتثال لأوامر حكومة البوسنة والهرسك، ومنها إصدار مجلس الأمن لقراره رقم: ٧٥٧ الذي يقضي بفرض عقوبات اقتصادية شاملة على صربيا والجبل الأسود ، وتطبيق الحظر التجاري باستثناء المواد الغذائية والدواء ، وتجميد الأرصدة المالية للدولتين في الخارج ، وقطع العلاقات الجوية ، هذا بالإضافة إلى عقوبات سياسية ورياضية .

ومن هذه المقدمات قرارات وزراء خارجية المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في استنبول (سبقت الإشارة إليه) ، ومن هذه الظروف المحادثات التي أجراها اللورد كارنتون في استراسبورج مع أطراف النزاع وفشل الحل بسبب تعنت رئيس صربيا ، ومنها المحاولات التي بذلتها الأمم المتحدة لفتح مطار سراييفو للمعونات الإنسانية ، ومن هذه المقدمات أيضاً إعلان برلمان ما يسمى بصرب البوسنة قيام جمهورية للصرب في البوسنة ، ومن هذه المقدمات ما قامت به منظمة المؤتمر الإسلامي والمملكة العربية السعودية ، والدول الإسلامية من جهود لحث الدول الصديقة على الاعتراف بجمهورية البوسنة والهرسك ، وفي ظل هذه الظروف انعقد المؤتمر .

مؤتمر لندن : سنة ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م :

عقد هذا المؤتمر لمدة ٣ أيام من أجل إحلال السلام في شبه جزيرة البلقان برئاسة جون ميجر رئيس وزراء بريطانيا وحضر المؤتمر زعماء الجمهوريات اليوغسلافية الست (البوسنة والهرسك ، وكرواتيا وصربيا ، وسلوفينيا ، ومقدونيا ، والجبل الأسود) وحضره وزراء خارجية الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن ، ووزراء خارجية الدول المجاورة ليوغسلافيا السابقة وحضرت الاجتماع تركيا ، كممثل لمنظمة المؤتمر الإسلامي ، كما حضر المؤتمر ممثل وزراء خارجية دول المجموعة الأوروبية ، وممثل لمؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي ، وأمين عام الأمم المتحدة ، وأنهى المؤتمر اجتماعاته يوم الخميس ١٤١٣/٢/٢٩ هـ ـ ١٩٩٢/٨/٢ م .

أهداف المؤتمر

١ـ أول أهدافه إحلال السلام في البلقان .

٢ـ ضمان جميع حقوق الأقليات (المسلمة ، والألبانية ، والمجرية) داخل جمهورية صربيا .

٣ـ احترام جميع حقوق الشعوب وحدود الجمهوريات .

٤ـ قبول مبدأ تقرير المصير ، وحل جميع القضايا ذات الجوانب الإنسانية .

وتوصل المؤتمر إلى عدة قرارات بشأن البوسنة والهرسك منها :

١ـ احترام جميع الأطراف المتنازعة خصوصاً صربيا لحدود الجمهوريات المستقلة عن يوغسلافيا السابقة والمعترف بها من الأمم المتحدة .

٢ـ وقف فوري لإطلاق النار في البوسنة والهرسك .

٣ـ انسحاب القوات الصربية من الأراضي التي احتلتها .

٤ـ إغلاق معسكرات الاعتقال في جميع الجمهوريات المستقلة عن يوغسلافيا، وإطلاق سراح جميع المعتقلين .

٥- طرح المؤتمر خطة تقسيم البوسنة والهرسك إلى ٣ أقاليم بين المسلمين والكروات والصرب [1].

وجدير بالذكر أن مؤتمر لندن سنة ١٩٩٢ م لحل مشكلة البلقان يعيد للذاكرة مؤتمر لندن سنة ١٩١٣ م لحل مشكلة البلقان أيضاً على إثر انهيار الإمبراطورية العثمانية ، ومحاولة دول أوروبا تشكيل البلقان سياسياً ، ووقعت معاهدة لندن سنة ١٩١٣ م بين تركيا من جانب ، ودول حلف البلقان من جانب آخر ، وكأن التاريخ يعيد نفسه بعد مرور ٧٨ عاماً ، وبمقتضى هذه الاتفاقية تنازلت تركيا عن أملاكها في أوروبا ليعيد الحلفاء صياغة خريطة شرق أوروبا .

خطط تقسيم البوسنة والهرسك

بدأت خطة تقسيم البوسنة والهرسك تنشر ظلالها بعد أن استشرت حرب الإبادة التي يشنها الصرب في المنطقة ، وأخذت عمليات التقسيم تهيمن على المؤتمرات الدولية ، وتبلورت الأمور في خطة لتقسيم البوسنة والهرسك قدمها الوسيطان سايروس فانس ، ولورد أوين رئيسا المؤتمر الدولي الخاص بيوغسلافيا السابقة .

خطة التقسيم : « ١٠ كنتونات »

تتكون من عشر نقاط ، وتقضي بإقامة عشرة أقاليم متعددة القوميات من بينها ٣ أقاليم ذات أغلبية صربية تمثل حوالي ٥٠٪ من مساحة البوسنة والهرسك ، وتقضي الخطة بأن تكون في البوسنة والهرسك برلمانات تنتخب ديمقراطيات وسلطة تنفيذية يتم اختيارها ديمقراطياً أيضاً ، وسلطة قضائية مستقلة ، وأن تتألف الرئاسة من ٣ ممثلين لكل من القوميات الثلاث ، وأن يتم نزع السلاح تدريجياً ، وهكذا تقضي الخطة بتقسيم البوسنة والهرسك إلى ١٠ أقاليم (كنتونات) تحكم ذاتياً ، وترأسها حكومة مركزية محدودة

---

(١) جريدة المدينة : ١٤١٣/٢/٢٨ .

الصلاحية ويكون للدولة دستور تعترف به الشعوب الثلاثة ، وتنقل الصلاحيات الداخلية إلى إدارة المناطق ، ولن تتمتع المناطق بأي صلاحيات في الأمور الخارجية ، فهذه من اختصاص الحكومة الاتحادية . واحتوت الخطة توصيفاً للدستور ، والصلاحيات .

حضر المفاوضات في جنيف رئيس البوسنة علي عزت وزعيم صرب البوسنة رادوفان كاراجيتش ، ورئيس يوغسلافيا الاتحادية دوبريكاكوزينش ، وزعيم كروات البوسنة مات بوبان ، ورئيس كرواتيا فرانيو تودجمان ، ولأول مرة يلتقي هؤلاء مباشرة في المفاوضات بجنيف ، ورغم موافقة رادوفان كارجيتش على الخطة رفضها ما يسمى ببرلمان الصرب ، وتخوف المسلمون من تدخل صربيا وكرواتيا في شؤون البوسنة والهرسك فيما بعد ، رغم موافقتهم على الخطة ، بالرغم من أنها مجحفة في حق المسلمين .

أهم بنود خطة السلام (عرفت بخطة فانس أوين)

١ـ تشكيل حكومة مركزية متعددة الصلاحيات ، وذات دستور تعترف به الشعوب الثلاثة المكونة للبوسنة والهرسك .

٢ـ انتقال أغلب الصلاحيات من الحكومة الاتحادية إلى إدارة المناطق .

٣ـ لن تتمتع المناطق بصلاحيات فرض الأمور الخارجية وليس من صلاحيتها توقيع المعاهدات الخارجية أو عقد اتفاقيات دولية .

٤ـ تؤمن الحرية الكاملة للتنقل داخل الجمهورية ويتم تنفيذ ذلك بفرض رقابة دولية على الطرق .

٥ـ جميع الأمور الحيوية والمصيرية بالنسبة لكل شعب من الشعوب الثلاثة سوف تقرر بالدستور ، ويمكن تغيير الدستور في تلك الأمور بإجماع الشعوب الثلاثة ، ولن تخضع أمور الحكومة المركزية لحق النقض لأي شعب من الشعوب .

٦ـ يتم انتخاب المسؤولين في المناطق وأعضاء الحكومة المركزية بواسطة

انتخابات ديمقراطية وستكون المحاكم مستقلة ، وتتكون الرئاسة العليا من ٣ ممثلين من المسلمين ، و٣ ممثلين من الكروات و٣ ممثلين من الصرب .

٧- تشكل المحكمة الدستورية من أعضاء من كل الشعوب والجماعات ويتكون أغلب أعضائها من غير البوسنيين ، ومهمتها فض المنازعات بين الحكومة المركزية وإدارة الأقاليم .

٨- يتم نزع السلاح في البوسنة تدرجياً تحت إشراف الأمم المتحدة والمجموعة الأوروبية .

٩- يتم ضمان أعلى قدر من حقوق الإنسان التي تنص عليها المواثيق الدولية، وإدراجها في الدستور ، ويتم الإشراف على تطبيق ذلك من قبل منظمات رعاية حقوق الإنسان[1] .

١٠ - يتم ضمان قدر ضروري من الإدارة الدولية ، والهيئات الرقابية من خلال إدخالها في الدستور الجديد ، وستظل هذه الإدارة موجودة إلى حين إجماع الشعوب الثلاثة على ضرورة مغادرتها من البوسنة والهرسك.

هذه خطة السلام التي تقدم بها الوسيطان الدوليان فانس وأوين ورفضها الصرب [2] وقبلها المسلمون .

بعد فشل خطة السلام التي تقدم بها الوسيطان الدوليان إلى أطراف النزاع ترددت الأحوال في البوسنة والهرسك واستمر العدوان الصربي في شن حرب الإبادة على المسلمين والكروات في البوسنة ، واستمر تدفق اللاجئين المسلمين والكروات ، وبعد هذا الفشل في الوصول إلى حل سلمي ، وجد كروات البوسنة أن عدوهم مشترك ، وأنهم لن يحققوا أية مكاسب دون التعاون مع مسلمي البوسنة والهرسك ودفعهم هذا إلى محاولة توحيد جهودهم مع مسلمي البوسنة وانتهى الأمر إلى :

---

(١) جريدة العالم الإسلامي ، عدد خاص ، ذي الحجة ١٤١٣هـ . مايو ١٩٩٣ م.

(٢) المصدر السابق ، وجريدة الشرق الأوسط ، ١٤١٣/٧/٩هـ ، وجريدة المدينة ١٤١٣/٧/٩هـ .

عقد اتفاق بين المسلمين والكروات

عقد المسلمون والكروات في يوم ١٦/١٠/١٤١٤هـ جمعية تأسيسية في سرايفو كأول خطوة نحو اتحاد فيدرالي إسلامي كرواتي ، وجاء هذا نتيجة محادثات بين الطرفين في واشنطن ، ووصف أيوب جانيتش نائب الرئيس البوسني هذا الاتفاق أنه يتكون من مجلس الممثلين الجديد (١٤٠ عضواً) اعتماداً على نظام التمثيل النسبي حسب نسبة كل قومية ، وستكون في الاتحاد حكومة مركزية قومية لديها صلاحيات واسعة في الإشراف على الدفاع والسياسة الخارجية والمالية ، وما عدا ذلك يكون من نصيب الحكم الذاتي حيث أعطى سلطات واسعة للوحدات الإدارية (الكونتينات) التي تتشكل منها الدولة .

وسيكون هناك رئيس للدولة ، ونائب له بشرط ألا يكونا من نفس القومية ، وينتخبان لمدة ٤ سنوات يتناوبان خلالها السلطة كل سنة ، ويتكون البرلمان من مجلسين ، وتحدد نسبة السكان في المجلس المحلي (مجلس الممثلين لكل قومية) أما المجلس الآخر فهو مجلس الشعب ، ويعتمد نظام التمثيل المتساوي في اختيار الأعضاء ، وسيكون لكل شعب ممثلوه في الرئاسة ، ومجلس الوزراء ، والبرلمان ، والسلطات الأمنية والقضائية ، وتكون السلطة في الأقاليم (الكانتونات) من القومية التي لها الأغلبية السكانية .

هذا التقارب الإسلامي الكرواتي سيؤدي إلى تكتل ٦١٪ من سكان البوسنة والهرسك ضد الصرب (٤٤٪ مسلمون ، و ١٧٪ كروات) ، وسوف يوحد الجهود الدفاعية ضد العدو المشترك ويعطي موقف الفريقين ثقلاً دولياً ولكن ومحلياً ، يخشى من ظهور النعرات القومية ، التي أصبحت سمة من سمات شعوب البلقان ، ويحتمل الا يظهر هذا قبل جيلين ، فالجيل الحاضر من مسلمين وكروات مر بأكثر المعاناة ألماً في تاريخ البلقان وأطفال الجيل القادم عاشوا مأساة التحدي العنصري التي شردتهم ، وشاهدوا ذبح ذويهم على أيدي الجزارين من الصرب .

وتستمر المأساة ، وما زال الصرب ينكلون بالأبرياء من المسلمين والكروات ، وما زال المجتمع الدولي يقف عاجزاً عن حل يحسم الأمور في البوسنة والهرسك . وعدوان الصرب مستمر في ضرب الجيوب الإسلامية ، والكرواتية في البوسنة والهرسك ، وما تزال الوعود الجوفاء دون تحقيق ، ويلعب الوفاق الدولي دوراً مؤسفاً في استمرار المأساة ، وتختلف الآراء بين مؤيد لاستخدام القوة ضد المعتدي ، وملوح بالخطط السلمية ، وشعب البوسنة والهرسك من المسلمين والكروات يعاني من العدوان الصربي الشرس المدلل من الوفاق الدولي ، ويمر الزمن والتنكيل والتعذيب والقتل والاستئصال العرقي والديني مستمر ، ولقد حسمت الهيئة الدولية عديدة ، لكنها تقف عاجزة أمام حسم مأساة البوسنة والهرسك ، وتلوح منازعات في الأفق خطة جديدة للسلام ، وإن كانت صورة من الخطة السابقة مع اختلاف في بعض التفاصيل بعد أن أضاف الوفاق الإسلامي الكرواتي وضعاً جديداً إلى مجريات الأمور، وهنا نطرح سؤالاً: هل ستحسم المسألة البوسنية كما حسمت مشاكل أخرى عديدة ؟ أم سيظل الأمر بين وعود جوفاء يقف الرأي العام العالمي، أمامها مكتوف الأيدي لا أكثر ولا أقل من متفرج على المأساة !!

خطة السلام الجديدة

بدأ التمهيد لخطة السلام الجديدة باجتماع وزير الخارجية الأمريكي وارن كرستوفر ، ووزير الخارجية الروسي كوزاريف في بروكسل ببلجيكا في ٤/ ١/ ١٤١٥هـ - ٢٣/ ٦/ ١٩٩٤ م ، وناقشا خطة سلام للبوسنة والهرسك ، وقال كرستوفر أن واشنطن وموسكو توشكان على الاتفاق على هذه الخطة ، كذلك صرح وزير الخارجية البريطاني دوغلس هيرد: بانه سوف تحدث ضغوط لرفع حظر السلاح عن البوسنة والهرسك إذا وافق المسلمون على خطة السلام الجديدة ورفضها الصرب .

وذكر وزير خارجية الولايات المتحدة للصحفيين المرافقين له أن مفاوضين من الولايات المتحدة وروسيا وأوربا يقتربون من الاتفاق على خطة سلام في البوسنة والهرسك ، والتي ستعرض على الفئات المتحاربة ، وذكر وزير

خارجية الولايات المتحدة بأنه سوف يناقش وزير الخارجية الروسي في العقوبات والمكافآت التي يمكن استخدامها لإقناع الفئات المتقاتلة بقبول خطة السلام الجديدة .

استمر تصعيد الصرب للقتال الشرس في البوسنة والهرسك وانتهكوا وقف إطلاق النار عشرات المرات ، وتقدمت مجموعة الاتصال الدولية التي تشكلت من (الولايات المتحدة ، وروسيا ، وفرنسا ، وبريطانيا ، وألمانيا) تقدمت المجموعة بخطتها الجديدة لإحلال السلام في البوسنة والهرسك وعرضتها على أطراف النزاع .

مجموعة الاتصال الدولية تقدم خطة السلام الجديدة

بنت مجموعة الاتصال الدولية خطتها لإحلال السلام في البوسنة والهرسك على أساس التوزيع العرقي ، وفق خريطة سلمها وزراء خارجية مجموعة الاتصال إلى الأطراف الثلاثة (المسلمون ، والكروات ، والصرب) في جنيف ، وأهم ما يلاحظ على خطة السلام الجديدة وخريطة التقسيم ما يلي:

١- توزيع أرض البوسنة والهرسك على أساس عرقي بحيث تمنح الخريطة المسلمين والكروات ٥١٪ (ومعهم الآن أقل من ٣٠٪) من البوسنة والهرسك ، وتمنح الصرب ٤٩٪ من أرض البوسنة (معهم الآن حوالي ٧٠٪ من أرض البوسنة والهرسك بالرغم من أنهم يشكلون ٣١٪ من سكانها) .

٢- تعطي خطة السلام الجديدة للمسلمين والكروات توسعاً حول الملاذات الآمنة شرقي البوسنة حول جيبي جوارزدي لتبعد خطر مهاجمة الصرب لهذين الجيبين ، كذلك الوضع حول جيب سررنتسا ، وربط هذه الجيوب بممر بسراييفو ، ويكون المرور تحت إشراف دولي .

٣- وتعطي خطة التقسيم إلى الاتحاد الإسلامي الكرواتي مناطق مدن بيخاتش، ودبوي ، وزينتسا ، وتوزلا ، وموستار ، وكوبيوس ، ودونبي فاكوف ، هذا في وسط البوسنة ، وديرفنتا ، وبوسانسكي برود، وأوجاك شمالي البوسنة ، وهي مناطق يسيطر عليها الصرب الآن .

٤- تبقى سرايبفو تحت إشراف الأمم المتحدة مدة عامين ، وموستار تحت إدارة الاتحاد الأوروبي نفسها .

٥- يحصل الاتحاد الإسلامي الكرواتي على ممرات إلى بحر الأدرياتك وأنهار سافا ، ودرينا ، وأونا (ليس للبوسنة والهرسك منافذ على هذا البحر وعلى هذه الأنهار) كذلك يحصل الاتحاد على ممر يربط بيخاتش بسرايبفو .

٦- يحصل الصرب على ممر يربط مناطقهم شرقي البوسنة بالعاصمة سرايبفو.

٧- يظل الممر الذي يسيطر عليه الصرب حالياً ، والذي يربط مناطق الصرب شمالي البوسنة بغربها معهم ، ولكن تحدث به بعض التغيرات فأصبح في بعض المناطق لا يتجاوز عرضه ٣ كيلومترات .

٨- توضع مدينة بنيالوكا ، وضواحيها شمال غربي البوسنة تحت سيطرة الصرب ، وكذلك مدن دوجانيتسيا ، وفيشجراد ، شرق البوسنة ، وبريدود غرب البوسنة توضع تحت سيطرة الصرب بالرغم من مطالبة المسلمين بها .

٩- تقسم أراضي مناطق سانسكي موست في غرب البوسنة ، وبرتشكو في الشمال ، وزفورنيك في الشرق بين الاتحاد الإسلامي الكرواتي والكرواتي والصرب [1] . ولقد قدمت خطة السلام الجديدة لأطراف النزاع في محرم ١٤١٥ يوليو ١٩٩٤ م . تؤمن هذه الخطة الجيوب

(١) العالم الإسلامي ، ١٠/٢/١٤١٥هـ ، ١٨/٧/١٩٩٤ م .

الإسلامية الكرواتية من هجوم الصرب كما تسمح بإطلالة أو نافذة للاتحاد الإسلامي الكرواتي على بحر الأدرياتك وتوفر ممرات لهم في الملاحة الدولية عبر أنهار سافا ، ودرينا ، وأونا ، وتمر هذه الأنهار في أراضي الصرب . وسوف تحقق خطة السلام الجديدة لهم الاتصال بالخارج ، وتخرج البوسنة والهرسك من عزلتها الداخلية ، كما تعطي الخطة الصرب تاميناً للممرات بين مناطقهم في شرق البوسنة وسراييفو ، وبين شمال البوسنة وغربها ، بالإضافة إلى حصولهم على أجزاء من مناطق متعددة في غرب البوسنة وشمالها وشرقها.

ردود فعل الأطراف المتنازعة على خطة السلام الجديدة:

بعد تسليم خطة السلام الجديدة لأطراف النزاع في البوسنة والهرسك قال الرئيس البوسني علي عزت في تصريح لوكالة الأنباء الكويتية في جنيف : إننا لن نرفض الخطة الجديدة للسلام لأن الصرب سيرفضونها ، هذا بالرغم من أن الخطة تتضمن عناصر سلبية للاتحاد الإسلامي الكرواتي ، فإذا رفضناها فإننا سنقدم معروفاً لزعيم صرب البوسنة رادوفان كراجيتش ورئيس صربيا سلوبودان ، والخطة تتضمن عناصر إيجابية وسلبية .

استقبل صرب البوسنة والهرسك خطة السلام الجديدة بالرفض ، فرفضها زعيمهم رادوفان ، وطرحت الخطة في استفتاء عام على صرب البوسنة ، وكانت النتيجة رفضها ، وجاء الرفض على شكل مسرحية هزيلة أمام أنظار الرأي العام العالمي ، وما الاستفتاء إلا ذر للرماد في العيون ، وإضفاء الشرعية على هذه المسرحية الهزيلة ، وواصل رادوفان تحديه للعالم حيث قال: إن صرب البوسنة يرفضون خطة السلام ، وخريطة التقسيم ، وعندئذ فإننا نطالب بخطة جديدة للسلام .

وهذا هو عهد الصرب التسويف والمماطلة ، واستغلال الظروف الدولية لا سيما عنصر الوفاق الدولي .

أما ردود الفعل الأخرى فتمثلت في رد المبعوث الدولي إلى يوغسلافيا

السابقة ياسوشي أكاشي حيث ذكر أن الأمم المتحدة وحلف شمال الأطلنطي يخططان لاتخاذ إجراءات عقابية رادعة لرفضهم خطة السلام ، وحذر البيت الأبيض من أن الرفض سوف ينعكس على صرب البوسنة ، وأشار إلى اتخاذ تدابير رادعة ضد صرب البوسنة ، وذكر وزير الدفاع الأمريكي : أن الرفض سوف يؤدي إلى التفكير في اتخاذ تدابير لتعزيز الحظر على صرب البوسنة ، وربما تؤدي إلى رفع حظر السلاح عن المسلمين في البوسنة والهرسك [1] . وأعرب وزير خارجية فرنسا عن قلقه على الوضع في البوسنة والهرسك بعد رفض خطة السلام ، واعتبر رد صرب البوسنة غير مقبول ، وحمل وزير خارجية ألمانيا كينكل صرب البوسنة مسؤولية فشل خطة السلام الجديدة .

وكانت ردود الفعل في العالم الإسلامي استنكاراً وتنديداً بموقف صرب البوسنة بعد رفضهم خطة السلام الجديدة ، كما استنكرت هذا معظم دول العالم.

ولكن ماذا بعد هذا التدليل العالمي لصرب البوسنة ؟ هل سيظل السلام في هذه البقعة المتفجرة مرهوناً بسلوك صرب البوسنة ؟ وماذا سيكون بعد هذه الحرب التي يشنها الصرب ، وقد مضى عليها أكثر من ٣٠ شهراً ، ويدفع الثمن الأبرياء ، والضعفاء من المسلمين والكروات ؟

ماذا يتوقع العالم من هؤلاء الجلادين ؟!!

وهكذا أصبحت مأساة البوسنة والهرسك أمام خيار من ثلاث ؛ إما أن يفرض السلام عن طريق تشديد العقوبات والمقاطعة والعزل على صرب البوسنة ؟ وفي هذه الحالة كيف يتم ذلك ؟ وما ضمانات التطبيق ؟ وجيرانها صربيا والجبل الأسود مؤيدان لها وشريكان في المأساة ، ووضع المراقبين الدوليين على حدود جيران صرب البوسنة أمر غير عملي . والحصار يحتاج إلى صبر طويل ، والظروف الدولية متغيرة ، خصوصاً موقف روسيا المؤيد لهم في الخفاء ، والمتنكر في الظاهر ، وموقف الدول الأوروبية متميع.

---

(١) العالم الإسلامي ، ١٤١٥/٢/٣ هـ ، ١٩٩٤/٧/١١ م .

والرأي الثاني لإحلال السلام في البوسنة والهرسك يتمثل في استخدام القوة لفرض السلام ، ويعارض هذا هيئة الأمم المتحدة والدول الأوروبية ، والحجة الخوف على قوات حفظ السلام وانتقام صرب البوسنة ، وتهدد الدول الأوروبية المشاركة في هذه القوات سحب قواتها من البوسنة في حالتين عندما تستخدم القوة في فرض السلام ، أو يتم تسليح الاتحاد الإسلامي الكرواتي ، ولقد سبقت تجربة القوة مع صرب البوسنة عندما أغارت بعض طائرات حلف الأطلنطي على بعض معاقل قوات صرب البوسنة، وتراجعت قواتهم عن غيها أمام غارة طائرة واحدة أو اثنتين ، ولكن للأسف لم تحدث هذه الغارات إلا في حالة اعتداء صرب البوسنة على قوات حفظ السلام .

والمعارضون لاستخدام القوة لو فكروا في ضربة جوية قوية لمعاقل قوات صرب البوسنة ، فإنهم سوف يتراجعون فوراً عن غيهم حتى ولو لم تنفذ هذه الضربة الجوية ، وإنما مجرد التهديد بشنها ، ولحلف شمال الأطلنطي تجربة في هذه الغارات الهزيلة .

وهناك اتجاه إلى تسليح التحالف الإسلامي الكرواتي وذلك برفع حظر السلاح عن مسلمي البوسنة والهرسك ، وتتبنى هذا الاتجاه الولايات المتحدة، وتعارضه المجموعة الأوروبية ، وتبرر ذلك بالخوف من توسع رقعة القتال ، كما تعارضه روسيا الحليف الخفي للصرب ، وقد يؤدي هذا الاتجاه إلى فشل جهود هيئة الأمم المتحدة ، وما يترتب على ذلك من انقطاع المعونات الإنسانية، فسوف يمنع الصرب وصولها . وبالرغم من أن الأمم المتحدة لم تحقق وقفاً تاماً للقتال ، فلقد حققت وقفاً نسبياً ، كما ساعدت على وصول متقطع للإمدادات الإنسانية للمسلمين والكروات .

أمام هذه الظروف تحاول المجموعة الأوروبية عن طريق تشكيلها لمجموعة الاتصال تبني الحل السلمي مثلاً في الخطة له قدمتها لأطراف النزاع ، وتأمل المجموعة في أن تنجح خطتها ، ولذلك تتبنى الحل الأول ، وتحاول تشديد الحصار على صرب البوسنة ، ووضع مراقبين على حدود يوغسلافيا الاتحادية لمراقبة وصول الإمدادات العسكرية لصرب البوسنة ، وفي مقابل ذلك تسعى لتخفيف العقوبات التي فرضتها الأمم المتحدة على صربيا والجبل الأسود .

تخفيف العقوبات الدولية على يوغسلافيا الاتحادية

تبنت الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن ٣ مشاريع قدمت لمجلس الأمن في ربيع الثاني ١٤١٥ هـ - سبتمبر ١٩٩٤ م ، يقضي المشروع الأول بتخفيف بعض العقوبات على صربيا والجبل الأسود لقبولها مراقبين دوليين على حدودهما لتشديد الحصار على صرب البوسنة ، ويسري مفعول القرار مدة ١٠٠ يوم ، على أن يبلغ الأمين العام للأمم المتحدة مجلس الأمن بأن صربيا والجبل الأسود تنفذان إغلاق الحدود الصربية البوسنية أمام جميع السلع فيما عدا المعونات الإنسانية ، ويقوم الأمين العام بتأكيد ذلك عن طريق مشاهدات فريق المراقبين على الحدود ، وبإشراف الوسيطين ديفيد أوين ، وثور فالد ستولتنبرج ، فإذا كان التقرير إيجابياً فسيتم بعد ٢٤ ساعة من تقديمه فتح مطار بيوغراد للملاحة الجوية المدنية ، ويسمح بخط ملاحي بين الجبل الأسود وإيطاليا وستتمكن يوغسلافيا الاتحادية من المشاركة في الأنشطة الرياضية والثقافية .

وتعاد العقوبات خلال ٥ أيام إذا ما ثبت حدوث أي انتهاك على الحدود الصربية البوسنية ، وقد نال القرار موافقة مجلس الأمن بأغلبية عشرة أصوات.

أما القرار الثاني فشدد العقوبات على صرب البوسنة ، وفرض قيوداً على السفر ، وعقوبات اقتصادية أخرى لإرغام صرب البوسنة على الموافقة على خطة السلام ، وقد أجاز المجلس هذا القرار .

ويندد القرار الثالث من جديد بصرب البوسنة لاستمرارهم في سياسة التطهير العرقي في مناطق عدة من البوسنة والهرسك وأجاز المجلس هذا القرار .

ورفضت الدول العربية والإسلامية قرار تخفيف العقوبات على صربيا والجبل الأسود ، واعتبرته مكافأة للمعتدي .



١- يوغسلافيا السابقة

خريطة رقم (١)

تطور الخريطة السياسية ليوغسلافيا السابقة (قبل التفكك وبعده)

تمثل الخريطة (١) يوغسلافيا السابقة قبل تفككها حيث الجمهوريات الست ، والأقاليم الثلاثة ذاتية الحكم التي تشكل كيانها السياسي السابق ويتضح أن الاتحاد اليوغسلافي « السابق » كان يتكون من جمهوريات كرواتيا، وصربيا ، والبوسنة والهرسك ، وسلوفينيا ، والجبل الأسود ، ومقدونيا ، والأقاليم ذاتية الحكم كوسوفو ، وسنجق ، وفويفودينا ، وكانت

العاصمة الاتحادية بيوجراد . ولكل جمهورية وأقليم عاصمته المحلية ، ولقد بنى الاتحاد على أساس عرقي أو قومي .

بعد تفكك يوغسلافيا استولت صربيا على الأقاليم ذاتية الحكم عنوة فاتسعت مساحتها، وكونت مع جمهورية الجبل الأسود يوغسلافيا « الجديدة » وريثة الاتحاد السابق واستولت على مقومات يوغسلافيا السابقة لا سيما عتادها الحربي من الأسلحة الثقيلة والطيران ، وشكلت جيشاً قوياً بهذا العتاد .

أعلنت جمهوريات كرواتيا ، والبوسنة والهرسك ، ومقدونيا ، وسلوفينيا انفصالها عن الاتحاد اليوغسسلافي السابق ، ونالت اعترافاً دولياً بذلك ، ما عدا مقدونيا التي اعترضت اليونان على مسماها .

تغيرت الخريطة السياسية ليوغسلافيا السابقة في نهاية عام ١٩٩٢ م منتصف عام ١٤١٢ هـ فأصبحت تضم يوغسلافيا الجديدة المكونة من صربيا والجبل الأسود ، والأقاليم ذاتية الحكم سالفة الذكر ، وتبلغ مساحتها كاملة ما يقارب ١٠٢,٠٠٠ كيلو متر مربع ، وسكانها حسب تقدير سنة ١٩٩١ م ما يقارب ١٠,٤ مليون نسمة ، ثمّ جمهورية البوسنة والهرسك التي أعلنت انفصالها واستقلالها عن الاتحاد اليوغسلافي السابق في ١٩٩٢/٢/٢٩ م على إثر استفتاء شعبي ، وتم الاعتراف بها دولياً بحدودها السابقة ، وأصبحت عضواً في الأمم المتحدة ، وتبلغ مساحتها حوالي ٥١ ألف كيلو متر مربع ، وقدر سكانها في سنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م بما يقارب ٤,٥ مليون نسمة ، ويشكل المسلمون ما يقارب ٤٧٪ من سكانها ، والصرب ٣١٪ والكروات ١٧٪ .

وأصبحت الخريطة السياسية ليوغسلافيا السابقة تضم جمهورية كرواتيا التي أعلنت انفصالها عن الاتحاد السابق في ١٩٩١/٦/٢٥ م ، وتبلغ مساحتها ما يقارب ٥٦٥٣٨ كيلو متر مربع ، وقدر سكانها في سنة ١٩٩١ م ، بما يقارب ٤,٧ مليون نسمة.

كما تضم جمهورية سلوفينيا ، وأعلنت انفصالها في ١٩٩١/٦/٣٥ م ، وتبلغ مساحتها ٢٠,٢ ألف كيلو مربع ، وقدر سكانها في سنة ١٩٩١ م

بمليوني نسمة .

وضمت خريطة يوغسلافيا السابقة بعد تفككها جمهورية مقدونيا ، وأعلنت انفصالها عن الاتحاد السابق في ٨/ ٩/ ١٩٩١ م ، وتبلغ مساحتها ٢٥,٧ ألف كيلو مربع ، وقدر سكانها في سنة ١٩٩١ م بمليوني نسمة ، وهكذا تغيرت خريطة يوغسلافيا السابقة .

لما كان هذا يتعارض مع أحلام الصرب في تكوين صربيا الكبرى وإدخال تغيير آخر على خريطة يوغسلافيا السابقة ، لذا شن الصرب حروباً شرسة لابتلاع الجمهوريات التي أعلنت انفصالها ، بدأت بكرواتيا ، وخاض الكروات حرباً دامية مع الصرب ، ثم خفت حدتها ، وذلك لتحولها إلى البوسنة والهرسك في شراسة لم يسبق لها نظير في تاريخ كفاح الشعوب المغلوبة على أمرها .

في العدد السابق من « مجلة الحكمة » تتبعت تتطور حرب الصرب في البوسنة والهرسك ، تلكم الحرب القذرة التي تهدف إلى الاستئصال العرقي والديني للمسلمين من البشناق والهرسك ، وما تزال حرب الإبادة مستمرة أمام أنظار العالم كل العالم ، (للمزيد ارجع إلى العدد السابق من المجلة المذكورة) ، وتشهد شعوب الدنيا في نهاية القرن العشرين التهام شعب ودولة عضو في الأمم المتحدة ، وأصبح الصرب يسيطرون على ٧٠٪ من أرض البوسنة والهرسك .

لقد وضع الصرب خريطة جديدة بعدوانهم على شعب آمن أعزل ، ففي الخريطة (١) ـ يوغسلافيا السابقة قبل التفكك بجمهورياتها الست ، وأقاليمها ذاتية الحكم الثلاث .

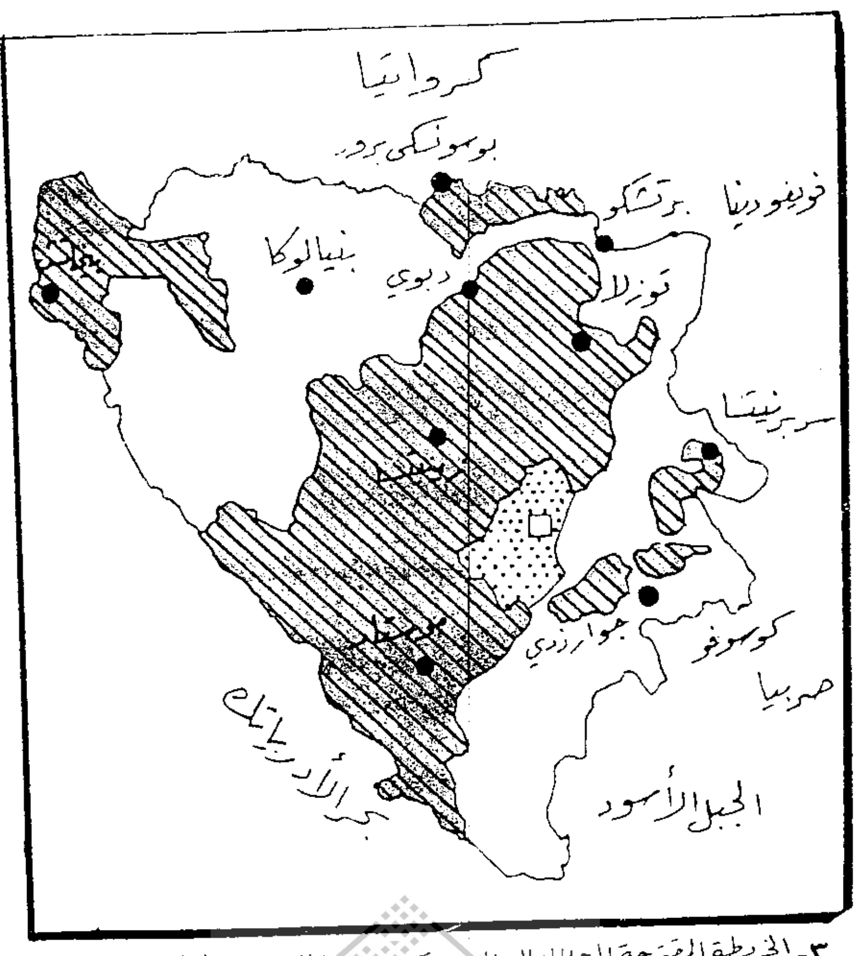


٢- خريطة البوسنة والهرسك قبل العدوان الصربي

خريطة رقم (٢)

وتوضح الخريطة (٢) جمهورية البوسنة والهرسك بحدودها غداة انفصالها عن الاتحاد اليوغسلافي ، وتوضح حدود البوسنة والهرسك كما اعترفت بها الأمم المتحدة وبمساحتها التي تصل إلى ٥١ ألف كيلو متر مربع، وهي كلها الأراضي الذي تضم مدنها وقراها قبل العدوان الصربي ، وكما خططت حدودها غداة تشكيل الاتحاد اليوغسلافي ، بالرغم من اقتطاع بعض أقاليمها ، وعزلها عن الخارج، فليس لها وجهات بحرية رغم أن حدودها في الجنوب الغربي لا تبعد عن بحر الادرياتيك إلا بضعة كيلومترات.

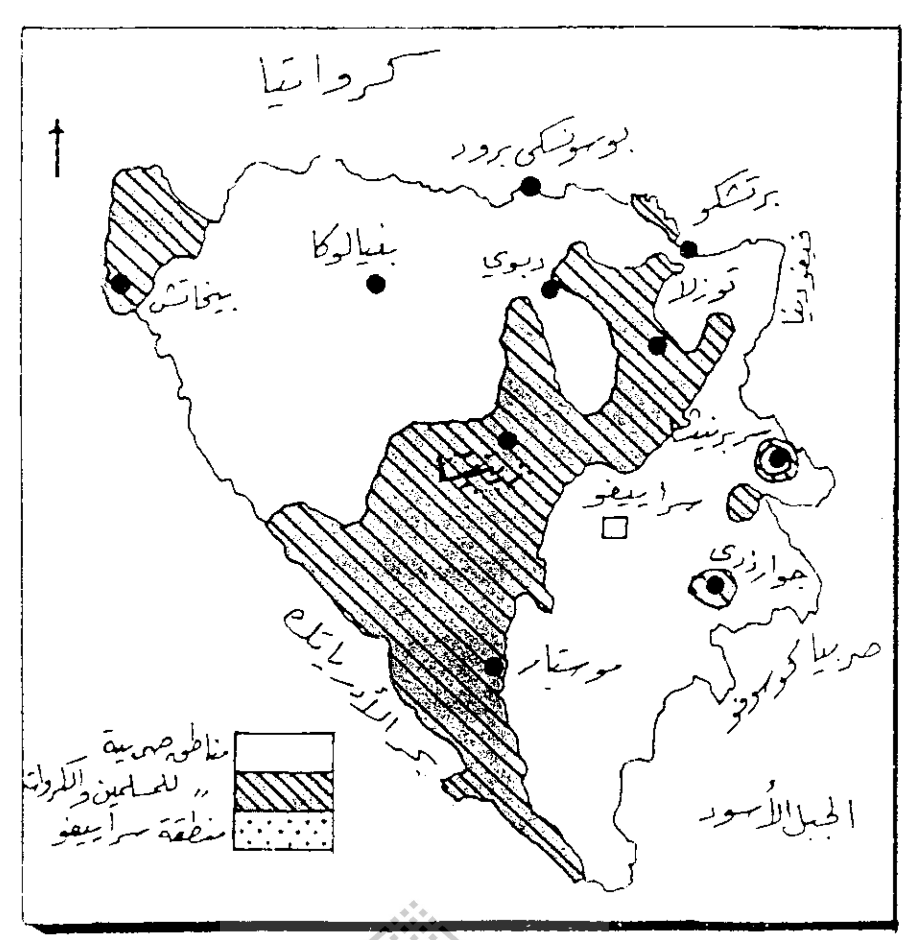
وبالرغم من هذا قبل سكان البوسنة والهرسك بهذا الوضع الذي استمر طيلة سنوات الاتحاد اليوغسلافي السابق عبر المدة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية، وحتى انهيار الاتحاد اليوغسلافي ، أي قرابة نصف قرن .



٣ـ الخريطة المقترحة لإحلال السلام "مجموعة الاتصال الدولية"

خريطة رقم (٣)

توضح الخريطة (٣) الوضع الراهن حتى ربيع الثاني ١٤١٥ هـ ـ سبتمبر ١٩٩٤ م بعد أن استولى الصرب على ٧٠ ٪ من أرض البوسنة والهرسك ، وتظهر هذه الخريطة مدى غبن الاستئصال العرقي والديني الذي حل بشعب البوسنة والهرسك ، فلم يبق الصرب للمسلمين والكروات سوى القطاع الأوسط من البوسنة والهرسك ، الذي يقترب من ٢٥٪ من مساحة جمهورية البوسنة والهرسك ، وتنتشر جيوب إسلامية كرواتية في مناطق مبعثرة عزلها الصرب في حرب الإبادة بعد أن دمروا بنيتها الأساسية ، وقتلوا ٢٠٠ ألف نسمة ، وأجبروا ١,٦٠٠,٠٠٠ نسمة من المسلمين والكروات على الهجرة (حسب تقارير الهيئات الدولية) وهذه الجيوب مبعثرة شرقي الجمهورية وشمالها وغربها وجنوبها ، ونذكر أمثلة لها ممثلة في جيوب سربيرنيتسا ، وجوارزدي ، وبرتشكو ، وديوي ، وبيخاتش ، وهكذا مزق الصرب بوحشية كيان جمهورية البوسنة والهرسك .



٤- خريطة البوسنة والهرسك "الوضع الراهن بعد العدوان الصربي"

خريطة رقم (٤)

توضح الخريطة (٤) خطة السلام في البوسنة والهرسك التي قدمتها مجموعة وزراء خارجية دول الاتصال الدولية (الولايات المتحدة ، وفرنسا ، وبريطانيا ، وروسيا ، وألمانيا) للأطراف الثلاثة في البوسنة والهرسك ، لتكون أساساً للحل السلمي ، وذلك بعد اجتماعات عدة عقدت في جنيف، ويتضح من خريطة مجموعة الاتصال توسعاً للمسلمين والكروات حول الملاذات الآمنة شرقي البوسنة في جيبي جوارزدي ، وجيبي بيرنيتسا ، وربطها بسراييفو بممر يكون تحت مراقبة الاتحاد الأوروبي ، ويعاني المسلمون والكروات من عدوان يومي للصرب ، وقطع للمعونات الإنسانية .

تعطي خريطة مجموعة الاتصال الدولية للمسلمين والكروات مناطق حول جيوب بيخاتش، ودبوي، وزينيتسا ، وتوزلا ، وكوبرس، وموستار، وياايتسا، ودوبني فاكوف وسط البوسنة والهرسك ، وجيوب ، دوافنتا ، وبنستسمي برود وأوجاك في الشمال، وهذه المناطق يسيطر عليها الصرب حالياً .

تحدد خريطة الاتصال منافذ لجمهوريات البوسنة والهرسك على بحر الأدرياتك وأنهار سافا ، ودرينا ، وأونا ، كذلك ترتبط منطقة بيخاتش بسراييفو بممر .

تعطي الخريطة للصرب ممراً يربط مناطقهم في شرق البوسنة بسراييفو ، ويظل الممر الحالي الذي يربط مناطق الصرب شمال البوسنة بغربها مع الصرب، كما تعطي الخريطة للصرب مدينة بنيالوكا وضواحيها ، وكذلك مدن روجانيتسا ، وفيشجراد ، ويريدور .

وتظهر خريطة مجموعة الاتصال الدولية تقسيما لمناطق سانستي موست ، وبرتشكو ، وزفرنيك بين المسلمين والكروات من جهة ، والصرب من جهة أخرى ، ولقد وافق الاتحاد المسلم الكرواتي على خطة السلام التي قدمتها مجموعة الاتصال الدولية على أساس الخريطة المقدمة من المجموعة ، بينما رفضها الصرب في تحد سافر للمجتمع العالمي .

يتضح من العرض السابق أن محاولات حل مشكلة البوسنة والهرسك تأخذ عدة اتجاهات ، الوضع أشبه ما يكون بتوجيه المسألة البوسنية إلى مفترق الطرق ، وهذه أبرز الاتجاهات :

١ـ اتجاه إسلامي يبذل جهداً متواصلاً نحو إلغاء حظر السلاح عن البوسنة والهرسك ليتمكن شعبها من الدفاع عن النفس ، ويريد أن يأخذ إلغاء حظر السلاح شرعية دولية عن طريق مجلس الأمن ، وبالرغم من أن هذه المحاولة عرضت على المجلس إلا أنها لم تنجح في الحصول على قرار يلغي الحظر ، ويعارض هذا المجموعة الأوروبية ، وروسيا ، بينما تؤيده الولايات المتحدة ، وبالرغم من أن الدفاع عن النفس حق شرعته مواثيق هيئة الأمم المتحدة .

٢ـ اتجاه هيئة الأمم المتحدة لحل مأساة البوسنة والهرسك بالأساليب السلمية ، وذلك عن طريق قرارات عدة أصدرها مجلس الأمن بفرض حصار وشدد على يوغسلافيا الاتحادية (صربيا والجبل الأسود) أول الأمر ، ثم

خففت الحظر عنهما ، وركزته على صرب البوسنة في محاولة حصار حدودها بين جارتيها صربيا والجبل الأسود ، وتريد هيئة الأمم أن تستغل هذا الحصار للضغط على صربيا البوسنة لقبول الحلول السلمية ، وهذا الاتجاه يتبع سياسة الترغيب والترهيب ، ولكن يطول مداه ، ويحتاج إلى وقت لكي يثبت فاعلياته ، وحصار حدود صرب البوسنة يحتاج إلى عدد كبير من المراقبين وإلا لن يكون عملياً ، وتخشى الهيئة الدولية من أن تسليح المسلمين والكروات سوف يزيد من دائرة القتال .

٣ـ اتجاه المجموعة الأوروبية ، ويجنح إلى السلم ، فلقد شكلت مجموعة الاتصال الدولية (فرنسا ، وألمانيا ، وبريطانيا ، والولايات المتحدة ، وروسيا) وقدمت خطة جديدة (سبقت الإشارة إليها) وذلك في محاولة لتقسيم البوسنة بين المجموعات الثلاث ، رفضها الصرب وقبلها المسلمون والكروات ، وتستخدم المجموعة الأوروبية سياسة الترغيب والترهيب هي الأخرى ، وتحاول أن ترغم صرب البوسنة على قبولها باتباع تشديد الحظر عليهم ، ومحاولة استخدام حلف الأطلنطي كسلاح لضرب صرب البوسنة (وليت المسألة تأخذ صورة جدية) لوقف عدوانهم المستمر ، وأصبحت مفاتيح حل المسألة في أيدي المجموعة الدولية ، التي أصبحت تمسك جميع خيوط الحلول .

٤ـ موقف روسيا الموالي للصرب ، فتارة تؤيد مواقف الأمم المتحدة والمجموعة الأوروبية ، وتارة تعارض خصوصاً عندما يقترب الموقف من استخدام القوة فإنها تهب لنجدة الصرب ، وتعمل في الخفاء على عرقلة استخدام القوة معهم .

٥ـ ترى الحكومة البوسنية أن الصرب يماطلون لكسب الوقت ويسوفون في قبول الحلول السلمية ، وبنوا استراتيجيتهم العسكرية على محاصرة الجيوب الإسلامية الكرواتية ، فكلما ضغطت عليهم الظروف الدولية يصلون هذه الجيوب نيراناً حامية ، ويمنعون قوافل الإغاثة الإنسانية المتجهة إلى المسلمين

والكروات المحاصرين ، ويتخذون من الموقف الروسي ستاراً للحماية من عقاب هيئة الأمم المتحدة ، لذا ترى الحكومة البوسنية أن إلغاء حظر السلاح على البوسنة والهرسك ، سوف يمكنهم من الدفاع والهجوم في آن ، فالصرب لا يفهمون غير منطق القوة ، فلقد قبل المسلمون والكروات كل خطط السلام ، ورفضها صرب البوسنة جملة وتفصيلاً ، فتطبيق الحصار ، وتشديده على صرب البوسنة ، ومحاولة عزلهم عن حليفتهم صربيا والجبل الأسود أمر غير مجد ، وعبر عن هذا مندوب البوسنة والهرسك في الأمم المتحدة في وصفه للمراقبين بأنهم كشخص في مسرح مظلم لا يرى إلا ما يسلط عليه الضوء .

٦- يحاول الصرب تحقيق مطامعهم في صربيا الكبرى بكل الوسائل الرخيصة ويسعون في الأرض فساداً لتحقيق ذلك ، ويستغلون حالة الوهن الدولية وخلاصة الموقف متبلورة الآن في يد مجموعة الاتصال وحلف الأطلنطي، فالحصار وحده لا يكفي ، وإنما يحتاج إلى ضربات موجعة لصرب البوسنة تجعلهم يحترمون الرأي العام العالمي .



سكان الجمهوريات في يوغسلافيا السابقة سنة ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

الدولة	المساحة	عدد السكان	العاصمة	سكان العاصمة	المسلمون
البوسنة والهرسك	٥١,١٢٥كم٢	٤,٣٦٤,٥٧٤	سرايفو	٤١٥٦٣١	٢٠٠٠٠٠
كرواتيا	٥٦,٥٣٨كم٢	٤,٧٨٤,٢٦٥	زغرب	٧٠٦٧٧٠	٥٥٥٠٠
سلوفينيا	٢٠٢٥٤كم٢	١,٩٦٥,٩٨٦	لوبليانا	٢٧١١٣٣	٣٠٤٦١
مقدونيا	٢٥٧١٣كم٢	٢,٠٣٣,٩٦٤	سكوملي	٥٦٣٣٠١	٠٥٦٩٩٨٥
يوغسلافيا الاتحادية	١٠٢١٧٣كم٢	١٠,٤٠٦,٧٤٢	بيوغراد	١٠٨٧٩٨٥	٢,٠٠٠,٠٠٠
المجموع	٢٥٥٨٠٣	٢٣,٥٥,٥٣١ نسمة			٤,٧١٠,٩٤٦

النسب العرقية لسكان يوغسلافيا السابقة

مسلمون	٤,٧١٠,٩٤٦	=	٢٠٪
صرب	٨,٧٩٩,٠٢٨	=	٣٧,٣٪
كروات	٤,٥٤٦,٤١١	=	١٩,٣٪
سلوفان	١,٧٤٩,٤١٨	=	٧,٤ ٪
مونتنجريون	٥٣٠,٧٠٠	=	٢,٢٪

سكان البوسنة والهرسك حسب الأعراق سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م

القومية	عدد السكان	النسبة المئوية
مسلمون	٢,٠٠٠,٠٠٠	٤٤٪
صرب	١,٣٦٩,٢٥٨	٣١,٤٪
كروات	٧٥٥,٨٢٩	١٧,٣٪
يوغسلاف	٣٣٩,٨٤٥	٥,٥٪

المجموع ٤,٤٦٤,٩٣٢

نسبة المسلمين حسب تقديرات الصرب ٢٠٪.

المسلمون في يوغسلافيا السابقة حسب تقديرات السلطات الصربية ٤,٧١٠,٩٤٦ نسمة مع ملاحظة غبن حصة المسلمين .

التقديرات الإسلامية للمسلمين في يوغسلافيا السابقة ما يقارب ٦,٠٠٠,٠٠٠ نسمة تعادل ٢٥٪ من جملة السكان (انظر كتاب الأقليات المسلمة في أوربا للمؤلف) .

نسبة المسلمين حسب تقديرات الصرب = ٢٠٪ من كل يوغسلافيا

نسبة المسلمين حسب التقديرات الإسلامية = ٢٩,٥٪ في كل يوغسلافيا

عدد الصرب في يوغسلافيا السابقة سنة ٤١١هـ ـ ١٩٩١ م

الدولة	عددالصرب	النسبة المئوية
يوغسلافيا الاتحادية	٦,٤٨٦,٠٠٠	٦٢,٣٪
البوسنة والهرسك	١,٣٦٩,٢٥٨	٣١,٤٪
كرواتيا	٨٥,١٧٠	١٢,٢٪
سلوفينيا	٤٧,٩١١	٥,٤٪
مقدونيا	٤٤,١٥٩	٠,٠٢٪
المجموع	٨,٧٩٩,٠٢٨	

نسبة الصرب بين السكان ٣٧,٣٪

سكان جمهورية كرواتيا حسب الأعراق . سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١ م

القومية	عدد السكان	النسبة	ملاحظات
كروات	٣,٧٣٦,٤٠٠	٧٨,١٪	
صرب	٥٨١,٧٠٠	١٢,٢٪	
مسلمون	٤٣,٥٠٠	٠,٩٪	
سلوفان	٢٢,٤٠٠	٠,٥٪	
مجريون	٢٢,٤٠٠	٠,٥٪	
إيطاليون	٢١,٣٠٠	٠,٤٪	
تشيك	١٣,١٠٠	٠,٣٪	
ألبان	١٢,٠٠٠	٠,٣٪	مسلمون
متنجريون	٩,٧٠٠	٠,٢٪	
غجر	٦,٧٠٠	٠,١٪	
مقدونيون	٦,٣٠٠	٠,١٪	
سلوفاك	٥,٦٠٠	٠,١٪	
آخرون	٣٠٣,٣٠٠	٦,٣٪	
المجموع	٤,٧٨٤,٣٠٠		

نسبة المسلمين ١,١٪

سكان يوغسلافيا الاتحادية حسب الأعراق سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١ م

« صربيا والجبل الأسود »

القومية	السكان	النسبة
صرب	٦٤٨٦,٠٠٠	٦٢,٣٪
ألبان	١,٧٢٨,٠٠٠	١٦,٠٦٪
مونتنجريون	٥٢١,٠٠٠	٥٪
مجريون	٣٤٥,٠٠٠	٣,٣٪
يوغسلاف	٣٤٤,٠٠٠	٣,٣٪
مسلمون	٣٢٧,٠٠٠	٣,١٪
المجموع	١٠,٤٠٧,٠٠٠	
المسلمون	٣٢٧,٠٠٠	
ألبان « مسلمون »	١,٧٢٨,٠٠٠	
مجموع المسلمين	٢,٠٥٥,٠٠٠ مسلم	
نسبة المسلمين	١٩,٧٪	

سكان جمهورية سلوفينيا حسب الأعراق سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١ م

القومية	عدد السكان	النسبة ٪	ملاحظات
سلوفان	١,٧٢٧,٠١٨	٪٨٧	
كروات	٥٤,٢١٢	٪٢,٨	
صرب	٤٧,٩١١	٪٢,٤	
مسلمون	٢٦,٨٤٢	٪١,٤	
يوغسلاف	١٢,٣٠٧	٪٠,٦	
مجريون	٨,٥٠٣	٪٠,٤	
مقدونيون	٤,٤٣٢	٪٠,٢	
منتنجريون	٤,٣٩٦	٪٠,٢	مجموع المسلمين ٢٦,٨٤٢
ألبان	٣,٦٢٩	٪٠,٢	ألبان مسلمون ٣,٦٢٩
إيطاليون	٣,٠٦٤	٪٠,٢	٣٠,٤٦١مسلم
المجموع	١,٩٦٥,٩٨٦		نسبة المسلمين = ٪١,٥

سكان جمهورية مقدونيا حسب الأعراق سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١ م

القومية	عدد السكان	النسبة	
مقدونيون	١,٣١٤,٥٨٣	٪٦٤,٦	
ألبان	٤٢٧,٣١٣	٪٢١	المسلمون يشملون
أتراك	٩٧,٤١٦	٪٤,٧	ألبان ٤٢٧,٣١٣
رومان	٥٥,٥٧٥	٪٢,٧	أتراك ٩٧,٤١٦
صرب	٤٤,١٥٩	٪٢,١	مسلمون ٣٥,٢٥٦
مسلمون	٣٥,٢٥٦	٪١,٧	المجموع ٥٦٩,٩٨٥ مسلم
			نسبة المسلمين = ٪٢٨

المجموع ٢,٠٣٣,٩٦٤

الجديد في عالم الكتب المطبوعة

حرصاً منّا على تعريف قراء مجلتنا بالجديد في عالم الكتب العلمية الشرعية المؤلفة أو المحققة ، فإننا عزمنا على أن نفرد باباً في كل عدد من أعداد مجلتنا للمستجدات في عالم المطبوعات .

وهذا الباب مفتوح مجاناً لمراكز البحث العلمي ودور النشر كما هو مفتوح للعلماء والباحثين والدارسين .

وكل ما نطلبه ممن يحب أن يتحفنا ويتحف القراء الكرام بالجديد من انتاجه أن يتفضل فيرسل لنا: اسم الكتاب ، واسم المؤلف ومحققه ، وحجم الكتاب ، واسم دار النشر وعنوانها مع رقم الهاتف .

ويمكن ارسال هذه المعلومات بطريق الفاكس:

(السعودية : ٠٦٣٦٤٧٧٥٨) .

كما يمكن إرسالها بطريق البريد على العنوان التالي:

(السعودية ـ القصيم . عنيزة : ص.ب: ٩٤١) .

ومنطلقنا فيما ندعو إليه التعاون على البر والتقوى .

والحمدلله رب العالمين

رئيس التحرير

أبو عبد الله الزبيري

اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	المحقق وحجم الكتاب
الملخص الفقهي	صالح بن فوزان الفوزان	دار ابن الجوزي السعودية - الدمام ص ب . ٢٩٨٢ ت. ٨٤٢٨١٤٦	مجلدان
الترغيب في فضائل الأعمال	الحافظ أبو حفص عمر بن شاهين ت ٣٨٥ هـ	دار ابن الجوزي الدمام	أكرم ضياءالعمري جزءان في مجلد/ ٦٢٨ص
جامع العلوم والحِكَم	ابن رجب الحنبلي	دار ابن الجوزي الدمام	طارق عوض الله مجلدان
كوثر المعاني الدراري في كشف البخاري	العلامة محمد الخضري الشنقيطي ت ١٣٥٤	دار البشير - الأردن عمان . هاتف ٦٥٩٨٩١	الجزء السابع
الباعث الحثيث	الحافظ ابن كثير شرح العلامة أحمد شاكر	مكتبة دار العاصمة الرياض ص.ب٤٢٥٠٧ هاتف ٤٩١٥١٥٤	مجلد/ تعليق المحدث ناصر الدين الألباني تحقيق علي بن حسن بن عبدالحميد الحلبي
الوقوف والترجل من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل	الإمام أبوبكر احمد بن محمد الخلال ت٣١١هـ	دار الكتب العلمية بيروت	
النظرية السياسية عند ابن تيمية (رسالة دكتوراه)	د. حسن كوناكاتا	دار الأخلاء للنشر والتوزيع الدمام ص.ب ٩٠٠٧	مجلد
انهيار الشيوعية من منظور إسلامي	سامي محمد صالح	مؤسسة المؤتمن للنشر والتوزيع - الرياض ت: ٤٦٤٦٦٨٨	ثلاث مجلدات

اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	المحقق وحجم الكتاب
الأنجم الزاهرات على حل الفاظ الورقات	شمس الدين محمد ابن عثمان المارديني ت٨٧١هـ	مكتبة الرشد الرياض ص.ب ١٧٥٢٢	الدكتور عبدالكريم ابن علي النملة مجلد. ٣٢٧ص
مناهج المحدثين في تقوية الأحاديث الحسنة والضعيفة (رسالةدكتورة)	د. المرتضي الزين أحمد	مكتبة الرشد الرياض ت ٤٥٨٣٧١٢	مجلد ٤٧٧ص
الحسبه في الماضي والحاضر بين ثبات الأهداف وتطور الأسلوب (رسالة دكتوراه)	د. علي بن حسن القرني	مكتبة الرشد	مجلدان
علم طبقات المحدثين أهميته وفوائده	أسعد سالم تيم	مكتبة الرشد	مجلد. ٢٢٤ص
التخريج عند الفقهاء والأصوليين (دراسة نظرية تطبيقية تأصيلية)	د. يعقوب بن عبدالوهاب الباحسين	مكتبة الرشد	مجلد. ٣٩٨ص
الضياء اللامع شرح جمع الجوامع - في أصول الفقه	أحمد بن عبدالرحمن القروي المالكي ت٨٩٨هـ	مكتبة الرشد	د. عبدالكريم بن علي النملة المجلد الأول
لوائح الأنوار السَّنِيَّة ولواقح الافكار السُّنِّيَّة . شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة اهل الآثار السلفية. (رسالة دكتوراه)	محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي ت١١٨٨هـ	مكتبة الرشد	د. عبدالله بن محمد البصيري مجلدان
عِلَل الوقوف (رسالة دكتوراه)	محمد بن طيفور السجاوندي ت ٥٦٠ هـ	مكتبة الرشد	د. محمد بن عبدالله العيدي ثلاث مجلدات

اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	المحقق وحجم الكتاب
فهرس كتاب الإكمال	الأمير ابن ماكولا ت٤٧٥هـ	مكتبة الرشد	دخيل بن صالح اللحيدان م٦٥٩ص
إعلام الأجيال باعتقاد عدالة أصحاب النبي الأخيار	إبراهيم سعيداي	مكتبة الرشد	١٠٤ص
كتاب العُدَّة للكرب والشدة	محمد بن عبدالواحد المقدسي - صاحب المختار- ت٦٤٣هـ	دار المشكاة للبحث القاهرة-حلوان ت ٣٧٤١٤٣٥	ياسر بن إبراهيم ١١٦ص
المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات	الحافظ أبي القاسم خلف بن عبدالملك بن بشكوال . ت٥٧٨هـ	دار المشكاة للبحث	غنيم بن عباس بن غنيم. ١٧٢ص
المفهم شرح صحيح مسلم	أحمد بن عمر القرطبي ت٦٥٦هـ	دار الكتاب المصري القاهرة	مجموعة علماء م/ الرابع والخامس
طرائق الحكم المتفق عليها والمختلف فيها في الشريعة الإسلامية	د. سعيد بن درويش الزهراني	مكتبة الصحابة جدة-حي الشرفية ت ٦٥٢١٠٦٠	مجلد ٣٨٩ص
تنبيه المعلِم بمبهمات صحيح مسلم	أحمد بن الإمام الحافظ برهان الدين سبط بن العجمي ت٨٨٤هـ	دار الصميعي-الرياض السويدي ص.ب٤٩٦٧	أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان مجلد ٤٧٩ص
تذكرة الحفاظ أطراف أحاديث كتاب المجروحين لابن حبان	محمد بن عبدالواحد المقدسي ت ٥٠٧ هـ	دار الصميعي ت ٤٢٦٢٩٤٥	حمدي عبدالمجيد السلفي مجلد ٤٤٢ص
قصر الصلاة للمغتربين	د. إبراهيم بن محمد الصبيحي	مطابع دار طيبة الرياض السويدي ت ٤٢٥٢١٩٥	١٤٨ص
مدخل الطالبين إلى فهم كلام المعربين	علي بن محمد القرشي ت٨٩١هـ	مكتبة دار السلام الرياض ت٤٠٣٣٩٦٢	د. إبراهيم بن محمد أبو عباة ٢٠٦ص

اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	المحقق وحجم الكتاب
إتحاف الخلان بمعارف معجم البلدان	محمد العمري أبو عبدالله	دار الصميعي الرياض السويدي	تقديم الشيخ بكر ابن عبدالله أبوزيد مجلدان
الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير	الحافظ الحسين بن إبراهيم الجورقاني الهمذاني ت٥٤٣هـ	ص.ب ٤٩٦٧ ت ٤٢٦٢٩٤٥	د. عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي مجلدان
المعجم الكبير (قطعه من الجزء (١٣) المفقود)	سليمان بن أحمد الطبراني ت ٣٦٠هـ	دار الصميعي	حمدي عبدالمجيد السلفي مجلد
الزهد	الإمام وكيع بن الجراح	دار الصميعي	د. عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي مجلدان
الحديقة اليانعة من العلوم النافعة	عبدالله بن جار الله الجار الله(رحمه الله)	دار الصميعي	مجلدان
التنبيهات المختصرة شرح الواجبات المتحتمات المعرفة	إبراهيم بن الشيخ صالح الخريصي	دار الصميعي	مجلد
الخلافيات (الجزء الثاني)	الإمام البيهقي	دار الصميعي	مشهور بن حسن آل سلمان . مجلد
كتب حذّر العلماء منها	مشهور بن حسن آل سلمـان	دار الصميعي	مجلدان
أضواء على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط	أحمد منصور	دار ابن حزم بيروت ت٦٠٢٠٨٣	١٧٦ص
من أخلاق النصر في جيل الصحابة	د. السيد نوح	دار ابن حزم بيروت ص.ب ١٤/٦٣٦٦	١٦٠ص

اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	المحقق وحجم الكتاب
شرح أصول الاعتقاد (أهل السنة والجماعة)	للحافظ اللكائي	دار طيبة ت: ٤٢٥٣٧٣٧	أحمد سعيد الغامدي ٥ مجلدات
تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (رسالة دكتوراه)	د. محمد محزوم	مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع ت: ٤٢٥٣٧٣٧	مجلدين
مسند الإمام أبي حنيفة	الإمام أبي نعيم الاصبهاني		نظر الفاريابي
نظرات في منهج الإخوان المسلمين (دراسة نقدية اصطلاحية)	أحمد سلام		
شرح الزركشي	الزركشي	العبيكان للنشر والتوزيع ت: ٤٦٥٤٤٢٤	الشيخ عبدالله بن جبرين - ٧ مجلدات
الفروق اللغوية وآثارها في القرآن الكريم	محمد بن عبدالرحمن الشايع		
شرح الكوكب المنير المسمى مختصر التحرير	ابن النجار		محمد الزحيلي ، نزيه حماد
الانتصار في المسائل الكبار	أبي الخطاب الحنبلي		سليمان العمير
شرح العمدة في بيان مناسك الحج والعمرة	لابن تيمية	دار المؤيد للنشر والتوزيع ت: ٤٠٢٥١٩٧- ٠٢٢٦١٥-	صالح محمد الحسن الأرناؤوط
شرح مشكل الآثار	للإمام الطحاوي		الشيخ شعيب الارنؤوط ١٦مجلد
تفسير الطبري	للإمام الطبري		بشار عواد، عصام فارس الحرستاني ٧مجلدات
معجم المؤلفين	عمر رضا كحالة		٤مجلدات

اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	المحقق وحجم الكتاب
المنهل العذب المورود شرح سنن ابي داؤود	محمود خطاب السبكي	مكتبة طبرية ت: ٢٣٢١٠٤٥	٨مجلدات
شرح صحيح مسلم	الإمام الابي		٧مجلدات
حصول التفريج في أصول التخريج(كيف تصير محدثا)	أحمد الصديق الغماري		
المغني في طلب الأسفار عن حمل الأسفار	الحافظ العراقي		أشرف عبدالمقصود ٣مجلدات
برنامج عملي للمتفقهين	أبو عاصم عبدالعزيز عبدالفتاح القارئ	دار الصديق بالطائف ت: ٧٣٢٣٣٣٧	مجلد
احكام الأوراق النقدية والتجارية في الفقه الإسلامي (رسالة ماجستير)	ثواب الجعيد		
الطبقات الكبرى لابن سعد	محمد بن سعد الزهري		محمد بن هامل الشكمي
التصفية والتربية وأثرهما في استئناف الحياة الإسلامية	علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري	دار التوحيد الرياض ت: ٤٢٥٩٩٩٠ توزيع مؤسسة الجريسي	١٦٢ ص
الجواب الذي انضبط عن لا تكن حلواً فتسترط	محمد بن عبد الرحمن السخاوي		مشهور بن حسن آل سلمان وأحمد الشقيرات ٨٠ ص
حلية العالم المعلِّم وبلغة الطالب المتعلم من حديث جبريل عليه السلام	سليم الهلالي		٩٩ ص
الفتاوى الزبيرية (الجزء الأول: كتاب الطهارة)	عبدالله بن عبد الرحمن الحمود الزبيري الحنبلي	مكتبة الرشد الرياض	د. كاسب بن عبد الكريم البدران ٢٤٨ ص